علم البديع
فى التراث البلاغى

د كتور
عبد الحميد هنداوى
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

دار الثقافة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذى أنزل المثانى ، وتفرد فى كتابه ببديع المعانى ، وأشهد ألا إله إلاهو واحد ليس له ثان ، وإن محمداعبده ورسوله عليه صلاة الله وسلامه إلى آخر الزمان .

وبعد : فقد عرضت فى القسم الأول من هذا الكتاب لعلم البديع كما استقرت عليه دراسات البلاغيين المتأخرين ؛ وقمت بمناقشة أهم مباحث هذا العلم عند التأخرين من خلال دراسة موازنة بين معالجة هؤلاء البلاغيين لعلم البديع ومعالجة الطيبى له باعتباره خاتمة المحققين فى علم البلاغة كما ذكر ذلك من ترجموا له .

أما القسم الثانى من هذا الكتاب فقد عرضت فيه لعلم البديع وفن الفصاحة عند الإمام الطيبى من خلال تحقيقنا السابق لكتابه البيان فى المعانى والبيان ، وقد اخترت ذلك الكتاب لما يمتاز به من كثرة الفنون التى عرض لها مع كثرة الاستفهام والتحليل البلاغى فى كثير من الأحيان .

والله أسأل أن يجعله نافعا لطلاب الفصاحة والبلاغة ، وأن يجعله إلى مرضاته وجناته .

عبد الحميد هنداوى

الجيزة فى يناير ٢٠٠٠

تعريف البلاغة عند الطيبى

يذكر الطيبى فى كتابه لطائف التبيان ثلاثة تعريفات للبلاغة فيقول: «البلاغة: بلوغ المتكلم إلى نهاية مافى قلبه من غير إيجاز مخل أو إطناب ممل، وقيل هى كون الكلام الفصيح موصلا للمتكلم إلى أقصى مراده، وقيل هى بلوغ المتكلم فى تأدية المعانى بعبارته حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب ومزاياه، ولها طرفان: الأسفل وهو المقدار الذى يبلغ إلى حد الإعجاز، وبينهما مراتب متفاوتة بحسب تناسب التراكيب فى إفادة المعنى»[1] ويعرفها فى كتابه التبيان بقوله: «وهى توفية خواص التراكيب فى إفادتها وإيراد معنى واحد فى طرق مختلفة بدلالتها، وتحسينها من جهة المعنى»[2].

ويوضح هذا التعريف بقوله: «ونعنى بها التراكيب من حيث هى، لا الصادرة عن البليغ لفساد المعنى. ولها طرفان: الإعجاز وحاكمه الذوق، وما خرج عن النعيق، وبينهما مراتب لاتكاد تنحصر ومرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ فى قوانين التراكيب، وفى طرق دلالتها، وفى التحسين، وما يحترز به عن الأول علم المعانى، وعن الثانى علم البيان، وعن الثالث علم البديع [3]. ولا يكاد الطيبى يضيف شيئا جديدا إلى تعريف البلاغة فى كتابه لطائف التبيان، فهو يذكر ماسبق أن ذكره المصنفون قبله من تعريفات البلاغة سواء المتقدمون منهم كالجاحظ فى البيان والتبيين [4]، أو المتأخرون منهم كالرازى فى نهاية الإيجاز [5]، أو السكاكى فى مفتاحه. [6]

ويبدو أن الطّيبي يرجح التعريف الأول أو يميل إليه، لما يدل عليه تصديره

---

(١) الطيبى، لطائف التبيان، مخطوط بدار الكتب المصرية، ٢٦ بلاغة م ق ٦.

(٢)، (٣) الطيبى، التبيان، ص ٤٧

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٩٤

(٥) الرازى، نهاية الإيجاز، ص٨٩.

(٦) السكاكى، مفتاح العلوم، ص ٢٢٠.

التعريفين الآخرين بقوله: «وقيل» مما يدل على تضعيفه لهذين القولين أو عدم ميله إلى أحدهما، والحق الذى أراه أن هذا لم يكن ترجيحا من الطيبى لأحد الأقوال وإنما كان متابعة منه للرازى فى تعريفه للبلاغة فى «نهاية الإيجاز» [1] وقد بينت عند الحديث عن منهجه (فى رسالتى للماجستير) أن عمله فى هذا الكتاب لم يخرج عن تلخيص آراء كل من السكاكى والرازى فى كتابيهما «مفتاح العلوم» «ونهاية الإيجاز» كما قد رجحت كذلك هناك كون كتابه هذا تلخيصا لعلوم البلاغة ليكون معينا على التحصيل والمذاكرة فى بداية طلبه.*

ومن ثم فإن مايعنينا هنا هو تعريفه للبلاغة فى كتابه «التبيان» فالتعريف الذى عرضه الطيبى للبلاغة فى كتابه «التبيان» تعريف لم يسبقه أحد إليه فيما أعلم، ذلك أنه قد قدم تعريفا للبلاغة يجمع أنواعها الثلاثة التى استقرت عليها. فالسكاكى يعرف البلاغة بأنها هى بلوغ المتكلم فى تأدية المعانى حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها»[2]. وهو بذلك لاينص فى تعريفه للبلاغة على مايخص علم البديع فكأنه عنده ليس من حد البلاغة، بل هو خارج عنها لأن الشطر الأول من التعريف وهو بلوغ المتكلم فى تأدية المعانى حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها هو مايخص علم المعانى كما يستفاد من تعريف السكاكى لعلم المعانى بأنه «تتبع خواص تراكيب الكلام فى الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ فى تطبيق الكلام على مايقتضى الحال ذكره. [3] أما الشطر الثانى من التعريف فهو مايخص علم البيان والذى عرفه بأنه «معرفة إيراد المعنى الواحد فى طرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على

---

(١) نهاية الإيجاز، السابق

(٢) المفتاح، السابق

(*) انظر الرسالة ص ٣٣. المخطوط بكلية دار العلوم. أو المطبوع نشر المكتبة التجارية.

(٣) المفتاح ص ٨٦.

ذلك عن الخطأ فى مطابقة الكلام لتمام المراد منه» [1] وبالتالى فهو لم ينص فى تعريفه للبلاغة على علم البديع بل لايراه كذلك علما مستقلا بل يجعله وجوها مخصوصة يصار إليها لقصد تحسين الكلام حيث يقول بعد نهاية بحثه للمعانى والبيان والفصاحة» وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها وأن الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين. فهنا وجوه مخصوصة كثيرا مايصار إليها لقصد تحسين الكلام فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها» [2] ولذا فهو لايجعله علما مستقلا عن المعانى والبيان بل يجعله تابعا لعلم المعانى وذلك كما يتضح من تعريفه السابق له.

وعلى الرغم من أن الخطيب القزوينى قد عرف بلاغة الكلام بأنها «مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته» [3]. وقد كان هذا التعريف يصلح أن يكون تعريفا شاملا لأنواعها الثلاثة فإن الخطيب قد عاد فأخرج البديع كذلك من دائرة البلاغة وكأنه مقحم فيها. أو تابع متطفل عليها، هذا على الرغم من جعله البديع علما مستقلا عن المعانى والبيان بعكس صنيع السكاكى حيث جعله تابعا لعلم المعانى، ومما يدل على إخراجه البديع من دائرة البلاغة أنه يقول بعد تعريفه لبلاغة الكلام: «وإذ قد عرفت معنى البلاغة فى الكلام وأقسامها ومراتبها. فاعلم أنه يتبعها وجوه كثيرة ـ غير راجعة إلى مطابقة مقتضى الحال ولا إلى الفصاحة ـ تورث الكلام حسنا وقبولا.» [4] فهو بذلك يرى أن البديع لايحقق سوى التحسين والتزيين وأنه لايحقق غاية البلاغة التى ترجع إليها وهى مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهو تعريف الخطيب نفسه للبلاغة.

ويؤكد هذا المعنى شراح التلخيص، وإن كان واضحا من كلام الخطيب نفسه فى

---

(١) المفتاح ص ٨١.

(٢) المفتاح ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٣) القزوينى، الإيضاح، ص ٨٠.

(٤) الإيضاح، ٨٣.

مواضع كثيرة من كتابه، فيقول العلامة التفتازانى فى شرحه لعبارة الخطيب بعد تعريفه للبلاغة: «وتتبعها وجوه أخر تورث الكلام حسنا». وتتبعها «أى بلاغة الكلام» وجوه أخر سوى المطابقة والفصاحة «تورث الكلام حسنا» هذا تمهيد لبيان الاحتياج إلى علم البديع، وفيه إشارة إلى أن تحسين هذه الوجوه للكلام عرضى خارج عن حد البلاغة، ولفظ تتبعها إشعار بأن هذه إنما تعد محسنة بعد رعاية المطابقة والفصاحة وجعلها تابعة لبلاغة الكلام دون المتكلم لأنها ليست مما يجعل المتكلم موصوفا بصفة كالفصاحة والبلاغة بل هى من أوصاف الكلام خاصة [1] وهذا كله يبين إلى أى مدى قد سيطرت هذه الفلسفة على عقول البلاغيين آنذاك ومما يؤكد هذا - أيضا - قوله «البلاغة فى الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد، وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره. . . . .

وما يحترز به عن الأول - أعنى الخطأ - هو علم المعانى.

وما يحترز به عن الثانى - أعنى التعقيد المعنوى - هو علم البيان. وما يعرف به وجوه تحسين الكلام - بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته - هو علم البديع» [2].

ويقول التفتازانى بعد شرحه لكلام الخطيب فى هذا المقام «فظهر أن علم البلاغة منحصر فى علمى المعانى والبيان، وأن البلاغة ترجع إلى غيرهما من العلوم أيضا. . . ثم احتاجوا إلى معرفة توابع البلاغة إلى علم آخر فوضعوا علم البديع[3]. بل إن الخطيب يفجؤك بهذه الحقيقة فى أول سطر فى كتابه حيث يقول: «مقدمة فى الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة، وانحصار علم البلاغة فى المعانى والبيان» [4] فقد أبان بذلك من أول سطر فى كتابه عن إخراج البديع

(١) المطول على التلخيص، ص ٣١.
(٢) الإيضاح ، ص ٨٣.
(٣) المطول. ص ٣٣.
(٤) الإيضاح، ص ٧٢.

من علم البلاغة وغايتها.

وكذلك فعل صاحب المصباح فقد أخرج علم البديع من تعريف البلاغة على الرغم من كونه أول من خص هذا المصطلح (البديع) بما سماه السكاكى قبله وجوه تحسين الكلام». فابن مالك يعرف البلاغة بأنها «هى البلوغ فى صوغ الكلام لتأدية المعنى إلى حد له توفية بتمام المراد منه وسلوك جادة الصواب فيه» وقد كان هذا الحد يصلح كذلك أن يكون تعريفا شاملا للبديع إلا أن ابن مالك عاد فأخرج البديع كذلك حيث قال: «وللبلاغة وجوه مرجعها إلى الاحتراز من خطأ . . . . وتتبع تلك الوجوه رعاية طرق الفصاحة وهى طرق الإفهام والتبيين وطرق تزيين الكلام بإيداعه مايورث القبول من وجوه التحسين» [1] فهو بذلك قد أخرج البديع من حد البلاغة، وأدخله ضمن طرق الفصاحة، وكأنه بذلك يرى أن الفصاحة وما يندرج تحتها من البديع على حد تقسيمه ليس لها صلة بتوفية الكلام تمام المراد منه، وسلوك جادة الصواب فيه.

فإذا نظرنا إلى تعريف الطيبى لعلم البلاغة وجدناه يتسع ليشمل علم البديع فلم يضق عنه كما فى تعريف البلاغة عند سابقيه بل عند من جاءوا بعده أيضا من البلاغيين، حيث ينص فى قوله «وتحسينها من جهة المعنى» على أن التحسين المعنوى للتراكيب داخل فى حد البلاغة، وأنها ترجع إليه، وتتوقف عليه. وليست وظيفته مقصورةعلى تحسين الكلام وتزيينه بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال كما يرى الخطيب وغيره، وبذلك يجعل الطيبى علم البديع علما مستقلا له كيانه فى البلاغة شأنه فى ذلك شأن العلمين الآخرين، حيث ترجع إليه البلاغة كما ترجع إليهما، فهو يقول: «ومرجعها (أى البلاغة) إلى الاحتراز عن الخطأ فى قوانين التراكيب وفى طرق دلالتها، وفى التحسين، ما يحترز به عن الأول علم المعانى، وعن الثانى علم البيان، وعن الثالث علم البديع» [2] وثمة أمر آخر يميز تعريف

---

(١) المصباح، ص٣.

(٢) الطيبى، التبيان، ق ٢ مخطوط بدار الكتب المصرية ٥٧٣ هـ.

لطيبى للبلاغة ويشهد له باستقلاله عن سابقيه وهو قوله كذلك «وتحسينها من جهة المعنى» فتقييده هنا «بجهة المعنى» ليدخل بعض البديع فى حد البلاغة ويخرج بعضه منه، والذى يدخله فى حد البلاغة هنا هو ماتعلق بالمعنى وحده، أو بالمعنى مع اللفظ، أما مايتعلق باللفظ فقط فمحله عنده فن الفصاحة، كما سيذكر ذلك عند أول كلامه عن البديع.(*).

أما بالنسبة لشرح الطيبى لتعريفه وتعقيبه عليه، فنجده يفيد هنا مما أورده القزوينى على السكاكى فى تعريفه للبلاغة، وذلك عند كلامه على تعريف علم المعانى، حيث نقل قول السكاكى عقب تعريفه لعلم المعانى «وأعنى بالتراكيب تراكيب البلغاء» (١) ثم قال القزوينى «ولا شك أن معرفة البليغ من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة وقد عرفها فى كتابه بقوله «البلاغة هى بلوغ المتكلم فى تأدية المعنى حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وبإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها».

فإن أراد بالتراكيب فى حد البلاغة تراكيب البلغاء ـ وهو الظاهر ـ فقد جاء الدور وإن أراد غيرها فلم يبينه»(٢) فتنادى الطّيبى هنا ما أخذه على السكاكى من قوله «وأعنى بالتراكيب تراكيب البلغاء» فقال الطّيبى: «،تعنى بها التراكيب من حيث هى، لا الصادرة عن البلغاء لفساد المعنى»(٣) وبذلك يكون الطّيبى قد أفاد من معاصره القزوينى فجاء تعريفه خاليا مما أخذه القزوينى على السكاكى، وإن لم يتابع القزوينى فى تعريفه للبلاغة وقد ظهر فى تعريف الطّيبى للبلاغة أنه ينظر إلى البديع نظرة خاصة وهذا يحتاج منا إلى وقفة لإلقاء مزيد من الضوء على هذه النظرة ومناقشتها.

(*) سيأتى قريباً مناقشة للطّيبى فى هذا التقسيم للبديع.

(١) المفتاح، ص ٨٦، والإيضاح، ص ٨٤

(٢) الإيضاح، ص ٨٤ ـ ٨٥

(٣) التبيان، ص ٤٧. ق٢ المخطوط.

هذا، وقد كان من البديهى أن يتأثر بالطيبى هنا فى تعريفه للبلاغة بعض من اهتموا بالبديع من أصحاب البديعيات كأبى جعفر الغرناطى فى مقدمة شرحه لبديعية ابن جابر الأندلسى إذ إن أصحاب البديعيات هؤلاء يهمهم إعلاء شأن البديع وقد أنصفه الطيبى ورده إلى نصابه من البلاغة، فقد عرف أبو جعفر البلاغة بقوله: «هى بلوغ المتكلم فى تأدية المقصود الغاية من رعاية حسن اللفظ وتوفية المعنى بحسب اقتضاء المقام» ثم قال ناقلا عن الطيبى بالمعنى: « وهى راجعة إلى ثلاثة أشياء . . . إلى ما يحترز به عن الخطأ فى خواص التراكيب وهو علم المعانى . . . وفى طرق دلالتها وهو علم البيان، وفى وجوه تحسينها وهو علم البديع . . » ثم قال «فالبلاغة إذن لا تحصل إلا لمن استكمل العلوم الثلاثة»[1].

ثم قال أبو جعفر فى مواطن آخر من المقدمة: اعلم أن الطيبى وغيره نصوا على أن أنواع البديع تتعلق ببابين . . . باب البلاغة . . . وباب الفصاحة، فما كان منهما متعلقا بالمعنى، أو بالمعنى واللفظ معا فهو من باب البلاغة، وما كان منهما متعلقا باللفظ فقط هو من باب الفصاحة فهى ثلاثة أقسام . . . قسم يتعلق باللفظ والمعنى كالمطابقة والمقابلة وكما أشبهها مما لكل واحد من اللفظ والمعنى فيه حظ، وأسقط صاحب الإيضاح هذا القسم وجعل البديع قسمين - قسم يتعلق باللفظ. وقسم يتعلق بالمعنى، وهو الأبين وعليه درج صاحبنا فى التصيدة»[2].

---

(١) أبو جعفر الغرناطى، طراز الحلة وشفاء الغلة، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٢٥٨ بلاغة، ق. ١٠.

(٢) السابق. .

ثانيا : نظرة الطّيبى إلى البديع:

تبين لنا من خلال الحديث عن تعريف الطّيبى للبلاغة فى كتابه «التبيان» أنه يجعل علم البديع علما له أهميته وشأنه فى علوم البلاغة حيث ينزله منها منزلة أخويه الآخرين «المعانى والبيان» فى رجوع البلاغة إلى الثلاثة، وهو عنده علم مستقل بذاته، وليس ذيلا للعلمين الآخرين كما أن منه مايدخله فى فن البلاغة، ومنه مايدخله فى فن الفصاحة، فما يدخله فى فن البلاغة منه هو مايرجع إلى المعنى أو إلى اللفظ والمعنى، أما مايرجع إلى اللفظ وحده فيدخله فى حد الفصاحة، ولذا يجعل من حد البلاغة: تحسين التراكيب من جهة المعنى، وذلك فى تعريفه السابق للبلاغة فى كتابه التبيان، وقال فى أول حديثه عن علم البديع «هو معرفة وجوه تحسين الكلام. والتحسين إما راجع إلى المعنى، أو إلى اللفظ أو إليهما جميعا، والبحث عن القسم الثانى وظيفة الفصاحة، وعن الأول والثالث وظيفة البلاغة» (١).

وهذا الرأى للطّيبى لانجده واضحا له إلا فى كتابه «التبيان» (٢) والذى حاول فيه أن يكون ذا اتجاه جديد، أو أن يكون له فيه آراء خاصة يستقل بها عن مدرسة السكاكى، بخلاف كتابه «لطائف التبيان» إذ نراه فيه مخلصا لآراء سابقيه، ولا يكاد يخرج دوره فيه عن حد التلخيص ولذا نراه فى هذا الكتاب يتابع السكاكى والقزوينى وغيرهما فى جعل البديع وجوها يصار إليها لتحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مايقتضى الحال، فهو لاينص عليه فيما ذكره من تعريفات للبلاغة، كما سبق أن أوردتها فى تعريف البلاغة (٣)، وكذلك فهو لايجعله علما مستقلا ترجع إليه البلاغة مرجعها إلى العلمين الآخرين بل يجعله وجوها يصار إليها لتحسين الكلام وتزيينه ومعرفة بدائعه فيقول بعد انتهائه من مباحث العلمين (المعانى والبيان) «خاتمة فى وجوه يقصد بها تحسين الكلام وتزيينه ويعرف بها بدائعه» (٤).

---

(١) الطيبى، التبيان، ص ٣٨٣.

(٢) سبق أن رجحت تأخر تأليفه لكتاب «التبيان» عن كتابه «لطائف التبيان».

(٣) الطيبى، لطائف التبيان، ق ٥.

(٤) السابق، ق ٩٩/أ.

وبينما يرجع فى كتابه التبيان بعض البديع إلى البلاغة وبعضه إلى الفصاحة كما رأينا، فإنه يجعله هنا راجعا كله إلى الفصاحة فيقول عن هذه الوجوه التى يقصد بها تحسين الكلام «. . . . وفيها فصلان: الأول: فى الفصاحة العائدة إلى الألفاظ وفيه لطائف [1] والثانى فى الفصاحة العائدة إلى المعانى وفيه مباحث الأول فى المطابقة. . . . . إلخ» [2].

والطّيبى هنا يتابع الرازى فى «نهاية الإيجاز» حيث يستخدم لفظى «الفصاحة والبلاغة» للدلالة على معنى واحد أو معنى متقارب [3] وهو متابع فى ذلك لعبد القاهر الذى عنى الرازى بتلخيص كتابيه وترتيبهما، وقد وضحت هذه النقطةعند الحديث عن تأثر الطيبى بالرازى، فى الباب الخاص بتأثر الطّيبى بسابقيه.

كما أن الطّيبى قد تابع الرازى هنا فى تقسيمه وجوه تحسين الكلام إلى مايرجع إلى اللفظ وما يرجع إلى المعنى، كما قد تابع الرازى فى أن الفصاحة والبلاغة إنما ترجعان إلى المعنى دون الدلالة اللفظية ويكاد يكون ناقلا لنص كلامه فى هذا الموضع فى مقدمة كتابه [4] وملخصا له مما يرجح استخدامه لفظ الفصاحة بمعنى البلاغة أو ماقاربه، كذلك فإن دراسة الطّيبى فنون البديع فى كتابه هذا تحت اسم الفصاحة يحتمل أمراً آخر هو متابعته لبدر الدين بن مالك فى إدراجه فنون البديع ضمن طرق الفصاحة لأنها عنده ـ «هى طرق الإفهام والتبيين وطرق تزيين الكلام بإيداعه مايورثه القبول من وجوه التحسين» [5] وهذا الاحتمال الأخير هو ما أرجحه، ذلك أنّ الطّيبى قد قسم هذه الخاتمة فى وجوه تحسين الكلام إلى فصلين: الأول فى الفصاحة الراجعة إلى الألفاظ، والثانى فى الفصاحة العائدة إلى المعانى.

هذا ولا يتضح لنا موقف الطّيبى من البديع فى حاشيته على الكشاف فهو يعلق

---

(١) السابق، ق ٩٩/أ.

(٢) السابق، ق ١٠٨.

(٣) الرازى، نهاية الإيجاز، ص ٨٨ ـ ٨٩ ـ ٩٣ ـ ٩٩، وانظر لطائف التبيان، ق ٥/ب.

(٤) انظر لطائف التبيان، ق ٥/ ب ـ ٦ ـ ٧، وانظر نهاية الإيجاز ص ٨٧ ـ ١١٢.

(٥) بدر الدين بن مالك، المصباح، تحقيق د. حسنى عبدالجليل ص٤.

فى حاشيته على قول الزمخشرى فى مقدمة الكشاف «فالفقيه وإن برز على الأقران. . . . والمتكلم لايتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شئ من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع فى علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعانى وعلم البيان. . . . .» [1] فيقول الطّيبى «ونبه بتكرير لفظ علم على استحقاق كل منهما أن يسمى علما برأسه [2] وينقل الطرودى هذا الكلام للطّيبى ويعلق عليه بقوله: وفيه إشارة إلى أن علم البديع ليس من نفس البلاغة وإنما هو من توابعها، لأنه علم يعرف به تحسين الكلام، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، الذى هو ثمرة علم المعانى، ورعاية وضوح الدلالة، بالخلوص عن التعقيد المعنوى الذى هو ثمرة علم البيان، فظهر أن علم البلاغة منحصر فيهما، وإن كانت البلاغة ترجع إلى غيرهما من العلوم أيضا [3] وقول الطرودى «فظهر أن علمى البلاغة. . . . . إلى آخره، هو أيضا نص عبارة التفتازانى فى المطول [4] إلا أننا لانطمئن إلى صحة مافهمه الطرودى من كلام الطّيبى فى تعليقه على كلام الزمخشرى ذلك لأن قوله: باستحقاق كل من المعانى والبيان أن يسمى علما برأسه، غاية مافيه أنه يشير إلى ميل الزمخشرى أو قل إشارة الزمخشرى إلى تميز كل من العلمين عن الآخر، وأن لكل منهما مباحث تخصه، فلا يتوهم أنهما اسمان لعلم واحد، وليسا علمين مستقلين.

وعليه فهذه العبارة للطّيبى ليست واضحة الدلالة على جعله البديع تابعا للعلمين خارجا من حد البلاغة، ويتأكد ذلك إذا علمنا أنه ألف حاشيته على الكشاف بعد تأليفه لكتابه التبيان الذى ركز فيه على إدخال البديع ضمن حد البلاغة، ومما يدل

---

(١) بدر الدين بن مالك، المصباح، تحقيق د. حسنى عبدالجليل ص٤.

(٢) الزمخشرى، الكشاف، ١/ ٣.

(٣) ، (٤) الطيبى، فتوح الغيب، ٤٧٣ تفسير تيمور ق ٨/ب، وانظر كلام الطرودى فى كتابه جامع العبارات فى تحقيق الاستعارات على عصام، رسالة دكتوراة إعداد محمد رمضان الحربى، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١/ ٤٨

على ذلك إشارته إلى كتاب البيان وإحالته عليه فى عدة مواضع من الحاشية منها قوله: «والبلاغة تعم حسن اللفظ والمعنى كما تقرر فى التبيان» [1] أضيف إلى ذلك أن تعرض الطّيبى لفنون البديع فى حاشيته ومعالجته لها تدلنا على وعيه التام بوظيفة البديع فى تحقيق مطابقة الكلام لتمام المراد منه وعدم اقتصارها على التحسين، كما وضح ذلك فى كتابه التبيان.

على أن الذى يعنينا هنا هو الوقوف أمام ماعرضه الطّيبى فى كتابه «التبيان» من نظرته الجديدة إلى البديع وصنيعه فيه مما نحتاج إلى مناقشته فيه.

أما بالنسبة لنظرة الطيبى إلى البديع فى جعله علما ترجع البلاغة إليه مرجعها إلى علمى المعانى والبيان، فالحق أن هذه النظرة إلى البديع والتى لم يسبقه أحد إليها تجل علم البديع وترفع من شأنه بعد أن جعله الخطيب وغيره وجوها يعرف بها تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وهو بذلك «لايعدو أن يكون مجرد حلية أو زينة يتحلى بها الأسلوب بعد أن يكون قد استوفى أغراضه من حيث المطابقة والوضوح، ولا فرق حينئذ بين أن يصير علما مستقلا على يد الخطيب أو يظل ملحقا بالعلمين الجديرين بالاعتبار كما فعل السكاكى» [2].

والحق أنه إذا كانت البلاغة فى معناها العام هى «بلوغ المتكلم بكلامه إلى نهاية مافى قلبه. . . . أو هى كون الكلام الفصيح موصلا للمتكلم إلى أقصى مراده، أو هى بلوغ المتكلم فى تأدية المعانى بعبارته حدا له اختصاص بتوفية خواص التركيب ومزاياه» [4].

أو كما عرفها الخطيب «مطابقة الكلام لمقتضى الحال فى فصاحته»، فلا شك أن

(١) المطول على التلخيص، ص ٣٣ ط. أحمد كامل.
(٢) أ.د عبدالواحد علام، قضايا ومواقف فى التراث البلاغى، ص١٣.
(٣) الطيبى، لطائف التبيان، ق ١٦/ ب.
(٤) الطيبى، لطائف التبيان، ق ١٦/ب.

كثيرا من ألوان البديع مما ينطبق عليه هذا الحد للبلاغة، من حيث بلوغ المتكلم بها إلى نهاية مافى قلبه أو دونها موصلة له إلى أقصى مراده.....، أو ليبلغ بها فى عبارته حالة اختصاص بتوفية خواص التركيب ومزاياه، أو يحقق بها المطابقة لمقتضى الحال... الخ إلى آخر هذه التعريفات التى ترجع إلى معان متقاربة، كلها تدور حول «بلوغ المتكلم بعبارته كنه مافى نفسه ليمكنه فى نفس السامع كتمكنه فى نفسه مع صورة مقبولة، ومعرض حسن». (١).

أقول، فإذا كانت البلاغة هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أو غير ذلك من التعريفات، «فالحق أن علوم البلاغة الثلاثة ـ وليس علم المعانى وحده ـ تقوم بصفة أساسية على تحقيق هذه المطابقة وتعمل على مراعاتها» (٢).

ولقد حاول الطّيبى أن يخفف من حدة الأثر الضار الذى ألحقه القزوينى ومن تابعه بالبديع، حيث صارت ألوانه وفنونه مجرد حلى وزخارف لاتضيف إلى النص الأدبى شيئا، اللهم إلا التحسين والتزيين. وبهذا صار علم البديع علما من الدرجة الثانية، إن صح أن نقسم علوم البلاغة إلى درجات، بخلاف علمى المعانى والبيان، فهما ـ فى رأى الخطيب ومن شايعه ـ علمان أصيلان لاغنى عنهما أبدا، فبهما يستطيع الأديب أن يطابق بين مقتضى الحال وما ينشئه من قول (٣). أما علم البديع: فهو عند الخطيب ومن شايعه عبارة عن وجوه تابعة للبلاغة، غير راجعة إلى مطابقة مقتضى الحال ولا إلى الفصاحة ـ تورث الكلام حسنا وقبولا». وأرجعها بعضهم إلى الفصاحة باعتبار إمكان تحققها دون تحقق البلاغة، أو باعتبارها «طرق الإفهام والتبيين، وطرق تزيين الكلام بإيداع الكلام مايورثه القبول من وجوه التحسين (٤).

---

(١) انظر تعريف العسكرى للبلاغة، الصناعتين، تحقيق د. مفيد قميحة، ص ١٩.

(٢) أد. عبدالواحد علام، قضايا ومواقف فى التراث البلاغى، ص ١٢.

(٣) أد. علام، البديع، المصطلح والقيمة، ص ٦٩.

(٤) بدر الدين بن مالك، المصباح، ص ٤.

ولقد كانت تلك النظرة فى حاجة إلى من يعيد تقويمها من جديد خاصة بعد أن ارتفعت الأصوات التى ترى فى البديع أمرا لايمت إلى الأصالة بنسب، وهى أصوات جانبها الصواب [1]، كما سنبين بعد أن نعرض لتناول الطيبى لبعض فنون هذا العلم، وطريقة معالجته له والحق أن جهود الطيبى لنصرة البديع وإعادته لمكانه اللائق به بين علوم البلاغة ـ لم تقف عند حدود الدراسة النظرية، بل تخطت ذلك إلى تقديم نماذج رائعة من التطبيقات البلاغية التى تكشف عن قيمة البديع وأثره فى تحقيق مطابقة الكلام لمقتضى الحال، مما هو مقصود البلاغة وقد ظهر ذلك الجهد التطبيقى واضحا جليا سواء فى كتابه «التبيان»، أو فى حاشيته على الكشاف، أو شرحه لمشكاة المصابيح، هذا، وقد كان فن الالتفات من أكثر تلك الفنون البديعية التى أولاها الطّيبى عناية خاصة سواء على المستوى النظرى أو المستوى التطبيقى.

ثالثا: معالجته لأسلوب الالتفات:

وهو «على الرغم من أهميته كما سنرى ـ لانجد من البلاغيين من وقف عنده وقفات متأنية يبين فيها ماله من قيمة، على الرغم من أنه كان أول المحاسن الثلاثةعشر التى تناولها ابن المعتز» [2]، كما أنه كان أول المحاسن على الإطلاق عند الطّيبى» [3].

«ولعل من الأسباب التى جعلت البلاغيين ـ أو الكثرة الكاثرة منهم ـ يتعاملونه على هذا النحو أنهم لم يتفقوا على مكانه بين علوم البلاغة الثلاثة التى فرقوا مباحثها بينها كما هو معروف، فهو فى رأى بعضهم يندرج تحت فنون علم البديع، وفى رأى بعض آخر يدخل فى دائرة علم المعانى، بل جعله، بعضهم من البيان، بل إن السكاكى حين تناوله فى دائرة المسند إليه ـ وإن كان لايختص به كما قال ـ

(١) أد. علام، البديع المصطلح والقيمة، ص٦٩.

(٢) السابق، ص ٧٣ ـ ٧٤، وانظر البديع لابن المعتز، ص ٥٨ ـ ٥٩.

(٣) الطيبى، التبيان، ق٦٢ المخطوط. الأصل / ٥٧٣٥ هـ. بدار الكتب المصرية.

ذكر أن نقل الكلام من الحكاية إلى الغيبة يسمى «التفاتا عند علماء علم البيان» بيد أنه يعود فيذكره فى المحسنات المعنوية، ولكنه يكتفى بالقول: «وقد سبق ذكره فى علم المعانى» (١).

ولقائل أن يقول فإذا كان البلاغيون قد اختلفوا فى مكان دراسة البديع على هذا النحو، فإن بيان معالجة الطيبى له فى علم البديع أمر لايصح الاستدلال به على إعلاء الطّيبى لشأن البديع، وجعله من العلوم التى ترجع إليها البلاغة، وتحقق مطابقة الكلام لمقتضى الحال، إذ لم يتحقق كون الالتفات من البديع، حتى يستدل به على ذلك إلا أن تبين استحقاقه بدراسته فى البديع، حتى يسلم لك ما أردت.

والحق أنه وإن كان بعضهم قد حاول التوفيق بين هذه الآراء التى تراه مرة فى المعانى وأخرى فى البديع، ومنهم من انتصر لدراسته فى البديع دون غيره ورأى أن عده من البديع أقرب (٢)، إلا أننا لن نشغل أنفسنا بإثبات أحقية البديع بدراسة الالتفات. لأن هذا الأمر يعنى أننا نعترف بهذا التقسيم الثلاثى للبلاغة، فضلا عن أننا إنما ذكرناه هنا فى أول مباحث البديع، وقد عده الطّيبى كذلك، لنبين أن الطّيبى وإن عالجه ضمن مباحث البديع فإنه كان واعيا بما يحققه هذا الأسلوب من المطابقة لمقتضى الحال، وذلك تبعا لنظرة الطّيبى إلى البديع، والتى خالف بها نظرة البلاغيين إليه.

كما أن ثمة أمرا مهما وهو أن هذا الفن لم ينل العناية الواجبة له من الدرس والتحليل حتى عند هؤلاء الذين عدوه ضمن مباحث علم المعانى، فإنهم رأوا أنه لايدخل علم المعانى أصالة، وإنما يدخله لعارض اقتضاء المقام فائدته، فكأن الأصل فيه ألا يقتضيه المقام، ولذا فإن أولى العلوم به على ذلك، علم البديع؟».

---

(١) أ، (٢)د. علام، البديع، المصطلح والقيمة، ص ٧٤.

(٣) أبو يعقوب المغربى، مواهب الفتاح، ضمن شروح التلخيص. ١/ ٤٦٣.

فلقد تساءل المغربى: لأى وجه خصص السكاكى تسميته بعلماء المعانى «مع أن عد الالتفات من البديع أقرب، لأن حاصل مافيه... أنه يفيد الكلام طرافة وحسن تطرية... ولا يكون الكلام به مطابقا لمقتضى الحال، فلا يكون من علم المعانى، فضلا عن كونه يختص بهم فيسمونه به دون أهل البديع؟».

ثم يجيب: أما كونه من الأحوال التى تذكر فى علم المعانى فصحيح كما إذا اقتضى المقام فائدته... فهو من هذا الوجه من علم المعانى، ومن جهة كونه شيئا طريفا مستبدعا يكون من علم البديع، وكثيرا مايوجد فى المعانى مثل هذا فليفهم»[1].

ويقول أيضا، «وذكر الالتفات فى علم المعانى صحيح، لأن المقام قد يقتضى كثرة الإصغاء إلى الكلام واستحسانه، فيتوصل إلى ذلك بالالتفات. فإن أريد مجرد تحسين الكلام من غير مراعاة المطابقة كان من البديع» (٢).

وكذلك يرى الدسوقى أن الالتفات «إن قصد به المطابقة لمقتضى الحال كان من مباحث فن المعانى، والأصح أن يعد من فن آخر» (٣).

وهكذا، ترى أن القوم قد غفلوا عما لهذا اللون البلاغى من قيمة كبيرة تتجاوز حد التحسين والتزيين، ورأوا أنه لايجاوز تلك السمة إلا عرضا حيث يعرض له اقتضاء المقام فائدته، وكأن القوم قد زهدهم فى الالتفات وما فيه من قيمة عالية أنه قد عد من البديع لذا فقد التفتوا عنه، ولسان حالهم يقول: اخرجوه من البلاغة، إنه قد عد من البديع!.

فإذا كانت هذه نظرة القوم للالتفات، فقد أثرت تلك النظرة على طريق معالجتهم له، إذ ترتب على تلك النظرية الضيقة للالتفات أن قصروا قيمته «على

---

(١) أبو يعقوب المغربى، مواهب الفتاح، ضمن شروح التلخيص، ١/ ٤٦٣.

(٢) السابق، ٤٧٣..

(٣) السابق ١/ ٤٨٨.

تنشيط السامع وتطريته، لأن السامع فى رأى أصحاب تلك النظرة ـ ربما مل الأسلوب الذى يجىء على وتيرة واحدة، وحينئذ يجئ الالتفات تنشيطا له فى الاستماع واستمالة له فى الإصغاء، ومعنى هذا أن هؤلاء يحاولون ما وسعتهم المحاولة نقل الاهتمام إلى السامع أو المتلقى بصفة عامة، أما المبدع فغير منظور إليه هنا، قياسا على المنهج العام الذى حكم رؤيتهم لمفهوم البلاغة» (١).

وبعد فلعلى أكون الآن قد مهدت لتناول صنيع الطيبى فى هذا الفن البلاغى لمعرفة مدى وقوفه على أغراضه البلاغية، وإدراكه لقيمته التعبيرية التى تبرز من خلال نماذجه.

رابعا: تعريف الطيبى للالتفات

ذكر الطّيبى الالتفات فى الباب الأول من البديع، وهو فى التحسين الراجع إلى المعنى، وقد عد الطّيبى الالتفات أول أنواعه، وعرفه بقوله: «هو الانتقال من إحدى الصيغ، أعنى الحكاية والخطاب، والغيبة إلى الأخرى لمفهوم واحد رعاية لنكتة» (٢).

وفى الحق أن الطّيبى يكاد ينفرد بهذا التعريف للالتفات دون البلاغيين، فلم أجد فيما راجعته من المراجع من نص فى تعريفه للالتفات على أنه إنما يقع رعاية لنكتة(٣)، وإن كان الطّيبى قد تأثّر فى ذلك بكلام ابن الأثير فى المثل السائر إلا أن ابن الأثير لم ينص على ذلك فى تعريفه للالتفات، وإنما جاء كلامه فى هذا المعنى فى ثنايا رده على الزمخشرى فى بيان غرض الالتفات.

---

(١) أد. علام، البديع، المصطلح والقيمة، ص ٧٧.

(٢) الطيبى، التبيان، ق ٦٢ المخطوط. الأصل بدار الكتب المصرية ٥٧٣٥ هـ.

(٣) انظر الزمخشرى، الكشاف، ١/ ١٠، السكاكى، مفتاح العلوم، ص ١٠٦، القزوينى، الإيضاح، ص ١٥٧، ابن مالك، المصباح، ص ٣٠، الرازى، نهاية الإيجاز، ص ٢٨٧، ابن الأثير، المثل السائر، ٢/ ١٦٩، العلوى، الطراز ٢/ ١٣٢.

كما أن كلام البلاغيين فى هذا المقام يدل على أن تلك النكتة لاتقع إلا عرضا فيقول الخطيب: «واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام ووجه حسنه ـ على مادكر الزمخشرى ـ هو أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وأكثر إيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد. وقد تختص مواقعه بلطائف. . . . [1]»

فانظر كيف حدد غاية الالتفات بما ذكر، ثم أشار إلى أنه قد يساق رعاية للطيفة أو نكتة، أى أن ذلك إنما يقع عارضا فيه، وليس الأصل أن يكون كذلك. بينما يعلق الطّيبى فى حاشيته على قول الزمخشرى السابق فيقول: «واعلم أن حصول التطرية من الانتقال ليس لمجرد كونه انتقالا بل لاستتباعه لطيفة، إذ اللفظ متبوع المعنى، والتطريةإنما تحصل من انتقال المعنى من قبل انتقال اللفظ، لأن الأرواح إنما تستلذ بالمعانى، وإليه الإشارة بقوله، وقد تختص مواقعه بفوائد» [2].

فالطّيبى هنا ـ وإن كان حريصا على عدم مخالفة الزمخشرى، كما هو دأبه فى الحاشية ـ نجده يوجه كلام الزمخشرى ليتفق مع رؤيته البلاغية ما استطاع إلى ذلك سبيلا. فهو ينبه إلى حصول التطرية من الانتقال ليس لمجرد كونه انتقالا بلا لاستتباعه لطيفة، فيرجع بذلك حسن الالتفات إلى مايشتمل عليه من نكتة أو لطيفة، معنوية يطابق بها المقام وبذلك يتفق كلامه فى الحاشية مع كلامه فى التبيان.

هذا وقد تكلمت باستفاضة عن صنيع الطّيبى فى الالتفات على المستويين النظرى والتطبيقى فى رسالتى للماجستير عن الطّيبى وجهوده البلاغية فلتراجع[*].

---

(١) القزوينى، الإيضاح، ص ١٦٠ والزمخشرى، الكشاف، ١/ ١.

(٢) الطّيبى، فتوح الغيب، ص ٤٧٣ تفسير تيمور، ق ٢٢/أ.

(*) راجع رسالتى للماجستير عن الطيبى ط المكتبة التجارية ـ مكة المكرمة.

خامساً: استقلال الطّيبى بالبديع عن المعانى والبيان:

بقي بعد ذلك أن نناقش الطّيبي فيما ذهب إليه من استقلال البديع عن علمي المعاني والبيان حيث يجعله علما مستقلا بذاته عن هذين العلمين وليس تابعا لهما كما عليه مدرسة السكاكي. وقد يقال إنه تابع في ذلك الخطيب القزويني ولكن يمنعنا من التسليم بذلك، اختلاف نظرة الطّيبي إلي البديع عن نظرة الخطيب له كما أسلفنا، ولكنهما علي كل حال قد فصلا البديع عن أخويه المعاني والبيان، والحق أن هذه العلوم الثلاثة إنما تخرج من مشكاة واحدة وهي: «مطابقة الكلام لمقتضي الحال «و» أن علوم البلاغة الثلاثة ـ وليس علم المعاني وحده ـ تقوم بصفة أساسية علي تحقيق هذه المطابقة وتعمل علي مراعاتها. . . »[1] إذإن الثمرة المستفادة من علم المعاني، وهي معرفة أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضي الحال تستفاد أيضا من علم البيان والبديع»[2]

ومن ثم «نفضل النهج الذي انتهجه السكاكي حيث لانجد عنده مايشير إلي أن ثمة فروقا بين هذه المحسنات وغيرها من مباحث علمي المعاني والبيان، حتي إنه يذكر من هذه المحسنات «الالتفات» و«الإيجاز» ويلفت نظر القارئ إلي أن هذه الألوان قد سبق الحديث عنها في علم المعاني، أما الخطيب فقد سلب البديع كل شئ إلا التزيين والتحسين، وإذا كان الأمر كذلك فالحق أنه قد سلبه كل شئ»[3] والحق أن الطيبي قد أهدر جزءا كبيرا من محاولته التجديدية في جعل البديع علما أصيلا ترجع البلاغة إليه مرجعها إلي العلمين الآخرين، أهدر من هذه المحاولة، حيث تابع الخطيب ومن جاء بعده في تقسيمه الثلاثي لعلوم البلاغة إلي تلك العلوم الثلاثة، ولذا فإني أتابع د. عبدالستار مبروك فيما أخذه علي الطّيبي حيث

---

(١) أد. علام، قضايا ومواقف في التراث البلاغي، ص ١٢ ـ ١٣.

(٢) المراغي، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، ص ١١٥ ـ ١١٦

(٣) أد. علام، السابق.

يقول: «ولكني ألاحظ علي الطّيبي متابعته للسكاكي في تقسيمه الثلاثي لعلوم البلاغة، وفي تعريفه لعلم المعاني الذي يجعل تتبع خواص التراكيب أو معرفة الأحوال التي بها يطابق اللفظ مقتضي الحال مقصورة علي علم المعاني، وبهذه المتابعة يمكن مناقشة الطّيبي بما لايجعل لمحاولته كبير فائدة، فيقال له: جعلك البديع من صميم البلاغة مع متابعتك للسكاكي فيما قرره في تعريف علم المعاني يقتضي صيرورة البديع من الخصوصيات التي يبحثها علم المعاني، ولذا صار من صميم البلاغة، وهذا الاتجاه لاتلفظه مدرسة السكاكي ولا ترده، فإن المحسن البديعي إذا اقتضاه المقام صار خصوصية من الخصوصيات التي تنضوي تحت لواء علم المعاني، وعليه فلم تأت بجديد» (١) وأنا أقول إن الطيبي كان بينه وبين الخروج من أسر السكاكي خطوة فلم يخطها، فإنه قد خطا خطوة جريئة مشاها وحده في قفار التحرير والتجديد، ولكنه يبدو أنه قد استوحش الطريق فرجع.

لقد عد الطّيبي البديع علما من صميم البلاغة لاتفاقه مع أخويه الآخرين في الغاية والسبيل وكان جديرا بالطيبي حينئذ أن يوحد بين هذه العلوم الثلاثة التي تتجه نحو غاية واحدة وتعمل جميعا لمطابقة الكلام لمقتضي الحال، ولكن غلب عليه هنا طابع التقليد السائد في عصره. علي أننا لانمضي مع د. عبدالستار في توهينه صنيع الطّيبي إلي حد الزعم بأنه لم يأت بجديد كما أن ما أورده علي الطّيبي لايسلم له كله بل يمكن أن يناقش فيه، ويرد عليه بما ذكره هو من اعتراض علي الطّيبي حيث قال: إن المحسن البديعى إذا اقتضاه المقام صار خصوصية من الخصوصيات التي تنضوي تحت لواء علم المعاني «وهذا هو المتقرر عند مدرسة السكاكي كما ذكر هو. من ثم فيمكن مناقشته بأن نرد عليه بهذا الكلام نفسه فنقول له قولك «إن المحسن البديعي إذا اقتضاه المقام صار خصوصية من الخصوصيات التي تنضوي تحت لواء علم المعاني «معناه أنه يخرج حينئذ من دائرة البديع، فهذا الاتجاه لايجعل البديع من البلاغة في شئ إلا أن يندرج شئ منه تحت علم المعاني فيكون من علم المعاني، أو يندرج شئ منه تحت علم البيان فيكون من

البيان ومن ثم فهم لايتصورون كون البديع ذاته من البلاغة في شئ، فما دخل منه في المعاني أو البيان فهو من المعاني أو البيان، ولكن ما بقى منه تمحض بديعا فإنه عندهم لا يعدو كونه حلية أو زينة لا يفيد الحسن الذاتي للكلام، بل لاتفيد الحسن إلا تبعا وعرضا لأن هذه الوجوه تابعة للبلاغة، فلا تفيد الحسن إلا بعد حصول متبوعها، أي بعد حصول المطابقة ووضوح الدلالة ولذا فهم لايتصورون وجود البديع مفيدا للحسن إلا بعد تحقق المطابقة ووضوح الدلالة في الكلام أو أحدهما، أي لايفيد البديع الكلام حسنا إلا إذا كان في الكلام شئ من المعاني أو البيان، وحينئذ يكونان أو أحدهما مصدر الحسن الذاتي ولا يكون حسن البديع إلا مقتبسا من حسنها، فهو تبع لهما وأثر من آثارهما. وخلاصة ذلك ألا يتصور حصول حسن الكلام وجودته بالبديع وحده ولا لكلام خلا من المعاني أو البيان.

وهذا مايبدو واضحا من كلام الخطيب وشراح التلخيص وغيرهم ممن سلكوا هذا المسلك العقيم، وقد سبق أن نقلنا كلام التفتازاني في شرحه لعبارة الخطيب عند الكلام علي تعريف الطيبي للبلاغة. كذلك يقول العصام في الأطول «في قوله» «تتبعها» تنبيهات «أحدها» أن الوجوه البديعية لاتحسن بدون البلاغة «وثانيها» أنه يجب تأخير علم البديع عن علم البلاغجة «وثالثها» أن الحسن الذي تورثه عرضي غير داخل في حد البلاغة «ورابعها» أن هذه الوجوه إنما تكون من البديع إذا لم يقتضها الحال إذ لو اقتضاها الحال لم تكن تابعة للبلاغة» (١).

وهذا الكلام كله واضح في أنهم لايتصورون البديع رلا خارج دائرة البلاغة وأن حسنه عرضي مقتبس من المعاني أو البيان اللذين قد اختصا بعلم البلاغة، واخحتص بهما، ولذا فيجب تأخير البديع عن علم البلاغة المختص بالمعاني والبيان كما أن كلام الخطيب في هذا المعني وقد سبق نقل أغلبه في الكلام علي تعريف البلاغة، وليس ثمة أوضح من قول التفتازاني في شرحه تعريف الخطيب للبديع

---

(١) العصام، الأطول، ١/٢٦.

«هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة (ووضوح الدلالة) أي بالخلو عن التعقيد المعنوي للتنبيه علي أن هذه الوجوه إنما تعد محسنة للكلام بعد رعاية الأمرين وإلا لكان كتعليق الدرر علي أعناق الخنازير» (١).

وبعد ذلك كله نتساءل ونقول أين ذلك كله من صنيع الطّيبي الذي يجعل حسن البديع ذاتيا، ويجعله مقتضي من مقتضيات البلاغة مطلوبا فيها لذاته، ومحققا لمقصودها، ويجعله محققا لهذا المقصود صدود ولذلك الحسن بنفسه سواء تقدمه شئ من المعاني أو البيان أولا فحسنه ليس مستمدا من حسن غيره ولا متأخرا عن رعاية المطابقة أو وضوح الدلالة.

وقد كان هذا الأمر الذي حسمه الطّيبي محل خلاف وجدل طويل عند متأخري البلاغيين (٢) بقي بعد ذلك أن نناقش صنيع الطّيبي في تقسيمه البديع إلي تلك الأنواع الثلاثة التي ذكرها: وهي مايرجع إلي المعني وما يرجع إلي اللفظ، وما يرجع إليها معا، وبحثه الأول والثالث تحت علم البلاغة، وبحثه الثاني تحت علم الفصاحة.

سادساً: التقسيم الثلاثى للبديع عند الطيبى

أقول بادئ ذي بدء إن هذا التقسيم الذي قسمه الطّيبي للبديع تقسيم منطقي يستقيم مع خطة كتابه، حيث قسم كتابه إلي فنين: فن البلاغة، وفن الفصاحة، وحيث ذهب إلي متابعة ابن الأثير في اختصاصه الفصاحة باللفظ دون المعني، ومن ثم فلم يكن ينتظر منه وقد تابع سابقيه في تقسيم البديع إلي معني ولفظي إلا أن يقسمه علي العلمين هذه القسمة فيخص البلاغة بالمعنوي، ويخص الفصاحة باللفظي.

ولكننا نحتاج بعد ذلك إلي وقفة لمناقشة الطّيبي في متابعته لسابقيه في هذا التقسيم بل في إحداثه قسما ثالثا: هو مايرجع إلي اللفظ والمعني، وهو رأي خاص

(١) المطول، ص ٤١٦.

(٢) د. أحمد ابراهيم موسى، التصنيع البديعي، ص ٥٠٥ ـ ٥٠٦.

بالطيبي، لانعلم أحدا سبقه إليه.

يري الطّيبي متابعا في ذلك السكاكي والقزويني وغيرهما ممن سبقه أن ألوان البديع منها مايرجع تحسينه إلي المعني ومنها مايرجع تحسينه إلي اللفظ وقد زاد الطيبي علي البلاغيين بإحداث نوع ثالث يرجع إليهما معاغ. وقد عاب د. عبدالستار مبروك علي الطّيبي هذا التقسيم، ودعا إلي إرجاع ألوان البديع كلها إلي المعني فيقول: «أما عن تقسيم الطيبي تلك المحسنات تلك القسمة الثلاثية التي لم نعهدها من قبل، فأقول كان الأجدر به النأي عنها واعتبار المحسنات كلها معنوية لأن أكثر هذه المحسنات متداخل بعضها في بعض بدليل أن بعض ماعده في المحسنات اللفظية عده غيره في المحسنات المعنوية، فمثلا بينما يجعل الطيبي العكس والتبديل من المحسنات اللفظية نجد القزويني يعتبره محسنا معنويا» (١).

وقد سبق الدكتور عبد الستار فى دعوته إلي إرجاع ألوان البديع كلها إلي المعني باحثون كبار كالأستاذ الدكتور أحمد إبراهيم موسي حيث يقول معقبا علي صنيع الطّيبي السابق في تقسيمه للبديع: «والذي يعنينا من هذا ويؤازر خطتنا هو حصره البلاغة في ثلاثة علوم وجعله البديع موزعا بين البلاغة والفصاحة وأما تقسيمه إلي لفظي وإلي معنوي وقول شراح التلخيص.. إن الحسن في الأول راجع إلي اللفظ أولا وبالذات وإلي المعني ثانيا وبالعرض والثاني علي عكس ذلك، فهذا شئ قد أبطله عبدالقاهر فيما عرضناه عليك قريبا واحتاط له السكاكي أبلغ احتياط وأتمه حيث قال بعد سوق الأنواع اللفظية «وأصل الحسن في جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعاني لا أن تكون المعاني لها توابع» (٢).

ومتي كانت الألفاظ تابعة للمعاني كانت المعاني هي الهدف المروم والغرض المقصود (٣).

---

(١) السابق، ص ٥٠٢

(٢) التبيان، تحقيق د. عبدالستار زموط، ص ٥٢.

(٣) السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٢٢٩.

هذا وهو يحتج في ذلك بما أشار إليه من كلام عبدالقاهر الذي نقله عنه في حديثه عن الجناس والسجع [1] حيث قال بعد نقله لكلام عبدالقاهر فيهما «وقد رأينا فيما سلف تسوية عبدالقاهر بين الجناس والسجع في أنهما لايكونان مقبولين حتي يكون المعني هو الذي طلبهما واستدعاهما وساق المتكلم نحوهما وحتي تجدها لاتبتغي بهما بدلا ولا تجد عنهما حولا . . . [2].

والكلام الذي احتج به هنا من كلام عبدالقاهر هو قوله: «وهاهنا أقسام قد يتوهم في بدء الفكرة. وقبل إتمام العبرة: أن الحسن والقبح فيها لايتعدي اللفظ والجرس، إلي ماينا جي فيه العقل النفس، ولها إذا حقق النظر مرجع إلي ذلك، ومنصرف فيما هنالك، منها التجنيس والحشو». [3] وبعد أن يعرض عبدالقاهر أمثلة يدلل علي بها علي أن الفضيلة لم تكن إلا لنصرة المعني يقول: «وعلي الجملة فإنك لاتجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتي يكون المعني هو الذي طلبه واستدعاه وساقه نحوه، وحتي تجده لاتبتغي به بدلا، ولا تجد عنه حولا، ومن هاهنا كان أحلي تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحق بالحسني وأولاه: ماوقع من غير قصد المتكلم إلي اجتلابه، وتأهب لطلبه» [4].

فعبد القاهر ومن تابعه من الباحثين المحدثين يري أن كل تحسين إنما يرجع إلي المعني دون اللفظ، وهو يبرهن علي دعواه السابقة بضرب المثل علي ذلك بأكثر مايتصور فيه أن حسنه من جهة لفظه وهو الجناس والسجع مبينا أن الحسن فيما حسن منه إنما يرجع إلي المعني بالأصالة لا إلي اللفظ.

ولكن وجدت من الباحثين المحدثين من خرج علي هذا الرأي لعبد القاهر ورأي

---

(١) الصبغ البديعي، ص ٤٩٢ ـ ٤٩٧.

(٢) السابق، ٤٩٦

(٣) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص٣.

(٤) السابق، ص ٧.

أنه قد غـالي في نصرة المعني وأن هناك ألوانا من البديع لايتـصور الحسن فيـها إلا من جانب اللفظ فيقول د. بدوي طبانة: وكما كان الجاحظ مغاليا في تقدير اللفظ كان عبـدالقاهر مغاليـا في تقدير المعني» [1]. ويقول «وهيـام عبدالقـاهر بالمعني هو الذي جعله يفسر كل حـسن لفظي تفسيرا معنويا أما رجوع الاسـتحسان إلي اللفظ من غيـر مشاركة المعني فـيه فلا يكاد يعدو نمـطا واحدا، وهو أن تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في اسـتعمالهم ويتداولونه في زمانهم، ولا يكون وحشـيا غريبا، أو عاميا سخيفا» [2].

فالتجنيس مثلا الذي يقوم علي أساس من المناسبة في الألفاظ، وجمع المتجانس منها في النطـق حسنه في لفظه، وجمـاله في جرسه، لأن اللـفظ حين جري علي اللسـان أو علي القلم ذكر بمثله وشـبهـه الذي هو من جنسـه في التلفظ والنطق، فاللفظ الأول هو الذي جـر اللفظ الثانيث، كـما يدعو المعني شـبيهـه أو المضاد له لاعلي سبيل الإعادة والتكرار ولكن متحملا معني آخر.

وقدرة الأديب اللفظيـة وتمكنه من فقته ومـعرفة مقـرداتها ومعانيـها، هي التي مكنـت هذا الأديب من إيراد الألفـاظ هذا المـورد، وليس للمـعني أثـر في هذا الإيراد، وإنما المعـني هو الذي تبع اللفـظ وانقـاد له، وليس المعنـي هو الذي جـر اللفظ واستدعاه» [3].

ثم يأخذ علي عبدالقاهر موقفه السـابق من اللفظ فيقول: «ولكن عبدالقاهر في سبـيل دعم نظريته، وإن كـان يري ذلك حقا، يجـعل الجمال الـفني الذي أحدثه (التجنيس) بسبب من الجمال المعنوي» [4].

---

(١) د. بدوي طبانة، البيان العربي، ص ١٤٣.

(٢) السابق، ص ١٤٥.

(٣) السابق، ص ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٤) البيان العربي، السابق.

ثم يذكر نص كلامه الذي سبق لنا الإشارة إليه، ثم يتبعه بالنقد، كما عرج علي نقد رأيه في الشجع كذلك، مع اشتداد نكيره عليه فقال: «ولا يبعد رأي عبدالقاهر في السجع عن رأيه في التجنيس، وإذا كان لكلامه شئ من الوجه في التجنيس، فلن يجد وجها يوافق وجهته ونظريته في اللفظ والمعني، في السجع بالذات. لأنه لفظي بحت، ولا شبهة لتأثير المعاني فيه، لأن هذا السجع قائم علي مراعاة وحدة النغم والجرس وذلك مرجعه إلي الأصوات، ومن هذه تتكون الألفاظ، ولذلك يعرف السجع بأنه تماثل الحروف في مقاطع الفصول» (١).

ثم نقل د. طبانة بعد ذلك كلام عبدالقاهر في ذلك، وقد سبق ذكر طرف منه ثم عقب عليه بقوله» ومثل هذه الآراء هي التي جعلت البلاغيين يضطربون اضطرابا واضحا في الكلام علي فنون البديع، وفي تقسيمها إلي محسنات لفظية ومحسنات معنوية، وقولهم إن المحسن المعنوي منسوب إلي المعني أولا وبالذات، بمعني أن ذلك التحسين قصد أن يكون تحسينا للمعني، وذلك القصد متعلق بتحسين المعني أولا، ومتعلق به لذاته. وأما تعلق القصد بكونه تحسينا للفظ فيكون ثانيا وبالعرض، أي لأجل عروض كون الغرض فيه أيضا. وإنما قالوا هكذا لأن هذه الأوجه قد يكون بعضها محسنا للفظ، لكن القصد الأصلي منها إنما هو إلي كونها محسنة للمعني كما في المشكاة» (٢).

ولا أدري لأي شئ ألصق الأستاذ الدكتور طبانة هذه التهمة بعبد القاهر وجعله مسئولا عن ذلك التقسيم الفاسد الذي أحدثه البلاغيون بعده إذ قسموا البديع إلي مايرجع تحسينه إلي اللفظ، وما يرجع تحسينه إلي المعني، فالحق أن عبدالقاهر كان «لايهمه أبدا أن يقسم هذه الألوان إلي طائفة تنتمي إلي اللفظ وأخري تنتمي إلي المعني، فهو ضد هذه الثنائية العجيبة منذ البداية» (٣).

(١) السابق، ص ١٤٧.

(٢) السابق، ١٤٨.

(٣) أ. د عبدالواحد علام، البديع، المصطلح والقيمة، ص ٥٧.

وعليه فثمة فريقان، فريق يري أن تحسين اللفظ لايطلب بحال، وإنما الذي يطلب ويقصد هو تحسين المعني، وأنك متي طلبت المعني وجدت اللفظ إزاء ناظرك، فلا يشغل بطلب اللفظ، وهؤلاء ينكرون إرجاع التحسين إلي اللفظ دون المعني، وفريق يري أن تحسين اللفظ من مقصود البلاغة، فلا مانع من القصد إليه مع مراعاة المعني، وهؤلاء يجيزون رجوع التحسين إلي اللفظ ونسبته إليه.

والحق أن بين الفريقين خلافا مؤثرا في المعني والتطبيق، فشتان بين رأي يبيح للأديب أن يقصدر إلي الصناعة اللفظية، والتنمق في الألفاظ والصيغ مع مراعاة اتساقها مع المعاني، وبين فريق يأمره ألا يعرج علي شتي من هذا وأن يسلم قياده للمعاني تصرف لسانه أو قلمه كيف ضشاءت، فإن حدث شئ من تلك الزينة اللفظية فبها ،تعمت، وإلا فلا ضير عليه فقد أدي حق البلاغة والفصاحة، فيجب «أن ترسل المعاني علي سجيتها، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ (١) وقد كان المتصور ألا يكون بين الفريقين خلاف في التطبيق، وذلك لما وضعه كل منهما من شرائط تضمن التوسط والاعتدال، ولكن لاختلاف القصد فكثيرا ماتنسي هذه الشرائط، فيثختلف التطبيق، فينسي أنصار اللفظ شرط ملاءمة المعني، فيظهر التكلف الممقوت، وينسي أنصار المعني أن للفظ في عذوبته جرسه، وحلاوة نغمته مزية لاتنكر، فيظهر الجفاف في الأساليب، ويغلب مراعاة المعني علي اختيار اللفظ وإحداث النغم. والحق أن كلا الفريقين معه نصيب من الحق، فلناصر المعني أن يحتج علي ناصر اللفظ فيقول له أرأيت إن زينت كلامك بما شئت من سجع وجناس، وغير ذلك مما ترجع حسنه إلي اللفظ، ثم وجدت بعد ذلك من الألفاظ ماهو أصلح لبيان مرادك، أتراك لاتدع هذه الألفاظ التي استجلبت بها السجع أو الجناس إلي غيرهال مما هو أوفق للمعني؟ فإن قلت نعم لا أدعها، قلنا لك إذا فهذا هو التكلف بعينه، وإلا فأخبرنا أي شئ يكون التكلف؟ وإن قلت بلي أدعها إلي

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٩ ـ ١٠.

غيرها مما هو أوفق للمعني، وأصلح له. قلنا لك فها أنت قد تركت دعواك إلي نصرة اللفظ، ورلي إرجاع حسن هذه الفنون إلي اللفظ دون المعني، وإلا فكيف تحكم بأن حسنها يرجع إلي اللفظ وهي لاتحسن رلا إذا أتي بها المعني واقتضاها. فإن قلت ولكنك حينما تستحسنها إنما يبهرك منها ما اشتملت عليه من سجع أو جناس أو غير ذلك، مما هو أثر اللفظ دون المعني.

قلت إنما يبدو ذلك لمن يقف علي ظاهر الأمر دون أن ينفذ إلي باطن الأمر وحقيقته فإنه إذا فتش في حقيقة الزمر لوجد أن هذه الألاظ ماحسنت رلا لأنها أوفق للمعني من غيرها وأن غيرها لايسد مسدها، فمن حكم عقله، وأهمه بيان مراده تجده لايبتغي بها بدلا ولا يجد عنها حولا، وتراه ينطق بها وكأنه مسير في ذلك لامخير، وذلك بحكم العقل وبحق بيان المعني الذي هو غاية كل عاقل من كلامه ونطقه. ولذا تسقط هذه الألفاظ وتعد لغوا يتنزه عنه العقلاء في كلامهم إذا كان ثمة ماهو أصلح منها للمعني المراد.

كذلك فإن لناصر اللفظ أن يحتج علي ناصر المعني فيقول له أرأيت إن أتيت باللفظ الذي يوافق مرادك ويطابقه فعبرت به عن الذي تريد ثم وجدت من الألفاظ مايرادفه أو يساويه في بيان ما أردت من المعني إلا أنه يفضله بتحقيق سجع أو جناس أو غير ذلك من حلي الكلام أفتراك لاتدع ماعبرت به عن مرادك وفضلت عليه ماسواه في المعني وزاد عليه في حسن اللفظ، فإن قلت نعم، لا أدع ما أدي المعني لمثله في أداء المعني مع زيادته في حسن اللفظ وجمال الجرس.

قلنا لك فإن فعلت فقد أخللت بحق الفصاحة والبلاغة والبيان، فإن حسن اللفظ وجمال الجرس لهو من مطلوب البلاغة بالمقام الذي لاينكر فهو الذي يشنف الأذن ويستميل النفس، ويشوق القلب والعقل وإن قلت نعم أدع ما أدي المعني ووفاه إلي ماساواه في ذلك وزاد عليه بحسن اللفظ، وجمال الجرس. قلت لك فها أنت قد راعيت جانب اللفظ واستحسنت بعض الفنون لا لشئ إلا لأجل اللفظ ولو كان استحسانك لها لأجل المعني دون اللفظ، فإن غير تلك الألفاظ قد ينوب

منابها في ذلك غير أنك تراك إذا راعيت قانون البلاغة وميزان الفصاحة، لا تبتغي بتلك الألفاظ بدلا، ولا تكاد تجد عنها حولا. وإذا كان ذلك كذلك فقد آقررت برجوع حسن بعض فنون الكلام إلي اللفظ وذلك بما تشتمل عليه من عذوبة اللفظ وحسن الجرس وجمال النغم.

والحق أن هذا الجرس وهاتيك الأنغام ليست بوحشية ولا غريبة عن البلاغة بل هي زينتها، وثوبها المنمق والذي لولاه لتجردت عاطلة من كل زينة، تحببها رلي النفوس وتستر عورتها، وتزينها ف يأعين الناظرين.

ولعمر الله إن ذلك التزين، وتلك الأصباغ والحلي لهي أشبه شئ بحلي العروس حينما تنوس فتحدث من الجرس والنغم مايشنف الأذن، ويستميل النفوس، لتشرئب الأعناق، وتمتد الرقاب وتحدق الأعين، يحدوها جرس تلك الحلي، وشذا هذه الأصباغ لتري ماتوقعته من حسن وجمال، وذلك لطول اقتران تلك الأجراس وهاتيك الروائح بالغيد الحسان، وذوات الخلق الفتان. وهنا إما أن ينظر الناظر فيصدق الواقع ماجال بخاطره فتقر عينه لذلك الجمال الذي أتاه بعد تشوق إليه وتلهف منه عليه. وإما ألا يجده كما عهده من اقتران تلك الأجراس وهاتيك الرزوائح بكل خريدة حسناء فحينئذ يلم به الحنق ويشتعل به الغيظ لما أبصر من الزيف وعاين من الخداع.

وكذلك سواء بسواء تجد أن ذلك التجنيس وهاتيك الأسجاع وغير ذلك من ضروب البديع وألوان الإمتاع، تستميل النفوس وتستجلت الاذان فتشوق تلك النفوس وهاتيك الآذان رلي تذوق ماعهدته من البلاغة والإفصاح، وكأن عهدها باللفظ الحسن المعني الحسن، فرذا ماوجدت المعني علي وفاق اللفظ فيما بدا من حسن رونقه، وعذوبة جرسه ازداد فرج النفس بهذا اللفظ لما تجدد لها من حسن معناه بعد حسن لفظه، ورلا فهو البصر بالزيف ومعاينة الغبن والخداع.

وإذا كانت البلاغة هي كما يقول أبو هلال في الإبانة عن حد البلاغة «البلاغة

كل ماتبلغ به المعني قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن» وكانت الفصاحة هي الإبانة مع الخلوص من التعقيد» فلا شك أن كل مايعين علي ريصال هذا المعني المكنون في النفس من تشويق السماع وإثارته وتحريك نفسه يعد من البلاغة في الصميم ومن الفصاحة في المقام الأول ولذا يقول أبوهلال «وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة ومعرضه خلقا لم يسم بليغا وإن كان مفهوم المعني، مكشوف المغزي. . . لهذا يدل علي أن من شرط البلاغة أن يكون المعني مفهوما واللفظ مقبولا علي ماقدمناه: ومن قال إن البلاغة إنما هي رفهام المعني فقط فقد جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب، والإغلاق والإبانة سواءً: وأيضا فلو كان الكلام الواضح السهل والقريب السلس الحلو بليغا وما خالفه من الكلام المستبهم المستغلق والمتكلف المتعقد أيضا بليغا لكان كل ذلك محمود وممدوحا مقبولا لأن البلاغة اسم يمدح به الكلام [1].

وقد رأينا بلا شك أن للفظ من إثارة النفس وتحريكها، وتشويق السامع واستمالته مايحقق تلك البلاغة والفصاحة، ويصدق ذلك المعني أو يكذبه.

والدليل علي ذلك أنك تجد ذلك الأثر من الإثارة والتحريك ولفت الذهن إلي المعني في كل زينة لفظية حسنت أو قبحت ولكنك تفرح وتسر إن وجدت ذلك الحسن اللفظي علي وفاق من النظم وتناسب معه، وتحنق وتغتاظ إن وجدته بغير ذلك وذلك سواء بسواء كأصباغ وزينات قد تزينت بها فتاة سمراء ولكنها لاتليق إلا بفتاة بيضاء، فتلك الأصباغ وإن شانت الفتاة لاتخرج تلك الأصباغ عن كونها أدوات للتحسين والتزيين، حسن بها الفتاة أم قبحت.

وإن كان بعض الناس قد يستعمل تلك الأدوات فيسئ استعمالها فلا يجرمنا

---

(١) أبو هلال العسكري، الصناعتين ص ١٩

ذلك إلي تحريم تلك الأدوات علي الناس، وكذلك سبيل من يحرم القصد إلي تلك الألوان في البديع، ويأمر بأن يترك الأديب المعاني علي سجيتها دون قصد إلي الزينة أو توجه إلي التحسين، إنما حرم ذلك علي الناس لأن بعض من استعمل ذلك أو أكثرهم قد أساء استعماله فلم يراع موافقته للمعني وملاءمته للسياق، وإنما التوسط والاعتدال أن نقول إن تلك الزينة وأدوات التحسين إنما هي مطلوبة لتحقيق قصد البلاغة من إثارة السامع وتحريك نفسه، وتشوفها وتشوقها ثم نوصي الأدباء بأن سحينوا استعمال تلك الأدوات وهاتيك الأصباغ بأن يجعلوها علي وفاق المعاني ومساواتها، فلا مانع من أن يستدعي اللفظ مجانسه، وأن تستدعي الفاصلة أختها مما يحقق السجع أو غير ذلك من ألوان البديع، ولا مانع من أن يقصد الأديب إلي ذلك بحيث رذا كان لديه لفظان مترادفان يحققان المعني سواءً، وجب عليه بحق الفصاحة والبلاغة أن يختار منهما مايحقق تلك الزينة وذلك الجرس اللفظي مع اشتراط مراعاة المعني في ذلك كله بحيث لايترك لفظا هو أوفق للمعني والسياق من أجل تحقيق تلك الزينة وذلك الجرس، فإنه رذا كانت المعاني أرواحا وكانت الألفاظ أجسادا لتلك الأرواح فلا ينبغي أن يضحي بالروح من أجل الجسد.

وإذا كان رأي الدكتور بدوي طبانة يبدو صريحا واضحا في إرجاع كل من الجناس والسجع إلي اللفظ دون المعني، فإن الناظر في كلامه قد يستشعر شيئا من التناقض حيث يعود فيقول: «ولا يسع أي ناقد بصير بالأدب إلا أن يقر الجرجاني علي أن اللفظتين المتجانستين لايستحسنان إلا إذا حمد موقع معنييهما من العقل ولكن هذا في الواقع نتيجة أو حكم، وليس سببا لأن الاستحسان والاستهجان لايكونان إلا لشئ قد وجد فعلا، ومثل أمام الناظر ليقول كلمته فيه» [1].

ولكن قد يزول الإحساس بهذا التناقض إذا أمعنّا النظر في كلامه، فهو يري أن

---

(١) د. بدوي طبانة، البيان العربي ١٤٩.

السبب في استحسان اللفظتين المتجانستين ليس هو موقع معنيهما من العقل بل الحق عنده أن هذا الجناس بذاته وبمفرده هو زينة ومحسن لفظي بادئ ذي بدء سواء ائتلف بالمعني أم لم يأتلف فهو أشبه بأدوات الزينة التي تتزين بها العروس، فقد تستخدم عروس بعض الأصباغ، ولكنها لاتزيدها حسنا ولا جمالا بل لعلها قد تقبح بها وينكر الناظر صورتها بها، لأنها لاتليق بها وإنما تليق بها أصباغ أخر غير تلك الأصباغ، فلا يخرج ذلك هذه الأصباغ عن كونها محسنات ومجملات في ذاتها وإن كانت غير لائقة بتلك العروس إلا أنها قد تليق بغيرها.

وكذلك هذه المحسنات اللفظية من جناس وسجع وغير ذلك فهي في رأي الدكتور محسنات في ذاتها وهي بمفردها دون المعني سبب للحسن، ولكن يتوقف جمال التعبير بها علي حسن امتزاجها بالمعني وائتلافها معه كما يتوقف حسن العروس علي مدي اتفاق هذه الأصباغ مع لونها وهيئتها أما الحكم بائتلافها مع المعني أو عدمه فهو حكم ونتيجة، وليس سببا وعليه فقد عاد الخلاف لفظيا فالدكتور يري أن هذه المحسنات تحقق حسنا للكلام، ولكن هذا الحسن موقوف عليحسن ائتلافها بالمعني، واتفاقها معه وإن كان هذا لاينفي عنها كونها محسنات أصلا.

وهذا الكلام لايرده عبدالقاهر ولا يرفضه، فهو يري أن هذه محسنات للكلام كذلك ولكنه يرفض أن يكون «الحسن والقبح فيها لايتعدي اللفظ والجرس، إلي ماينا جي فيه العقل النفس» [1].

والحق أننا لانريد أن نحول الأمر إلي خلاف حول المصطلح الخاص بهذه الأنواع وهل تنسب إلي اللفظ أم لا؟ فليس واء ذلك ـ في رأيي ـ في هذا المقام كبير طائل ـ فليس من هذا الجانب أتي القوم.

فلا مانع من أن نسمي بعض هذه الفنون بالمحسنات اللفظية، باعتبار أن جمال

(١) عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة ، ص ٣.

اللفظ هو أول مايبدو منهـا ويظهر وهو أول مايبهرك ويدعـوك لتأمل المعني، فأنت تري حسن لفظهـا قبل تأملك لحسن مـعناها، فإن وجدت اللـفظ علي وفاق المعني فهـو ذاك، وإلا فقـد بطل حسنهـا لذلك الموضع من الكلام، فـالعبـرة إذا بمراعاة المعني، ومناسبة اللفظ له، وهو مالم يعبأ به أولئك الذين قسموا البديع إلي معنوي ولفظي، ومنهم الطّيـبي كذلك علي نحو مـاتري من صنيعـه في ذلك حيث أهمل تحليل مـا أورده من أمثلة وشـواهد لما سـماه بالبـديع اللفظي [1]. ولقدر كبـير مما أرجع حسنه إلي اللفظ والمعني معا [2].

وقد درس الطّيبي في الباب الثاني من قسم الفـصاحة وهو في أوصاف التراكيب سبـعة أنواع من أنواع البـديع أرجع تحسـينها إلي اللفظ وحـده وهي : «الجناس ـ العكس والتبـديل ـ رد العجز علي الصـدر ـ التصريع ـ الترصـيع ـ السجع ـ لزوم مالا يلزم» [3].

وهو في كل ذلك لايتميز عن طريقة غيـره من مدرسة السكاكي بشئ كغيره من البلاغيين بسرد الأنواع ويتبع كل نوع منها بشاهد أو أكثر وقد يكثر من الشواهد في بعض المواضع كـمـا في شواهـد الجناس التام وكـذا الجناس الناقـص، وكمـا في العكس والتبـديل، ولكن ذلك كله دونما تحليل، ولو بأقل بعبـارة أدني إشارة، مما يشعـر بل يؤكد أنه لايري لمثل هذه أثرا يتـعدي تلك الزينة اللفظيـة التي لا أثر لها البتـة في تحسين المعني وبالتـالي لا أثر لها في مطابقة المـقام، وليس أدل علي ذلك من أنه نحاها من مـبحث البلاغة إلي مبـحث الفصاحة الذي يخـتص عنده بحسن اللفظ دون المعني.

فهو عـلي سبيل المثال يعـرف (التجنيس التام) بقـوله: «وهو اتفاق اللفظتين في

---

(١) الطيبي، التبيان، ص ٤٨٠ ـ ٥١٩.

(٢) التبيان، ص ٣٤٦ ـ ٣٥٢، ٣٦١ ـ ٣٦٨.

(٣) التبيان، ص ٤٨٠.

الحروف، والهيئة، والترتيب، وهو إما بين اسمين كقوله تعالى: «ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة» وقوله صلى الله عليه وسلم «صولة الباطل ساعة وجولة الحق إلى الساعة» [1].

ثم يسرد الشواهد من الشعر وهكذا دونما أدنى تحليل أو بيان، أما في كتابه لطائف التبيان فهو أسرع من ذلك وأوجز بكثير، وقد زاد فيه على ترك التحليل قلة الشواهد والضن بها والاقتصاد على موطن الشاهد في كثير من الأحيان، مع أنه لايتعدى في الغالب ذكر شاهد واحد. كذلك فإنه لم يأت بجديد في هذا المقام في حاشيته على الكشاف ولا في شرحه لمشكاة المصابيح.

فالحق أن الطيبي لم يخرج في تناوله لهذه المحسنات التي عدها من قبيل المحسنات اللفظية عن تصور معاصريه وسابقيه من البلاغيين لها. ولا أعيب عليه كما سبق أن قلت تسميته رياها باللفظية أو إرجاع تحسينها إلى اللفظ، لأن القول بإرجاع سبب تحسينها إلى اللفظ بالأصالة لايعني إهمال أثرها في تحقيق مطابقة الكلام لمقتضى الحال، واقتضاء المعنى لها.

ومن ثم فليس الشأن في التسمية والاصطلاح فإن هذا يسير، ولكن الشأن في الفهم والتطبيق، فلا مانع من نسبة بعض المحسنات إلى اللفظ بالاعتبار السابق ولكن ينبغي أن يتوقف الحكم بتحسينها للكلام على مدى اتساقها مع المعنى واتفاقها معه. كذلك فقد نسلم بتسمية كل المحسنات بالمعنوية من جهة أنها لاتحسن الكلام إلا بمراعاة المعنى، ولكن ينبغي ألا يدعونا ذلك لإغفال أثر التحسين اللفظي وأنه من مطلوب البلاغة، إذا ما آزر المعنى ووافقه، ومن ثم فلا نلام إذا ما آثرنا لفظا على مرادفه لتحقيق تحسين اللفظ، وجمال الصياغة، مالم يترتب على ذلك إخلال بالمعنى.

والحق أن عبدالقاهر وغيره ممن انتصر للمعنى لم ينف أن يكون للفظ تحسين، ولكنه ينفي أن يقصر هذا الحسن على اللفظ وحده، دون اتساقه بالمعنى، وقد سبق أن نقلنا قول عبدالقاهر عن بعض أقسام البديع حيث ينفي مايمكن أن يتوهم

---

(١) الطيبي، التبيان، ص ٤٨٠ ـ ٤٨١.

فيها من أن يكون «الحسن والقبح لايتعدى اللفظ والجرس، إلى ماينا جى فيه العقل النفس» [1]، وهذا الكلام وإن كان مراده منه هو إثبات أن يقصر الحسن على اللفظ وحده دون ائتلافه بالمعنى، فهو فى الوقت نفسه إثبات لحسن اللفظ كذلك. بل إننا نجد فى كلام عبدالقاهر فى مواضع من كتابيه تسليمه بإمكان رجوع الحسن إلى اللفظ دون النظم، بل نجده يرجع الحسن إما إلى اللفظ وحده أو إلى النظم وحده، أو إليهما معا، فهو يقول: وهذا باب ينبغى أن تراعيه، وأن تعنى به، حتى إذا وازنت بين كلام وكلام دريت كيف تصنع، فضممت إلى كل شكل شكله، وقابلته بما هو نظير له وميزت ما الصنعه منه فى لفظه، مما هى فى نظمه» [2].

ويقول أيضا: «واعلم أن هذا ـ أعنى الفرق بين أن تكون المزية فى اللفظ، وبين أن تكون فى النظم ـ باب يكثر يه الغلط، فلا تزال ترى الشبهة قد دخلت عليك فى الكلام قد حسن من لفظه ونظمه فظننت أن حسنه ذلك كله للفظ منه دون النظم» (٣) ثم يمثل لذلك، ثم يقول: «وجملة الأمر أن هاهنا كلاما حسنه للفظ، دون النظم، وآخر حسنه للنظم دون اللفظ، وثالثا قرى الحسن من الجهتين، ووجبت له المزية بكلا الأمرين» [4].

وبعد فليس ثمة أوضح من هذا الكلام فى إثبات ماكان يراه الجرجانى من إمكان رجوع الحسن إلى اللفظ وحده، ووجوب المزية له دون النظم.

وقد يظن ذلك تناقضا من الجرجانى بعد أن نفى من قبل رجوع الحسن إلى اللفظ وحده دون ائتلافه مع المعنى، واتساقه مع النظم.

وقد يظن ذلك تناقضا من الجرجانى بعد أن نفى من قبل رجوعه الحسن إلى اللفظ وحده دون ائتلافه مع المعنى، واتساقه مع النظم.

---

(١) أسرار البلاغة، ص ٣.

(٢) دلائل الإعجاز، ص ٧٧.

(٣)، (٤) السابق، ٧٧ ـ ٧٨.

ولا يمكن إزالة هذا التناقض، والتوفيق بين كلامه إلا بما سبق أن ذكرته من قبل وهو أن كون هذه الأقسام من فنون البديع محسنات وأدوات تحسين للكلام أمر لاينكر، ولكن حسن الكلام لايتم إلا بالائتلاف مع المعنى والاتساق مع النظم كما ذكرت.

والجرجانى يقصد بحسن النظم حسن ترتيب المعانى، «وأن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو» (١). ولا يكون له فضيلة «حتى ترى فى الأمر مصنعا وحتى تجد إلى التخير سبيلا، وحتى تكون قد استدركت صوابا» (٢).

فهذا هو الذى قد حسن نظمه، وأما النوع الذى يحسن لفظه دون نظمه فأغلب الظن أنه هو الذى يقول فيه «واعلم أن من الكلام ما أنت تعلم إذا تدبرته أن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية حتى انتظم، بل ترى سبيله فى ضم بعضه إلى بعض سبيل من عمد إلى لآل فخرطها فى سلك لايبغى أكثر من أن يمنعها التفرق، وكمن نضد أشياء بعضها على بعض لايريد فى نضده ذلك أن تجئ له من هيئة أو صورة بل ليس إلا أن تكون مجموعة فى رأى العين. وذلك إذا كان معناك معنى لايحتاج أن تصنع فيه شيئا غير أن تعطف لفظا على مثله كقول الجاحظ: «جنبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسبا، وبين الصدق سببا.... إلخ» (٣).

فما كان من هذا وشبهه لم يجب به فضل إذا وجب إلا بمعناه أو بمتون ألفاظه، دون نظمه وتأليفه» (٤).

ومن ثم فهو ليس من مقصود البلاغة عنده، وإن كان «قد اطرد على الصواب

---

(١) السابق، ص ٦٦.

(٢) السابق، ص ٧٧.

(٣) السابق، ص ٧٦، ٧٧.

(٤)، (٥) السابق، ص ٧٧.

وسلم من العيب... لأنا لسنا فى ذكر تقويم اللسان والتحرز من اللحن، وزيغ الإعراب فنعتد بمثل هذا الصواب، وإنما نحن فى أمور تدرك بالفكرة اللطيفة، ودقائق يوصل إليها بثاقب الفهم[1].

فمراد عبدالقاهر بتحسين اللفظ أحيانا هو أقرب مايكون إلى حسن أصل المعنى أو قل حسن الفكرة المجردة وليس أدل على ذلك من أنه يرادف فى بيان ذلك بين المعنى واللفظ، يقول عن هذا النوع من الكلام: «فما كان من هذا وشبهه لم يجب به فضل إذا وجب إلا بمعناه أو بمتون ألفاظه دون نظمه، وتأليفه [2].

فنجد أنه قد رادف هنا بين المعنى واللفظ فى الدلالة على ماكان حسنه من جهة اللفظ وحده ولا يمكن أن يكون مقصده إلى أن الفضل يقع فيه تارة من جهة نظمه، وأخرى من جهة ألفاظه، وذلك لأنه قد نفى ذلك عنه، فبقى أن يكون مراده بالمعنى الفكرة المجردة، وكذلك هو المراد بوقوع الفضل من جهة فنون ألفاظه، لأنه لايمكن أن يقصد باللفظ نظمه وتأليفه لأنه قد نفى ذلك أيضا، فلم يبق إلا أن يكون قد قصد بها جميعا وقوع الفضل فى هذا الكلام للفكرة المجردة، وما يقع فيه من طرافة وجدة يجب بها الفضل، وإلا لنزع الفضل عنها إن كانت الفكرة مبتذلة دارجة، وذلك كصنيعه فى تعليقه على بيت المتنبى:

وقيدت نفسى فى ذراك محبة

ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا

حيث نزع الحسن عن اللفظ لابتذاله، ونسبه إلى النظم لروعته وحسن ائتلافه، كما أن عبدالقاهر قد يقصد بتحسين اللفظ كذلك، ما عليه سائر البلاغيين الذين يقصرون ذلك التحسين اللفظى على ألوان بعينها، ولكن عبد القاهر لايقصر ذلك

---

(١) السابق، ص٧٧.

(٢) السابق.

التحسين اللفظى على هذه الألوان التى قصرها البلاغيون عليها بل يعم به كل طرائق التعبير، وهذا التحسين هو الذى ينفى عبدالقاهر رجوع حسن الكلام إليه وحده دون اتساقه مع المعنى وائتلافه به.

كما أن من الجدير بالذكر أن ننبه هنا إلى أن عبدالقاهر لايستخدم النظم مساويا للمعنى تماما، بل يمكن أن نقول إنه يعنى به المعنى الفنى وليس المعنى المجرد، أو قل إنه هو الصياغة الفنية التى قد تكسب المعنى المبتذل جمالا ورونقا وذلك كما يبدو من تعليقه على بيت المتنبى، وقد سبق نقل كلامه عليه. ومما يستدل به على ذلك من كلام عبدالقاهر قوله وهذا باب «يكثر فيه الغلط فلا تزال ترى مستحسنا قد أخطأ بالاستحسان موضعه فيحل اللفظ ماليس له ولا تزال ترى الشبهة قد دخلت عليك فى الكلام قد حسن من لفظه ونظمه، فظننت أن حسنه ذلك للفظ دون النظم» (١). ومثل لذلك بعدد من الشواهد منها قوله: «ومن دقيق ذلك وخفيه أنك ترى الناس إذا ذكروا قوله تعالى: «واشتعل الرأس شيبا» لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة، ولم ينسبوا الشرف إلا إليها، ولم يروا للمزية موجبا سواها، هكذا ترى الأمر فى ظاهر كلامه، وليس الأمر على ذلك. ولا هذا الشرف العظيم ولا هذه المزية الجليلة وهذه الروعة التى تدخل على النفوس عند هذا الكلام لمجرد الاستعارة، ولكن لأن يسلك بالكلام طريق مايسند الفعل فيه إلى الشئ وهو لما هو من سببه... إلخ» (٢).

فانظر كيف أنه لم ينكر أن يكون للكلام مزية من جهة حسن اللفظ، وأنه يجعل الاستعارة وغيرها من الصور وطرق التعبير مما يحسن اللفظ، ولكنه ينكر أن ينسب الفضل إلى ذلك الحسن اللفظى وحده حتى يحدث حسن النظم، وترتيب المعانى. ومما يؤكد ذلك أنه يمثل لما كثر الحسن فيه بسبب النظم بقول المتنبى:

---

(١) عبدالقاهر الجرجانى، دلائل الإعجاز، ص ٧٨.

(٢) السابق، ص ٨٩.

وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا

ثم يقول: الاستعارة في أصلها مبتذلة معروفة فإنك ترى العامي يقول للرجل يكثر إحسانه إليه وبره له، حتى يألفه ويختار المقام عنده: قد قيدني بكثرة إحسانه إليّ وجميل فعله معي حتى صارت نفسي لاتطاوعني على الخروج من عنده. وإنما كان ماترى من الحسن بالمسلك الذي سلك في النظم والتأليف» [1]. فعبد القاهر في تعليقه على هذا البيت يرى أن أصل المعنى فيه دارج لامزية له، وإنما قد أتاه الفضل والمزية من جهة الصياغة، أي من جهة المعنى الفني، فهو بذلك يفرق بين المعنى المجرد أو أصل المعنى وبين المعنى الفني أو صياغة الفكرة المجردة. ونستطيع أن نقول هنا إنه إذا كان المتنبي قد أتى باستعارة مبتذلة فأحسن صياغتها ونظمها فحسن بذلك النظم دون اللفظ ـ لأن اللفظ مبتذل ـ فيكون بذلك من يأتي بمحسن طريف وبديع من محسنات اللفظ ولا يحسن نظمه قد أحسن اللفظ دون النظم ومن أتى به وأحسن نظمه يكون قد قرى الحسن من الجهتين، ووجبت له المزية بكلا الأمرين. وعليه فيمكن أن نفهم من كلام عبدالقاهر أنه يرى أن الاستعارة وغيرها من صور البديع كالجناس والسجع وغير ذلك ـ باعتبار أن يكون قد جرى على مفهوم القدماء للبديع ـ لها حسن لفظي لاينكر ولكنه لايحسن إلا إذا وقع موقعه من النظم كما يمكن أن يقال إن عبدالقاهر يرى ذلك الحسن اللفظي لكل صور البيان والبديع وغير ذلك من طرائق التعبير، وإنه ليخص الحسن اللفظي ببعض هذه الصور دون بعض إلا أنه يرى أن هذا الحسن لايورث الكلام حسنا وقبولا إلا إذا ائتلف بالنظم وانسجم معه وهذا الاحتمال الأخير هو الأقرب والمقبول، وهو مايتفق مع فكر الرجل ورحابة أفقه فكأنه ـ إذ قسم الحسن إلى حسن يرجع إلى اللفظ، وحسن يرجع إلى النظم، وحسن يرجع إليهما معا ـ يرى أن هذا التقسيم يعتري جميع صور التعبير وطرائقه يستوى في ذلك ما أطلق عليه

(١) السابق، ص ٨٢.

المتأخرون مصطلح البيان أو البديع أو غير ذلك مما يحقق جمال اللفظ ويشارك فى حسن النظم، فالاستعارة فى بيت المتنبى السابق حسنة النظم غير حسنة اللفظ لأنها مبتذلة، فإذا خلا البيت أو الكلام من حسن النظم كان الكلام صوابا لاحسن فيه للفظ ولا للنظم، وذلك كتعليقه على كلام الجاحظ السابق، فإذا اشتمل على صورة طريفة أو محسن بديعى ولم يحسن نظمه وصف بحسن اللفظ دون حسن النظم. فإذا اشتمل على الأمرين فقد قرى الحسن من الجهتين ووجبت له المزية بكلا الأمرين كما يقول. وكلام الرجل عام فى ذلك وذلك لأنك لاتجد فى كلامه تخصيصا لبعض الفنون بوقوع حسن اللفظ فيها دون باقى الفنون.

فهو لم يقصد أن يقسم صور البيان والبديع مثلا إلى مايحسّن اللفظ وما يحسّن المعنى كما فعل البلاغيون أو إلى تلك القسمة الثلاثية التى أحدثها الطيبى والتى لانستبعد أن يكون قد استوحاها خطأ من كلام عبدالقاهر، الذى سبق لنا نقله. فعبد القاهر لم يقصد أبداً إلى هذا التقسيم المنطقى الصارم فهو أبعد مايكون من أن يقسم طرائق التعبير تلك القسمة التى يمليها العقل بمجرد الفروض والاحتمالات وإن كان لامانع لديه من أن يقسم تحسينها بعد النظر والتحليل إلى هذه الأنواع الثلاثة فيخرج علينا بهذه النتيجة التى نطمئن إليها لأنها نتيجة الدرس والتحليل والنظر والاستقرار، فتحسين هذه الألوان جميعا ـ تستوى فى ذلك صور البيان مع صور البديع مع غيرها من الصور التى تحقق حسن اللفظ، وجمال النظم ـ إما أن يكون تحسينا للفظ أو للنظم أو لهما معا، فكل لون من هذه الألوان يمكن أن يكون على أى درجة من هذه الدرجات التحسينية حسب مقدرة الأديب على الإبداع ومدى براعته وتصرفه فى فنون القول، فلم يكن غاية عبدالقاهر كغاية غيره من البلاغيين هى التقسيم المنطقى لفنون البلاغة قبل الدرس والتحليل، بل كانت غايته على العكس من ذلك. إن من يقرأ نتاج الرجل خاصة كتابيه الرائدين: «أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز» يقف على أنه كان يسعى إلى تحقيق غايات غير

تلك التى سعى إليها البلاغيون من قبل ومن بعد. إنه لايهمه أبدا أن يقسم هذه الألوان إلى طائفة تنتمى إلى اللفظ وأخرى تنتمى إلى المعنى فهو ضد هذه الثنائية العجيبة منذ البداية[1].

ومن ثم فنحسب أن الرجل قد ظلم حينما نسب إليه عدم تقديره للفظ ونفيه عنه كل تحسين، وأنه يرجع التحسين كله إلى المعنى ولعل ذلك لما بدا منه من حدة فى رد الناس إلى وجه الصواب فى ذلك فى عصر قد انصرف الناس عنه فيه إلى تمجيد اللفظ، وتقديسه. وقد كان معاصره ابن سنان يركز إذ ذاك على اللفظ ويرجع الفصاحة إليه فكان من الطبيعى أن يحتد صوت عبدالقاهر، وتعلو نبرته، ويقف موقفا صارما لنصرة النظم والمعنى ليقرر أن التباين فى الفضيلة والتباعد منها إل ماينافيها من الرذيلة، ليس بمجرد اللفظ. . . . بل إلى أمر يقع من المرء، فى فؤاده، وفضل يقترحه العقل من زناده، وأما رجوع الاستحسان إلى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه، وكونه من أسبابه ودواعيه، فلا يكاد يعدو نمطا واحدا، وهو أن يكون اللفظ مما يتعارفه الناس فى استعمالهم، ويتداولونه فى زمانهم، ولا يكون وحشيا غريبا، أو عاميا سخيفا. .»[2].

فعبد القاهر ينكر أن يرجع الاستحسان إلى اللفظ وحده من غير شرك من المعنى، وكونه من أسبابه ودواعيه فى فن من تلك الفنون، فهو ينكر أن تختص بعض هذه الفنون أو الألوان البديعية بحسن اللفظ فقط دون حسن المعنى، ويذهب يمثل لذلك بأكثر مايتصور فيه خلوه من تحسين المعنى وقصر تحسينه على اللفظ وحده وهو الجناس والسجع، فيبرهن بما لايدع مجالا للشك بأن الحسن والقبح فى تلك الأقسام يتعدى اللفظ والجرس إلى ماياجى فيه العقل النفس، ولها إذ حقق النظر مرجع إلى ذلك، ومنصرف فيما هنالك، وبهذا يتفق كلام

---

(١) أد. عبدالواحد علام، البديع، المصطلح والقيمة، ص ٥٧.

(٢) عبدالقاهر الجرجانى، أسرار البلاغة، ص ٣ ـ ٤.

الرجل أوله مع آخره فهو حينما ينفى رجوع الحسن إلى اللفظ وحده، إنما ينفى بذلك اختصاص بعض الألوان برجوع تحسينها إلى اللفظ وحده كما قررته القسمة المنطقية عند البلاغيين وحينما يثبت رجوع التحسين إلى اللفظ وحده، فهو يبين أن المبدع أو الأديب قد تقصر براعته وقدرته على التعبير، فتقف عند حد تحسين اللفظ دون أن يتعدى ذلك إلى تحسين النظم، وليس يعنى أن ذلك التحسين اللفظى مقصور على ألوان أو أقسام بعينها ولكنه يمكن وقوعه فى سائر الأقسام وذلك حينما تقصر براعة الشاعر أو الأديب عند حد تحسين اللفظ دون النظم.

هذا وقد أطلت هنا فى بيان وجهة نظر عبدالقاهر فى هذا المقام حتى ليخيل للقارئ أن بحثى عن عبدالقاهر وليس عن الطّيبى وذلك لأن كلام عبدالقاهر فى هذه القضية قد اضطربت فيه أفهام الناس، ذلك لأن كلامه فى هذه القضية، وكذلك فى غيرها من القضايا موزع فى مواضع متعددة من كتابيه، ولا شك أن جمع أطرافه ولمّ شتاته كان له أكبر الأثر فى فهم هذه القضية التى طالما طال حولها الخلاف فى كتب النقد والبلاغة العربية والتى لم ينج من التورط فيها، والزلل فى طرقها كثير من البلاغيين، ولا أكون مبالغا إذا قلت إنهم قد تورطوا فيها جميعا، وقد حاول عبدالقاهر جهده أن ينتشلهم من ورطتها ولكن كان ذلك دون كبير جدوى.

وبعد هذا العرض لتصور عبدالقاهر لهذه القضية، وما أدلى به فيها أعود فأذكر بالغرض الذى ولجت من أجله بحث هذه القضية، وهو أن ليس الغرض من ذلك هو بحث جواز نسبة تحسين بعض هذه الفنون إلى اللفظ وحده أو عدم جواز ذلك، فكما سبق أن قلت إنه لامشاحة فى الاصطلاح، وإن كنت أعلم جيدا فائدة تحديد المصطلحات فى المباحث العلمية، ولكن الأمر ـ كما سبق ـ أن قلت هو أكبر من ذلك، فلقد كان يسعنا أن نقبل هذا التقسيم من الطيبى ومن البلاغيين لو لم يكن لهذا التقسيم أثر فى تناول هذه الفنون بالدرس والتحليل والتذوق البلاغى، ولكن ماحدث أن القوم قد نسوا أن هذه هى مهمتهم، وظنوا أن مهمتهم الجديدة

هى تحديد المصطلح الخاص بكل لون من هذه الفنون ووضع الحواجز والحدود بين مباحث البلاغة التى هى من واد واحد، فراحوا ينّحون هذه الفنون جميعا التى نسبوا تحسينها إلى اللفظ من دائرة التحليل البلاغى بحجة أن تحسينها لايتعدى اللفظ والجرس وأن ليس لها أثر فى المعنى ومطابقة المقام، ومن ثم فلا يلزم التحليل والتذوق، ولعمر الله إنهم لمحقون لو كان شأن هذه الفنون كذلك.

ولكن أما وقد انجلى الليل البهيم، وظهر نور الضحى واضحا، فنحن نقف مع عبدالقاهر جنبا إلى جنب لنقرر فساد هذه القسمة التى قد انتهوا إليها، والتى قادتهم إلى هذه الطريقة العقيمة فى الدرس البلاغى.

ومن ثم فنحن ننكر على الطّيبى تقسيمه تلك المحسنات البديعية إلى هذه القسمة الثلاثية مما ترتب عليه إهمال النظر والتحليل لقسم هام منها يضم طائفة من فنون البديع التى نعتوها باللفظية، مما يترتب عليه إهمالهم إياها وعدم تقدير قدرها فى تحقيق بلاغة القول.

كما ننكر عليه بالأخص طريقة معالجته لها والتى تبين عن ضيق نظرته لأثر تلك الفنون فى تحسين المعنى ومطابقة المقام.

ولعل عذر الطيبى فى ذلك ـ إن كان له عذر ـ أن ذلك هو ماكان عليه القوم، وما تواطأوا عليه، ولكن نعود فنقول إن التقليد ليس عذرا للوقوع فى الباطل والمتابعة على الخطأ.

ولقد كان بإمكان الطّيبى ـ إن هو فعل ـ أن يكشف لنا بطريق التحليل والدرس والاستقراء عن درجات التحسين فى تلك الفنون على نحو مافعل عبدالقاهر، حيث كشف لنا عن ثلاث درجات للتحسين، أبان عنها الدرس والتحليل وهى:

١- تحسين للفظ وحده.

٢- تحسين للنظم وحده.

٣- تحسين للفظ والنظم معا.

كما أن ثمة تقسيما آخر لتلك الفنون ينتج عن دراستها وتحليل نماذجها كان يمكن أن يقدمه لنا الطيبى:

وذلك أننا إذا ما وقفنا وقفة متأنية عند تحليل بعض هذه الألوان وليس ذلك

قصرا على ألوان البديع اللفظية - على حد تسميتهم لها - بل وليس قصرا على البديع وحده، بل يمكن أن يعم ذلك المنهج التحليلى فى سائر طرائق التعبير وأنماطه المختلفة التى يكون لها جانب من حسن اللفظ فيمكن أن نقف بعد تحليل نماذجها على ثلاث صور من أثر تحسين اللفظ وانسجامه مع المعنى أو عدم انسجامه، :ويمكن أن نصطلح على تسميتها بالآتى:

أولا: تحسين متكلف.

ثانيا: تحسين مطابق.

ثالثا: تحسين بليغ.

أما التحسين المتكلف: فهو ذلك التحسين الذي يعمد فيه إلي زج صورة أو أكثر أو لونا أو أكثر من هذه الألوان، مما لا يقبله النظم، ولا يقتضيه المقام، والأمثلة علي ذلك كثيرة مشهورة تمتلىء بها كتب البلاغيين وإن كانوا قد عرضوا لها على أنها نماذج مقبولة وشواهد مستقيمة على التحسين اللفظى «حسبى أن أذكر منها - فى باب الجناس -

إذا ملك لم يكن ذاهبة ... فدعه فدولته ذاهبة

كلكم قد أخذ الجام ولا جان لنا ... ما الذي ضر مدير الجام لو جاملنا

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه ... بدمع يضاهى الوبل حال مصابه

ومثل لعينيك الحمام ووقعه ... وروعة ملقاه ومطعم صابه

لتقف على ما فيها من غثاثة وركاكة وتكلف «(١) وليس تلك الأمثلة المتكلفة مقصورة على باب الجناس وحده، ولكنها عامة لا تفتقدها في جميع ألوان البديع واللفظى خاصة وباقى أبواب البديع والبلاغة عامة «فقد عيب قول الوأواء الدمشقى:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ... وردا وعضت على العناب بالبرد

لأنه جاء مثقلا بهذا العدد الوفير من الاستعارات التى تكلفها الشاعر تكلفا.

---

(١) أد. علام، قضايا ومواقف فى التراث البلاغى، ص ١٤.

فجاءت تنقصها الحياة والحركة [1]. وأما التحسين المطابق: فهو الذى يطابق فيه اللفظ معناه ويوافقه، ويأتلف مع النظم ويؤازره، وتجده لاينافى المقام، ولا يتعثر به الكلام «وذلك كما يمثلون به أبدا من قول الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ وقد سئل عن النبيذ ـ فقال: «أجمع أهل الحرمين على تحريمه» [1] وأما التحسين الذى سميته بالتحسين البليغ فذلك ماحدث فيه التوافق مع السياق، واقتضاه النظم، وتطلبه المعنى، ونادى عليه المقام، وزاد على ذلك بتحقيق نكتة وفائدة تزيد فى مطابقته للمقام واقتضائه له، وذلك كما فى قوله تعالى: «ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون» [2]. وهذا يمثلون به للجناس التام، وفيه فائدة أكبر من مجرد التحسين اللفظى، والذى قصر القوم عليه فائدة الجناس، والحق أن فيه تحسينا للمعنى أيما تحسين، كما أن فيه أبلغ المطابقة للمقام، وأروع تعبير عن حال هؤلاء المجرمين، وأوضح كشف لما تنطوى عليه ضمائرهم ونفوسهم فى هذا اليوم العصيب من الحسرة والندامة، ومدى إحساسهم بالغبن والفجيعة والخسران المبين.

فالجناس فى هذه الآية كان له دور كبير فى تنبيه الذهن لعقد المقارنة بين ساعة الدنيا وساعة الآخرة، وكيف أن هؤلاء المجرمين قد أهملوا أمر هذا اليوم وهذه الساعة التى تعقبها نار أبدا أو جنة أبدا من أجل هذه الدنيا الرخيصة التى تبين لهم قدرها الحق فى ذلك اليوم بالنسبة إلى طول الموقف وهوله وتلفت الآية بطريق الجناس ذهن القارئ إلى أن نسبة هذه الدنيا إلى الآخرة كنسبة ساعة من ساعات الدنيا، كما تبين له مدى جرم هؤلاء المجرمين حيث أفرطوا فى العمل لساعة كان مقدارها خمسين ألف سنة من أجل ساعة عاجلة يراها المجرمون يومئذ كأنها لم

---

(١) عبد القاهر الجرجانى، أسرار البلاغة، ص٧.

(٢) الروم: ٥٥.

تكن إلا عشية أو ضحاها فشتان بين ساعة وساعة، ففيه أبلغ الزجر عن الانشغال بتلك الساعة العاجلة الفانية عن العمل للساعة الآجلة الباقية كما أنك ترى فى هذا الجناس من المطابقة والموافقة للمعنى بحيث لايمكنك أن تعبر عن المعنى المراد بغير هذا الجناس فإنك لو قلت «ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير عشية أو ضحاها» أو «إلا عشية أو ضحاها» لما أديت حق المقام، فإن المقام هنا مقام قسم، والقسم إنما يراد فيه المبالغة فى إثبات أمر هو المقسم عليه، وذلك الأمر المراد المبالغة فى إثباته هنا هو بيان قلة لبثهم فى الدنيا، وأنهم لم يمكثوا فيها زمنا كافيا ليتأهبوا فيه لهذا اليوم، ويعدوا له عدته، ومن أجل ذلك يقسمون على ذلك لله عز وجل ظانين أن ذلك ينفعهم عند ربهم لعله يستجيب لهم إذا طلبوا العودة إلى الدنيا مرة ثانية» «ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل» [1] «ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون» [2].

ولذلك يكون جوابهم: «أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير، فذوقوا فما للظالمين من نصير» [3]. فلعلهم لما سمعوا هذا الجواب أملوا أنهم لو أقسموا أنهم مالبثوا فيها إلا زمانا يسيرا، لعل ذلك يكون عذرا لهم عند ربهم فيخرجهم من النار ويعيدهم إلى الدنيا مرة أخرى، ولذا كان لفظ ساعة أوفق لهذا المعنى وأليق بالمقام من قولهم عشية أو ضحاها، لأن العشية أو الضحى قد تكون عدة ساعات لأن اليوم أربع وعشرون ساعة فى لغة العرب «والساعة فى الأصل تطلق بمعنيين أحدهما أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزء هى مجموع اليوم والليلة والثانى أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل. يقال: جلست عندك ساعة من النهار، أى: وقتا قليلا منه» [4] كما أن الساعة هى أقل

(١) فاطر : ٣٧.

(٢) المؤمنون: ١٠٧.

(٣) فاطر: ٣٨.

(٤) لسان العرب، مادة (سوع)، ٣/ ٢١٥١ ط دار المعارف

مايطلق على الوقت فى لغة العرب، ولا يطلق عدامًا مما يعبر عن أدنى الوقت إلا مجازا كقولك: «انتظر لحظة» أى مقدار لحظة عين، وهذا فى حد علمى وبحثى فى كتب اللغة.

فهنا نجد أن الجناس فى هذه الآية يحقق مغزى بلاغيا، ونكتة زائدة تزيد بها مطابقة الكلام للمقام، مما لانجده فى مثل قول الشافعى الذى يمثلون به أبدا ـ على حد تعبير عبدالقاهر ـ للتجنيس الحسن، حيث قال وقد سئل عن النبيذ: «أجمع أهل الحرمين على تحريمه» فلو حاولنا هنا البحث عن نكتة يطابق بها هذا التجنيس المقام أو قل تزداد المطابقة به، فإنك لاتثبت ذلك إلا بشئ من التكلف والمغالاة، ومع ذلك فإننا لانستطيع رد مثل هذا النوع من التجنيس أو الحكم عليه بالقبح، بل هو حسن جيد مطابق إلا أنه ليس من البلاغة بالدرجة الأولى فهو وإن كان يوافق المعنى، ويأتلف مع السياق، ولا يرده المقام، ولا يتعثر به الكلام. إلا أنه ليس له من الفائدة للمقام وحسن مطابقته له بظهور نكتة أو لطيفة موافقة كما تجد ذلك فى كلام رب العالمين مما سبق أن مثلنا به.

وبعد فهذا مثال واحد للون واحد مما أعرض الطيبى والبلاغيون من قبله ومن بعده عن النظر فيه وتحليله بحجة أنه من المحسنات اللفظية التى لاتعدو كونها حلى وزينة للفظ لافائدة من ورائها للمعنى، ولا يقتضيها المقام. وأقول كان الأجدر بالطّيبى أن يتناول هذه الألوان البديعية بمثل هذه الطريقة من الدرس والتحليل، والتى وضع أيدينا عليها أساتذتنا المعاصرون، إذ أخرجوا البديع من الظلمات إلى النور.

القسم الثانى

علم البديع وفن الفصاحة

عند الإمام الطيبى ت٧٤٣

النص المحقق

علمُ البديع

هو معرفةُ وجوه تحسين الكلام. والتحسينُ إمَّا راجعٌ إلي المعني، أو إلي اللفظ، أو إليهما جميعاً.

والبحثُ عن القسم الثاني وظيفة الفصاحة، وعن الأوّل والثالث وظيفةُ البلاغة، فههنا بابان:

الباب الأول
في التحسين الرّاجع إلى المعنى[1]

وهو علي أنواع:

الالتفات:[2]

وهو الانتقال من إحدي الصيغ الثلاث، أعني الحكاية، والخطاب، والغيبة إلي الأخري لمفهوم واحد رعاية لنكتة[3]، وهو علي أقسام:

أولّها: الانتقال من الغيبة إلي الخطاب قال: ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[4] إلي قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. والنكتة فيه أنّ العبد إذا قدَّر مُثُولَهُ بينَ مَولاهُ من حقه أن يكون حاضر القلب، يقظان النفس، دَرَّاك اللمحة، سيّما إذا افتتح بالتحميد يستحضر سبوغ نعمائه جلائلها ودقائقها. فإذا انتقل منه إلي اسم الذات يستجدُّ لنفسه هيبة الجلال، والكبرياء، ثم إذا انتقل منه إلي معني الربوبية

---

(١) هذا النوع من التحسين الراجع إلي المعني أدخله الطّيبي في حدّ البلاغة هو والتحسين المعنوي اللفظي، أما التحسين اللفظي البحت فقد أخرجه الطيبي من البلاغية إلي الفصاحة، متابعاً في ذلك لآراء السكاكي والخطيب ومن تبعهما في قصر مهمة البديع علي مجرد التزيين والتحلية دون أن يكون له أثر في تحقيق المطابقة، وإن كان مما يحمد للطيبي، أنه أدخل البديع المعنوي والمعنوي اللفظي وهما ثلثا البديع أدخلهما في حد البلاغة، حيث رأي أن لهما أثراً في تحقيق مطابقة الكلام لمقتضي الحال كما كشف عن ذلك في تحليله لكثير من أمثلتهما ونماذجهما، بينما أخرج السكاكي ومن تبعه سائر البديع من حد البلاغة دون تفريق بين اللفظي والمعنوي بناء علي أن الأصل فيه عدم الحاجة إليه في تحقيق المطابقة، فإذا ماتحققت المطابقة في بعض نماذجه رأي أن ذلك عارض فيه وليس أصلاً، ولذا فإنه يعالج أمثلته التي تحققت فيها المطابقة في إطار علم المعاني وليس في اطار علم البديع إيمانا منه بأن البديع ليس له أدني فائدة في تحقيق المطابقة ومن ثم فقد سلب السكاكي ـ ومن حذا حذوه ـ سلب البديع قيمته الحقيقية، إذ إن التزيين والتحلية لاتحسن في الحقيقة مالم يكن له أثر في تحقيق المطابقة، وإلا عُدَّ ذلك حشواً وتكلفا مذموماً..

وقد بينت هذا الأمر باستفاضة في دراستي للماجستير عن الطيبي وجهود البلاغيه، ط المكتبة التجارية، فلتراجع. وبيته كذلك في مقدمة هذا الكتاب.

وراجع في هذا النوع من التحسين: المفتاح ص ١٠٦ ط الأدبية، الإيضاح ص ١٥٧ بشرح د. خفاجي، المصباح ص ٣٠، نهاية الإيجاز ص ٢٨٧ الكاشف عن حقائق السنة مخطوط للطيبي.. ص ٢١٦/ب دار الكت = (٢) عرضت في رسالتي للماجستير معالجة الطّيبي للالتفات علي مستويه النظري والتطبيقي ومدي إحسانه وتوفيقه في ذلك من خلال كتبه النظرية والتطبيقية.

(٣) بينت في رسالتي كذلك كيف استطاع الطّيبي الاستفادة من تنبيه ابن الأثير علي أن الالتفات لايكون إلا لفائدة اقتضته. المثل السائر ١٦٩/٢ فالتفت الطّيبي إلي ذلك في صياغته لتعريف الالتفات حيث نص علي أنه إنما يكون رعاية لنكتة، ويتفرد الطّيبي بنصه علي ذلك في تعريفه للالتفات دون عامة البلاغيين المعاصرين والسابقين.

والمالكيَّة يستزيدُ المحركُ. وإذا ارتقي منه إلي كونه شامل الرَّحمة دنياها ، وعقباها يتضاعف المحرّك، ثم إذا آل الأمر إلي أنَّه مالك الأمور في العاقبة ثوابها، وعقابها يصير ذلك المحرّكُ إلي حدٍّ لايتمالكُ معه إلي أن لايُقبل إلي معبوده ومعينه الحاضر المشاهد، ولا يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1].

وثانيهُما: من الخطاب إلي الغيبة. قال الله: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ. وتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾[2] نعيَ اللهُ تعالي عليهم فعلهم إلي غيرهم.

وقال: «ألا ترونَ إلي هؤلاء وعظيمِ ما ارتكَبُوه في دين اللهِ فَجَعَلُوا أمْرَ دينهمْ فيما بينَهُم قِطعاً» [3] أي اختلفوا فيه.

وقال تعالي: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾[4] أراد أن يُعَجِّبَ من حالهم غيرهم كالمُخبر لهم. ويستدعي منهم الإنكار عليهم.

وثالثُها: من الحكاية إلي الغيبة قال تعالي: : ﴿حَمٓ. وَالْكِتَابُ الْمُبِينِ﴾[5] إلي قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ. رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[6].

واللطيفة أنَّ عَظَمَةَ الرَّبوبيَّة، والرَّحْمَةَ السابقة يقضيان إرسالك بهذا الكتاب المبين، والعلم المحيط بكل الأشياء اقتضي كلاءتك وحفظك، وإذا كان الحافظ والناصر هو (الرَّب) السَّميعُ العليم، تمّ الحفظ، وصَحَّت النَّصرةُ، ولا تُبال أحداً، وأدِّ رسالتك كما قال تعالي في حق موسي وأخيه(ب) عليهما السلام: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وأَرَىٰ﴾[7].

---

(١) سورة الفاتحة ١/ ٥.

(٢) سورة الأنبياء ٢١/ ٩٢ ـ ٩٣.

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف ٢/ ٥٨٣.

(٤) سورة يونس ١٠/ ٢٢.

(٥) سورة الدخان ٤٤/ ١ ـ ٢.

(٦) سورة الدخان ٤٤/ ٥ ـ ٦ وانظر الكشاف ٣/ ٤٣٠.

(٧) سورة طه ٢٠/ ٤٦.

(أ) ليست في (ط).

(ب) بداية ق ١٠٠ في الأصل.

ورابعها: من الغيبة إلي الحكاية: قال اللهُ تعالي: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾(١).

والرَّمزةُ أنَّ كلَّ سماء مخصوص بأمر ألا تري إلي هذا الأدني كيف قدرها العظيم الشَّأن ذو السُّلطان القاهرُ مزيِّنَةً بهذه المصابيح(٢).

وكذا قوله تعالي: ﴿واللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ﴾(٣) أي مثل هذه الآية الباهرة الدَّالة علي القُدرة الرَّبَّانيَّة لايقدرُ عليها إلاَّ ذُو قُدرة كاملة.

ومن القبيلَين(٤) قوله تعالي: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى﴾(٥) إلي قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٦).

وخامسُها: من الخطاب إلي الحكاية. قال امرؤُ القيس:

«متقارب»

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالأَثْمُدِ ... وَنَامَ الخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ

وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ ... كَلَيْلَةِ ذِي العَائِرِ الأَرْمَدِ

---

(١) سورة فصلت ٤١/ ١٢.

(٢) هذه النكتة لم يلتفت إليها الزمخشري في كشافه علي سبيل المثال، والتفت الطيبي إلي الالتفات فيها في قوله: «وزينا السماء الدنيا» فاختص السماء الدنيا بضمير المتكلم ملتفتا عن ضمير الغائب فيما قبل ذلك، فنسب تزيينها إليه سبحانه بضمير التكلم المعظم (نا) ليلفت الأنظار إلي بديع ما أودع فيها من الأسرار.

(٣) سورة فاطر ٣٥/ ٩.

(٤) أي في قوله تعالي: «سبحان الذي أسري بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصي الذي باركنا حوله، لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير» التفاتان: الأول من الغيبة إلي التكلم في قوله: «الذي باركنا حوله» ملتفتا عن ضمير الغائب في قوله «الذي أسري» والثاني في قوله: «إنه هو السميع البصير»: من المتكلم إلي الغيبة ملتفتا عن ضمير المتكلم في قوله «باركنا»

(٥)، (٦) سورة الإسراء ١٧/ ١.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون بلَ مَتَّعْتَ هؤلاء﴾[1] على قراءة الفتح، اعترضه سبحانه وتعالى - على ذاته فقال : «بل متعتهم» حتي شغلهم عن كلمة التوحيد [2] مثاله[3] أن يشكو الرجل إساءة من أحسن إليه، ثم يُقبل علي نفسه فيقول: أنت السبب في ذلك بمعروفك، والغرض توبيخ المُسئ لا تقبيح فعله[4]. وهذا التعريض المجازي.

أو لأنْ يتمكن المتكلم من إجراء الأوصاف علي نفسه قال:

«طويل»

إلام يـراكَ الْمَجـــــدُ فـي زِيِّ شَاعِرٍ ... وَقَدْ نَحلَتْ شَوْقـــــاً فُروعِ الْمَنَابِرِ

أمـا وَأَبيـــكَ الخيـــرِ إنَّكَ فَارِسُ الـ ... ـمـقَالِ ومُحيي الـدَّارسـات الغَوَابِرِ

وعلي هذا حكاية الله تعالي عن نفسه علي لفظ الغيبة نحو: ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ العالمين﴾[5]، و﴿اعْبُدوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾[6] إيـذانـاً منـه أنَّ الـذي يستوجب الحمد، ويستحق العبـادة هو الذي له هذه الصفات الفائقـة، والفضائل النابهة ونحو هذا أدخلُ في الإذعان، وأسرعُ إلي القبول.

أو علي طريق التشبيه كمـا تقول: لئن لقيت فلانا لتلقين به الأَسَدَ، ولَئن سألته لتسألَنَّ منه البحر. أي كالأسد وكالبحـر. فانتزع من المشبه نفسُ المشبه به كأنَّهُ هو. وهو أبلغُ أنواعُ التجريد. لأنَّ التجريد بعد التشبيه قال:

«بسيط»

دَعَـوْتُ كُلَيْبـــاً دَعـــوَةً فكَأَنَّمـــا ... دَعَـوْتُ بِهِ ابنَ الطَّـوْدِ أو هُوَ أسْرَعُ

جرد من كليب شيئاً يُسـمي ابن الطود، وهو الصدي، أو الحجر إذا تدهده يريد

---

(١) سورة الزخرف ٤٣/ ٢٨ - ٢٩.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٨٥. (٣) سقطت من (ط).

(٤) القراءة وشرح الآية أخذت من الكشاف ٣/ ٤٨٥.

(٥) سورة الفاتحة ١/ ٢.

(٦) سورة البقرة ٢/ ٢١.

سرعة إجابته. وقال أبو العلاء: .

«بسيط»

مَاجَتْ نُمَيْرٌ فَهَاجَتْ مِنْكَ ذَا لِبَدٍ وَاللَّيْثُ أَفْتَكُ أَفْعَالاً مِن النَّمِرِ

وقال الآخر:

«طويل»

وَبِي ظَبْيَةٌ أَدْمَاءُ نَاعِمَةُ الصِّبَا يَحَارُ[٢] الظِّبَاءُ الغِيدُ مِنْ لَفَتَاتِهَا

أُعَانِقُ غُصْنَ البَانِ مِن لِينِ قَدِّهَا وَأَجْنِي جَنَى الوردِ مِنْ وَجَنَاتِهَا

أو على طريق الكناية كقراءة من قرأ: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَرِثُنِي وَارِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[٣] أي يرثُني به، أو منه وارث، وهو الوارث نفسه فكأنَّهُ جرَّد من الوالي وارثًا[٤]. قال:

«كامل»

فَلَئِنْ[٤] بَقِيتُ لأَرْحَلَنَّ بِغَزْوَةٍ تَحْوِي الغَنَائِمَ، أَوْ يَمُوتَ كَرِيمُ

جرَّد من نفسه صفة الكرم، وقال (أَوْ يَموتَ كَرِيمُ).

ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٥] جرَّد من نفسه الزكية ـ صلوات الله عليه وآله وسلامه ـ قدوةً كما يُقالُ: (في البيضة عشرون رطلاً حديداً)، وهي في نفسها هذا المبلغ، وأنشد أبو عليّ:

---

(٢) تحارُ في (ع)، وفي أنوار الربيع ٦/١٥٤.

(٣) سورة مريم ١٩/ ٥ ـ ٦. وفي ط على القراءة المشهورة (ويرث) وهو خلاف ما في النسخ..

(٤) انظر كلام الطيبي في هذا الموضع في حاشيته على الكشاف المسمّاة: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٥١ تفسير / طلعت / ق ٢،٣.

(٥) سورة الأحزاب ٣٣/ ٢١.

«طويل»

أَفَاءَتْ بَنُو مَرْوَانَ ظُلْماً دِمَاءَنَا وفي الله إنْ لَمْ يَعْدِلُوا حكَمٌ عَدْلُ

وقوله:

«منسرح»

يا خَيْرَ مَنْ يَركَبُ الْمَطِيَّ وَلاَ يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفٍّ مَنْ بَخِلاَ

ليس من التجريد في شئ، وإنَّما هو كناية عن أنَّ الممدوح ليس ببخيل لأنَّه لايشرب الكأس بكفٍّ البخيل لكنَّه يشربُها بكفِّه، فَأَفَادَ أَنَّهُ ليس ببخيلٍ.

والخطابُ العَام:

وهو مايُخاطب به غيرُ معيَّن للإيذان بأنَّ الأمر لعظمه، وفخامته حقيقٌ بأنْ لايختص بأحدٍ دُونَ أحدٍ قال الأعشي:

«طويل»

إذَا أنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَي وَلاَقَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

نَدِمْتَ عَلَي أنْ لاَ تَكُون كَمِثْلِهِ وَأَنَّكَ لَمْ تُرْصِدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا

وفي التنزيل: ﴿وَلَوْ تَرَي إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رؤوسهم﴾[1] قصد إلي تفظيع[2] حالهم، وأنَّها تناهت في الظهور حيث لم تختص برؤية راءٍ[3] بل كُلُّ من يتأتَّي منه الرُّؤيَةُ فهو داخلٌ في الخطاب.

وفي الحديث: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ إلي الْمَسَاجِدِ في الظُّلَمِ بالنُّورِ التَّامِّ يوم القيامة»[4].

وربما يخاطب واحد بالتثنية. قال امرؤ القيس:

---

(١) سورة السجدة ٣٢/١٢.

(٢) ط: تقطيع وهو خطأ

(٣) ط: رأي والصواب ما أثبتنا.

(٤) الحديث عن ابن ماجة في المساجد والجماعات ١/٢٥٦ ـ ٢٥٧

«طويل»

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُندب ... لِنَقْضِي حَاجَاتِ الفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً ... وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ

فقال[1]: (خَلِيلَيَّ)، ثم قال: (أَلَمْ تَرَ) تلويناً، والسَّبَبُ فيه أنَّ أقَلَّ (أعوان الرجل)[أ]. اثنان، وأقل الرفقة (ثلاثةٌ). فجري الخطاب علي مرون ألسنتهم.

والتَّغْلِيبُ:

وهو ترجيح أحد المعلومين علي الآخر، وإطلاق لفظه عليهما. قال تعالي: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ﴾[2]. وقال تعالي: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾(٣) بالتَّاء. غُلِّبَ المخاطبون علي الغُيَّب. وقال تعالي: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفسكم أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾[٤].

(يذرؤكم) حكم شامل للعقلاء المخاطبين و(الأنعام) غُلب فيه المخاطبون العُقلاء عل يالغيب مما لا يعقل.

هذا هو المقتضي لا كما في المفتاح[٥]. ومنه قولهم: عُمران وقَمران. وقريب منه قوله تعالي: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[٦]. فإنَّما يخرجان من البحر المالح دون العذب.

وقد ينزّلون غير العقلاء منزلتهم إذا وصفوه بما هو مختص بهم. قال تعالي:

---

(١) ط: قال.

(٢) سورة الحجر ١٥/ ٣٠ ـ ٣١، وسورة ص ٣٨/ ٧٣ ـ ٧٤.

(٣) سورة النمل ٢٧/ ٥٥.

(٤) سورة الشوري ٤٢/ ١١.

(٥) يقصد أن كلام السكاكي «المخاطبون عني الغيب، والعقلاء علي مالا يعقل» علي عطف البيان والتفسير، فيكون المخاطبون هم العقلاء، والغيب هم من لايعقلون، والله أعلم.

(٦) سورة الرحمن ٥٥/ ٢٢.

(أ) في (ط) الأعوان، وهي بداية ق ١٠٣.

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[1] لما وصفهم بالسجود أجري عليها حكمهم، وجعلها كأنَّها عاقلة.

ويحتمل المعنيين قوله تعالي: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2] إذا فُسر العالمُ بكل ما علم به الخالق.

والتَّجَاهُلُ [3]:

وهو سوق[أ] المعلوم مساق غيره، وذلك إما لتحقير الشأن كما تقول: هل لكم في حيوان يقول: كيت وكيت؟ ولا تسميه، وهو مشهور. قال تعالي: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[4] كأنهم لم يعرفوا منه ـ صلوات الله وسلامه عليه وآله ـ إلاَّ أنَّه رجل ما، أو للاستدراج كما في قوله تعالي: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[5] فلو عدل عن الاستخبار المتضمن للتوبيخ إلي تصريح الإخبار بأنَّكُمْ إذا تولَّيْتُمْ أمورَ النَّاس أفسدتم، وقَطَّعتم الأرحام للبسوا له جلد النمر، ولكن إذا تأمَّلوا في الاستخبار أنصفُوا وأذعنوا للحق، أو تقريع المُخاطب. قالت الخارجيَّةُ:

«طويل»

أَيَا شَجَرَ الخَابُورِ مَالَكَ مُورِقاً ... كَأَنَّكَ لَمْ تَجزَعْ عَلَي ابْنِ طَرِيفِ

فَتًي لاَ يُرِيدُ العِزَّ إلاَّ مِنَ التُّقَي ... وَلاَ الْمَالَ إلاَّ مِن قَنِيَّ وَسُيُوفِ

أو تعظيم شأنٍ قال ابن نَبَاتَةَ:

---

(١) سورة يوسف ١٢/ ٤.

(٢) سورة الفاتحة ١/ ٢.

(٣) انظر المفتاح ٢٢٧، الإيضاح بشرح د. خفاجي ص ٥٣٠ ط القديمة.

(٤) سورة سبأ ٣٤/ ٧.

(٥) سورة محمد ٤٧/ ٢٢.

(أ) بداية ق ١٠٤ في الأصل.

فَوَاللهِ لا أدْرِي أَكَانَـــتْ مُدَامَـةٌ مِن الكَرْمِ تُجْنَي أَم مِنْ الشَّمس تُعْصَرُ؟

والأسلوبُ الحكيم[1]:

وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقَّبُ تنبيهاً به علي أنَّه أولي بالقصد قال:

«طويل»

أَتَتْ تَشْتَكِي عِنْدِي مُزَاوَلَةَ القِـــرَي وَقَدْ رَأَتِ الضَّيْفَانَ يَنْحـــُونَ مَنْـــزِلِي

فَقُلْـــتُ كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ كَلاَمَهَـــا هُمُ الـضَّيْفُ جِدِّي فـي قِرَاهُمْ وَعَجِّلِي

وقال الـقبـعـثـريُّ للحجّاج لما توعَّده بقـولـه: (لأَحْمِلَنَّكَ علي الأَدْهَمِ) وعني به القيد. (مثلُ الأمير حُمِلَ علي الأدهم والأشهب). أبرز وعيدهُ في معرض (الوَعْدِ) (وذمّه فى معرض المدح)[أ] بالطَف وجه.

ومنه قوله تعالي: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [2].

إذ المراد التكثير، وحـمله ـ صلي الله عليه وآله ـ علي الـعدد المخصـوص في قوله: «سأزيدُ عَلَي السَّبْعِين»[3].

قال جار الله: إنَّه صلوات الله عليه وآله: «خَيَّلَ بما قال إظـهـارا لغاية رحمته، ورأفته علي من بُعث إليه»[4].

وقـد أحـضرت بين يـدي مَعْنِ بن زائدةَ جاريـةٌ من سَبْي قيس. فـأنشـد مـعنٌ متمثِّلاً:

---

(١) بحثه السكاكي والخطيب ومن تابعهما في علم المعاني انظر المفتاح ص ١٧٥، الإيضاح ١٦٢ بشرح الخفاجي.

(٢) سورة التوبة ٩/ ٨٠.

(٣) الحديث رواه البخاري في تفسيره ٩/ ١٢ ـ ١٣.

(٤) ويمكن أن يفـسر فعله صـلي الله عليه وسلم باستغفاره للمنافـقين قبل ورود النهي الصريح عنه بأنه صلي الله عليه وسلم كان يبالغ في اجراء حد الإسلام علي الظاهـر، تعليماً للأمة، وحفظا لحد الإسلام من أن ينقض بمجرد الظن والتهمة.

(أ) سقطت من (ط).

لَيْسَ بَيْنِي وبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابُ غَيْرَ طَعْنِ الكُلَى وَضَرْبِ الرِّقَابِ

قالت: لو اقتصر الأميرُ علي الطعن دون الضرب. فاستحسن منها.

أو تلقيه بغير ما يتطلَّبُ. قال تعالي: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[1] لما قالوا: «ما بالُ الهلال يَبدُو دقيقاً، ثم يتزايد[أ] حتي يستوي، ثم ينقص حتي يعود إلي مابدا» أجيبوا: بأنَّ الذي ينفعكم وأهمُّ بحالكم أنْ تعلموا منها أوقات الطَّاعات.

وألطف منه قوله تعالي: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ﴾[2] قال الشيخ:[3] «سألوا عَن بَيان ما يُنفقُون فأُجيبوا ببيان المَصرِف». ونُبِّهوا بألطف وَجْهٍ علي تعديهم عن موضع سؤال هو أليق بحالهم.

وقال جار الله:[4] «قد يُضَمَّن الجواب، وهو قوله: «ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ» بيان ما تنفقونه، وهو كُلُّ خيرٍ.

وبُني الكلام علي ما هو أهمَّ، وهو بيان المصرف لأنَّ النفقة لا يُعتدُّ بها إلاَّ أن تقع موقعها»، أو يُقالُ: إنَّ جزاء الشَّرط مبني علَي الإخبار المتضمن للردّ كما سبق. فالمعني سؤالكم هذا يُوجبُ أنْ يُردَّ عليكم، وأن تخبروا بأنَّ النفقةَ المعتدَّ بها ما تُصرَفُ إلي هؤلاء، فالواجب أن تسألوا عن النفقة، وعن مَصرِفها لا عنها فقط.

وفي المثالين إيماءٌ إلي إبطال علم النجوم. وقال تعالي حكاية عن قوم صالح ـ عليه السلام ـ سألوا مؤمنيهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ﴾[5] أجابوا:

(١) سورة البقرة ٢/١٨٩.

(٢) سورة البقرة ٢/٢١٥.

(٣) يعني بالشيخ السكاكي قوله في المفتاح / ١٧٥ ط الأدبية وفي الإيضاح ١/٧٦.

(٤) قول الزمخشري في الكشاف ١/٣٥٦.

(٥) الأعراف ٧/٧٥.

(أ) بداية ق ١٠٥ في الأصل.

﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[1] أي إرساله أمر معلوم مكشوف لا كلام فيه إنَّما الكلام في وجوب الإيمان به. وفي عكسه [2] جواب نمرود: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾[3] عن قوله ـ عليه السَّلام: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[4]. فهو من الانتقال من الحجّة بعد تمامها إلي الأخري لدلالة جوابه علي إلزامه، ولهذا قال جارُ الله: «لما سمع جوابه الأحمق فلا يَكُونُ انتقالاً من مثال إلي آخر كما ظنوا {بل هو ابتداء احتجاج»[5].

قال الراغب[6]: السُّؤالُ ضربان: جَدَلِيٌّ، وتعليمي.

وحقُّ الأوّل مُطابقةُ الجواب من غير زيادة، ونُقصان.

والثاني حقه أن يتحرَّي المُجيبُ الأصوبَ كالطبيب الرَّفيق يتوخَّي مَا فيه شفاء العليل طلبه أم لا. وقلت مثاله: مَن غَلَبَ عليه السَّوْدَاءُ إذا اشتهي العَسَلَ قيل مَعَ الخلِّ، وإليه يَنْظُر سُؤَالُ النَّفَقَة}*.

والإيهام[7]:

ويسمي التورية أيضاً، وهو أن يُطلق لفظةٌ لها معنيان: قَرِيبٌ، وبَعيدٌ، ويُرَاد به البعيد منهما قال:

«كامل»

نَقَلَ [8] الأَرَاكُ بأَنَّ ريقةَ ثَغْرِهَا ... مِن خَمْرةٍ مُزِجَتْ بِمَاءِ الكَوْثَرِ

قَدْ صَحَّ مَا نَقَلَ الأَرَاكُ لأَنَّهُ ... يَرْوِيهِ نَقْلاً عَنْ صِحَاحِ الجَوْهَرِي

---

(١) سورة الأعراف ٧/ ٧٥.

(٢) أي في عكس أسلوب الحكيم، وهو أسلوب الأحمق.

(٣) سورة البقرة ٢/ ٢٥٨، وقول نمروذ في الكشاف ١/ ٣٨٧.

(٤) سورة البقرة ٢/ ٢٥٨ قول إبراهيم عليه السلام.

(٥) قول جار الله في الكشاف ١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨.

(٦) ط: الرغب.

(٧) انظر المفتاح ٢٢٦ ط الأدبية حيث نقل الطيبي تعريف السكاكي له، وانظر الإيضاح ٤٩٩ بشرح د. خفاجي.

(٨) ط. نقد.

* سقط ما بين القوسين من (أ).

وقال الآخر:

«بسيط»

هَوَيْتُها طفلةً دَقَّتْ مَحاسِنُها ... فَطَرْفُها نَرْجِسٌ، وَالخَدُّ تُفَّاحُ

يَتِيمَةُ الدُّرِ نَثْرُ الدُّرِ مِنْ فَمِها ... وَالعِقدُ في جِيْدِها وَالوجهُ مِصبَاحُ

وقال الآخر:

«طويل»

سَأَلْتُكَ يا عُودَ الأَرَاكِ بِمَا الَّذِي ... رَقَيتَ مَكَاناً غَيرُكَ الدَّهر مَا رَقَي

وَصَلْتَ إلى ثغرٍ مَنِيعٍ حِجَابُهُ ... تَمُرُّ عَلَيهِ في العُذَيبِ وَفي النَّقا

وقال الفخرُ عيسي:

«كامل»

لَو لَمْ يَكُن سَفَّاحُ جِفْنِك نَاصِراً ... مَا كُنتُ لِلعُشَّاقِ يَوْماً مُقْتَفِي

والآخرُ:

فوهُ عَينُ (١) الحياة شَارِبُهُ ... خَضِرٌ لَمْ يَصِلْ إلي الظُّلَمِ (٢) وقال الصّاحب عَطا ملكٍ في امرأةٍ يهواها اسمُها شَجَرٌ:

«كامل»

يَا حَبَّذَا شَجَرٌ وَطِيبُ نَسِيمِها ... «لَو أَنَّها» (٣) تُسْقَي بِماءٍ وَاحِدِ

وقال ابن سَرَايَا في عَينين تجريان علي صخرةٍ صمَّاء:

---

(١) «ماء» في (ع) مكان «عين».

(٢) بداية ق ١٠٦ في الأصل.

(٣) «لو لم تكن» في (ع).

وَوَادٍ حكَي الخَنْسَاءَ لاَ في شُجُونِهِ ولَكِنْ لَهُ عَيْنَانِ تَجْرِي عَلَي صَخْرِ

والتوجيه:[1]

وهو ايراد كلام محتمل لوجهين مختلفين. قال تعالي حكاية عن اليهود: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا﴾[2] قوله: ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾[3] يحتمل الذّم أي اسمع منّا مَدْعواً عليك بلا سمعت، أو اسمع كلاماً لا ترضاه.

والمدح أي غير مُسمعٍ مكروهاً من قولك: أسمعتُ فُلاناً. أي سَبَبْتُهُ. وكذا قوله: «رَاعِنَا» أي أرقُبْنَا، أو كلمةٌ سُرْيانيَةٌ للسبِّ[4].

ومن لطيف هذا الباب مع توخي الصدق قول الصّديق رضي الله عنه حين المُهَاجَرة، وقد سُئل عن رَسُول الله ـ صلي الله عليه وآله وسلم ـ وهو رديفُهُ: هذا رجل يهديني السّبيل[5].

وذُكرَ شريحٌ عند رَسُول الله ـ صلي الله عليه وآله وسلم ـ فقال: «لاَ يَتَوَسَّدُ القُرآنَ»[6]. فيحتملُ أنَّه لا ينامُ الليلَ حتَّي يَتوسَّدَ معه القرآنَ فيكون مَدْحاً، أو يَنامُ ولا يتوسَّدُ معه القرآن فيكون أي لايحفظه.

وذُكرَ عند عبدالملك عُمرُ بن الخطاب رضي الله عنه فقال: (اقصِرْ من ذكره، فهو طعنٌ علي الأئمَةِ، وَحَسْرةٌ علي الأُمَّةِ).

---

(١) المفتاح ٢٢٦ ط الأدبية، الإيضاح ص ٥٢٨ شرح د. خفاجي.

(٢)، (٣) سورة النساء ٤/٤٦.

(٤) انظر تفسير الكشاف ١/ ٥٣٠ ـ ٥٣١ ونقله القزويني في الإيضاح ٢/ ٣٧٧.

(٥) حديث مشهور عند أصحاب السير، أخرجه الإمام أحمد وغيره انظر الفتح الرباني ٢٠/ ٢٨٨ ولم يخرجه المحقق.

(٦) الحديث رواه أحمد ٣/ ٤٤٩ ولم يعزه المحقق لشئ من كتب الحديث، بل عزاه إلي النهاية ٥/ ١٨٣ والمثل السائر ١/ ٣٤.

وسأل حجَّاجٌ ابن جُبير عن نفسه[1]: فقال: (أنتَ قَاسطٌ عادلٌ). فقالوا أحسن والله. فقال: (يا جهَلةٌ إنَّما سَمَّاني ظالماً مُشركاً، ثم تلا: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾[2] ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[3].

ورُفع غُلامان إلي بعض الولاة، فاستحسن سمتهما، فسأل عن نسبهما. فقال أحدُهُما:

أَنَا ابنُ مَن ذَلَّتِ الرِّقَابُ لَه ... مِن بَينَ مَخزُومِهَا وَهَاشِمِهَا
تأتِيه طوعاً إليه خاضِعةً ... يَأخُذُ مِنْ مالِهَا ومِن دَمِهَا

وقال الآخرُ:

«طويل»

أنا ابنُ الَّذِي لا يَنزِلُ الأرضَ قَدرُهُ ... وإنْ نَزَلَتْ يَوماً فَسَوفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أفْوَاجاً إلي ضَوْءِ نَارِهِ ... فمنهم قِيامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ

فسأل عنهما بعد ذهابهما. فقيل ابنا حجَّام، وَطبَّاخ، فتعجب.

واللغز:[4]

وهو الأُحْجيَّة أيضاً والمُعَمَّي. قال ابن الزِّيلاق في اليَرَاعِ، وضمَّن مِصرَاعاً من الحماسة:

---

(١) قال الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٦٩ [﴿الْقَاسِطُونَ﴾: الكافرون الجائرون عن طريق الحق. وعن سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ أنّ الحجاج قال له حين أراد قتله: ما تقول في؟ قال: قاسط عادل، فقال القوم: ما أحسن ما قال حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل، فقال الحجاج: ياجهلة إنّه سماني ظالماً مشركاً وتلا له قوله تعالي: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾: ﴿ثُمَّ الذين كفروا بربهم يعدلون﴾]. وقسط يقسطُ، فهو قاسط إذا جارَ، وهو مُقسط إذا عدل.

(٢) سورة الجن ٧٢/ ١٥.

(٣) سورة الأنعام ٦/ ١.

(٤) تأثر فيه بابن الأثير ٣/ ٨٤.

«طويل»

وَنَاطِقَةٍ خَرْسَـــاءَ بَادٍ شُحُـــوبُهَـــا تكنُّفَهَـا[1] عَشْـرٌ وَعَنْهُـنَّ تُخْبِـــرُ

يلذ إلـى الأَسْمَاعِ رَجْـعُ حَدِيـثِهَا «إِذَا سُدَّ مِنْهَا مَنْخِرٌ جَـاشَ مَنْخِـرُ»

فأجابه بعضهم، وضمن مصرعاً آخر من تلك القصيدة:

«طويل»

نَهَانِى النُّهى والشَّيب عَن وَصْلِ مثلها وَكَـــمْ مـثلِهـا فارقتها وهِى تَصْفِرُ»

وقال الآخرُ فى القلم:

وَذِى شُحُـــــوبٍ رَاكِعٍ سَاجِـــدٍ أَخِى نُحُـــــولٍ دَمْعُـــهُ جَـارِىْ

مُلَازِمِ الخَمْـــــسِ لأَوقَاتِهـــا مُعْـــتكِفٍ فى خِدمَـــةِ البَـــارِىْ

وفيه:

وَبيـــتٍ بَعَلْيَـــاءِ الفِنَاءِ بَنَيْـــتُهُ بِأَسْمَرَ مَشْـقوقِ الخَيَاشِيمِ يَرْعُفُ

وقال الآخر فى الميزان:

«طويل»

وَقَاضِى قُضَـــاةٍ يَفْـصِلُ الحُكْمَ سَاكِنـاً وَبَالحَـقِّ يَقْـضِى لاَ يَنُوحُ فَـينطق

قَضى بِلِسَـــانٍ لاَ يَمِيْلُ وَإِنْ يَمِـلْ عَلَي أَحَـــدِ الخَصْمَيْنِ فَهُـوَ مُصَدَّقُ

وفيه:

«طويل»

وَمَا حَاكِمٌ أَعْمَـــى وَفَضْلٌ قَضَـــاؤُهُ وَلَوْ كَانَ ذَا عَـينٍ لَمَـــا قَامَ بِالـــفَضْلِ

وقال ابن دُريد فى الزَّنْد:

---

(١) ط: تكنَّفها، وفى (أ) تكنفها.

«زجر»

وَمُنْتَجِ أُمُّ أَبِيهِ أُمُّهُ ... لَمْ يَتخَوَّنْ جِسْمَهُ مسُّ الضَّوَى

أَفْرَشْتُهُ بنتَ أَخِيهِ فَانْثَنَتْ ... عَنْ وَلَدٍ يُورَى بِهِ وَيُشْتَوَى

وقال الآخر فى أحمد:

«متقارب»

أُحاجِيْك فى اسمِ الحبيبِ الذى ... هَوِيْتُ وأَنتَ إمام البَلَدْ

حُرُوفُ الهِجاءِ لَهُ أَرْبَعٌ ... إذا زَال حَرْفٌ فَيَبْقَى أَحَدْ

وقال زهيرُ فى مدينة يَافَا:

«طويل»

وَحَقِّكَ خَبِّرنِيْ عَنِ اسمِ مَدِينَةٍ ... تَكُونُ رُبَاعِيًّا إذَا مَا كَتَبْتَهُ

عَلَى أَنَّهُ حَرْفَانِ حِينَ تَقُولُه ... ولَكِنَّهُ حَرْفٌ إِذَا مَا قَلَبْتَهُ

ومِمَّا جاء فى المسائل الفقهية قوله:

«متفارب»

وَلِى خَالَةٌ وَأَنَا خَالُهَا ... وَلِى عَمَّةٌ وَأَنَا عَمُّهَا

فَأَمَّا الَّتى أَنَا عَمٌّ لَهَا ... فَإِنَّ أَبِيْ أُمُّهُ أُمُّهَا

أَبُوهَا أَخِي وَأَخُوهَا أَبِي ... وَلِي خَالَةٌ هَكَذَا حُكْمُهَا

قوله: «وَلِى خَالَةٌ» صورتُها رجُلٌ لَهُ امرأتان، أَوْلَدَ واحدةً بنتاً وأخرى ابناً، ثم زَوَّجَ بنتهُ من أبى امرأته التى ولدت ابناً فجاء ببنت، وهَى خالةُ ابنه، وهو خالُها.

وأما العَمَّةُ فصورتُها رَجُلٌ له ابنٌ، ولابنه أخٌ من أُمِّه فَزَوَّجَ أَخَاهُ أُمَّ أبيه. فجاء ببنتٍ، وهى عمَّتُهُ، وهُوَ عَمُّها.

والإبداع:

وهو أنْ يخترع المتكلم معانى غير مسبوق إليها قال عبدالحميد كاتب مروان: «خيرُ الكَلام مَا كَانَ لَفْظُهُ فَحْلاً، ومعناهُ بكراً» وهو ضربان:

أحدهما: ما يَبْتدِع عند الحوادث المتجدّدة لما بَنَى عبدُ الملك باباً للمسجد الأقصى، وحجَّاجٌ آخر بازائه: فاحترق بابُ عبدالملك بالصَّاعقة دُونَهُ. فَشَقَّ عليه. فكتب إليه الحجَّاجُ: ومَا مَثَلى، ومثلك إلا كمثل ابنى ادم إذ قرّبا قُرباناً فتُقُبِّل من أحدهما، ولم يُتقبّل من الآخر*، فسُرِّى عَنْهُ.

ولمّا عصفت الريحُ بخيمة سيف الدَّولة تطيَّر فقال أبو الطيب:

«متقارب»

تضيق[1] لَشَخْصِكَ أَرْجَاؤُهَا ... وَيَرْكُضُ فِى الوَاحِدِ الجَحْفَلُ

فَلاَ تُنْكِرَنَّ لَهَا صَرْعَةً ... فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ مَا يَقْتُلُ

وَلَمَّا أَمَرْتَ بِتَطْنِيبِهَا ... أُشِيعَ بِأَنَّكَ لاَ تَرْحَلُ

فَمَا اعْتَمَدَ اللهُ تَقْوِيضَهَا ... وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ

أى أشار بما تفعله من الارتحال.

وكان الإمام فخر الدين الرَّازى يجلس للوعظ إذْ أقبلت حمامةٌ، وخلفها صقرٌ، فألقت نفسها فى حجر الإمام. فقال ابن عُنينٍ:

«كامل»

جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ حَمَامَةٌ ... وَالْمَوْتُ يَلْمَعُ[2] مِن جَنَاحَىْ خَاطِفِ

مَنْ نَبَّأَ الوَرْقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ ... حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلخَائِفِ

(١) ط: يضيق. (٢) ط: يلمح وهو تحريف.

(*) بداية ق ١٠٨ فى الأصل.

وحضر ابن عُنين مجلس الأشرف، ثم خلا بالساقي، وأخذ بدبُّوقَتِه، فلمح الأشرف فَبُهتَ ابنُ عُنين ثم قال:

لَوْ كُنْتَ ثَالِثَنَا، وَالكَأسُ فِي يَدِي الـ ـيـ ـمنَي وَيُسرَاىَ فِي دبوُقَةِ البُقَشِ
لكُنتَ تَعْجَبُ مِن صَفْرَاءَ صَافِيَةٍ دِرياقُهَا جَسَّرَ الحَاوِي عَلَى الحَنَشِ

واستجاز سيف الدولة أبا الطيب هذا البيت:

«طويل»

رَأى خَلَّتِي مِنْ حَيثُ[٢] يَخفَى مَكَانُهَا فَكَانَتْ قَذَى عَينَيْهِ حَتَّى تَجلَّتِ

فقال:

«طويل»

لَنَا مَلِكٌ مَا يَطعَمُ النَّومَ هَمُّهُ مِمَاتٌ لحَيٍّ أو حَيَاةٌ لمَيِّتِ
وَيَكبُرُ أَنْ تَقذَى بشيءٍ جُفُونُهُ إذَا مَا رأتْه خَلَّةٌ بِكَ فَرَّتِ

وقد استجيز أيضاً بقوله:

«خفيف»

جَاءَنَا فِي الظَّلاَمِ يَطلُبُ سِتراً فَافتَضَحنَا بِنُورِهِ فِي الظَّلاَمِ

وعنده ابنه مُحسَّدٌ قال له: جَاءَكَ بالشِّمَال فَأته باليمين. فقال مُحسَّد:

«خفيف»

فَالتَجَأنَا إلَى خَنَادِسِ شَعْرٍ سَتَرَتْنَا عَنَ أعيُنِ اللُّوَّام

وقال في أسَدٍ قَتَلَهُ (بَدْرُ بنُ عمَّار)، وفَرَّ منه أسَدٌ آخر:

---

(٢) «حين» في (ع).

«كامل»

تَلَفُ الذِى اتَّخَذَ الجَرَاءَةَ خُلَّةً وَعَظَ الذِى اتَّخَذَ الفِرَارَ خَلِيلا

قال ابن جنى: هذا من الحكمة التى يُرسِلُها.

وقال أبو الحسن: دخلتُ على المُرتَضَى فَأَرَانِى أَبْيَاتاً قد عملها وهى:

«طويل»

سَرَى طَيفُ سُعدَى طَارِقاً فاستَفَزَّنِى هُبُوباً وَصَحبى بالفلاةِ هجودُ

فلما انتهينا للخيال الذى سرى إذا الأرضُ قفرُ والمزار بعيد

فَقُلْتُ لِعَيْنِى عَاوِدِى النَّومَ وَاهْجَعِى لَعَلَّ خَيَالاً طَارِقاً سَيَعُودُ

فلما عرضتُ الأبيات على أخيه الرَّضِى قَال بديهاً:

«طويل»

فَرَدَّتْ جَوَاباً والدُّمُوعُ بَوَادِرٌ وَقَدْ آنَ لِلشَّمْلِ الْمُشِتِّ وُرُودُ

فَهَيْهَاتَ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ تَعَرَّضَتْ لَنَا دونَ لقْيَاه مَهَامِهُ[1] بِيدُ

[2]فعُدتُ إلى المرتضى بالخَبَرِ. فقال: يَعِزُّ عَلَىَّ أخى قَتَلَهُ الذَّكَاءُ.

فما كان إلاّ يسيراً حَتَّى مَضى.

روى المرْزُوقى أنَّ أبا تَّمامٍ أنْشَدَ الْمُعْتَصِمَ قَصيدتهُ التى فيها:

«كامل»

إقْدَامُ عَمْرٍو فى سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فى حِلْمِ أَحْنَفَ فِى ذَكَاءِ إيَاسِ

قال إسحاقُ الكندىُّ: أميرُ المؤمنين أكبرُ فى كُلِّ شَيْءٍ مِمَّنْ شَبَّهتَهُ به فزاد بديهاً:

---

(١) «المهامه» في (ع).

(٢) بداية ق ١٠٩ فى الأصل.

«كامل»

لاَ تُنْكِـرُوا ضَـرْبِى لَهُ مِـنْ دُونِـهِ مَثَـلاً شَرُوداً فِـى النَّدَى وَالْبَاسِ
فَـاللهُ قَدْ ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُـورِهِ مَثَلاً مِـنَ الْمِشْـكَاةِ والنِّبْرَاسِ

فتعجب الحاضرون من فطنته، وذكائه.

وثانيهما: ما يبتدعُ من غير شاهد حال، وأبو الطيب هو العَلَمُ فيه:

«البسيط»

كَتَمْتُ حُبَّكِ حَتَّى مِنْكِ (١) تَكْرِمَةً ثُمَّ اسْتَوَى فِيْكِ إِسْرَارِى وَإِعْلانِى
كَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاضَ عَنْ جَسَدِى فَصَارَ سُقْمِى بِهِ فِى جِسْمِ كِتْمَانِ

أى صار سُقْمِى بالحُب فى جسم الكتمان، أى سَقُم كتمانى فَصَحَّ الاستواء، وقال فى كافور:

«طويل»

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَينِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَالْمَآقِيَا

وقال:

«بسيط»

صَدَمْتَهُمُ بِخَمِيسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ (٢) وَسَمْهَرِيَّتُهُ فِى وَجْهِهِ غَمَمُ
وَكَانَ أَثْبَتُ مَا فِيهِمْ جُسُومُهُمُ يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ وَالأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ

وقال التهامى(٣):

---

(١) «عزته» في (ع).

(٢) فكان في (ع)، وفي العرف الطيب ٢/ ٤٥٠.

(٣) التهامي: هو علي بن محمد التّهامي شاعر شامي، وله ديوان شعر ترجمته في تتمة اليتيمة ١/ ٣٧ ودمية القصر ١/ ١١٠.

أَلاَ إنَّ طَـيًّا لِلْمكـارِمِ قِبْلـــــــه وَحَسَّانُ مِنهَا رُكْنُهَا ومَقَامُهـــــا
تـــزاحِمُ تِيْجَانُ الملـــــــوك بِبَابِه ويكـــثُرُ فِي يـومِ الـسِّلامِ ازْدِحَامُهَا
إذَا عايَنَتْهُ مِنْ بَعِيدٍ تَرجـــــلَتْ وَإنْ هِيَ لَمْ تَفْعـــلْ تَرَجَّلَ هَامُهـــا

وجاء قول بعض المغاربة فى الخمر أبدع مايكون:

«كامل»

ثَقُلَتْ زُجَاجـــاتٌ أتَتْنَا فُرَّغـــــاً حَتَّى إذَا مُلِئَـتْ بِصـرْفِ الـــرَّاحِ
خَفَّتْ وكَادَتْ أنْ تَطيـــــرَ بِمَا حَوَتْ وكَذَا الجُسُـــومُ تَخـــفُّ بالأرْوَاحِ

رُوى أنَّ أبَا نواسٍ مَرَّ على أديبٍ يُفيدُ الناس بشعره، فلما افتتح قوله:

«طويل»

ألاَ فَاسْقِنِى خَمْراً وَقُلْ لِى هِيَ الخَمْـرُ وَلاَ تَسْـقِنِى سِرّاً إذَا أمْكَـنَ الجَهْـرُ

وقف وقال انظر ما عساه يقول. فقال، أشار الشَّاعرُ بقوله: (وقُلْ لى هِيَ الخَمْرُ) إلى حَظِّ حسنْ السَّمع ليحظى بتمام حِسِّه. فتعجَّبَ منه، وقال: ما هجس المعنى فى خلدى.

وقال الأصمعىُّ: قال لى الرَّشيدُ قد أحسن الأخطل فى قوله:

«طويل»

تَدِبُّ دَبِيباً فِى الـعِظَـامِ كَأَنَّمَـا[1] دَبِيـبُ نِمـَالٍ فى نَقَـا يَتَهَيَّـــلُ

فقلت: أحسن منه قول أبى نؤاس:

«طويل»

---

(١) كأنها في (ع)، وكأنَّهُ في التذكرة الفخرية، وديوانه.

(١)إذَا مَا أتَتْ دُونَ اللَّهَاةِ من الفَتَى دَعَا هَمُّهُ مِن صدرِهِ بِرَحِيلِ

فصلٌ: «فى بَدائعِ النَّحويين»

دخل رجل مجلس كافور وقال: أدام اللهُ أيام سيدنا ـ بكسر الميم ـ ففطن النَّاس فقال:

«بسيط»

لاَ غَرْوَ أَنْ لَحَنَ الدَّاعى لِسَيِّدِنا أَوْ غَصَّ مِن دَهَشٍ بالرِّيقِ أَوْ بَهَرِ
فإنْ يَكُنْ خَفَضَ الأيامَ عنْ غَلَطٍ فِى مَوضِعِ النَّصبِ لاَ عن فكرةِ النَّظَرِ
فَقَدْ تَفَاءَلْتُ عَنْ هَذَا لِسَيِّدِنا وَالفَأْلُ مَأثُورةٌ عَن سَيِّدِ البَشَرِ
بِأَنَّ أَيَّامَهُ خَفْضٌ بِلاَ نَصَبٍ وَأَنَّ أوقَاتَهُ صَفْوٌ بِلاَ كَدَرِ

وقال أبو الطيّب:

«بسيط»

حَوْلِى بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمُ حَلَقٌ تُخْطِى إذَا جِئتَ فى استِفْهامِها بِمَنِ

وقال:

«طويل»

إذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضَارِعاً مَضَى قَبْلَ أَنْ يُلْقَى عَلَيهِ الجَوَازِمُ

أى إذا نوى أمراً يفعله مضى قبل أن يُقال: لا تفعل، ولم يفعل لأنَّهُ لم يسبق إلى ما يهم به نهىٌ، وفُتُورٌ. وقال الآخر:

طِيبُ الهَوَاءِ بِبَغْدادٍ يُشَوِّقُنِى قِدماً إلَيهَا وَإنْ عَاقَتْ مَعَاذِيرِى
فَكَيْفَ صَبْرِى عَنْهَا الآنَ إذْ جَمَعَتْ طِيبَ الْهَوَاءَيْنِ ممدودٍ ومقصورِ

«طويل»

كَأَنَّ النَّوَى إذْ نَادَتِ الدَّمْعَ رَخَّمَتْ وَلاَ أَثَرٌ فِيهَا أَجَابَ عَلَى العَيْنِ

---

(١) بداية ق ١١٠ فى الأصل.

وقد أوضح المعنى من قال:

«من المخلع»

قَدْ كَانَ عَيْنِي بِغَيْرِ دَمْعٍ فَصَارَ دَمْعِي بِغَيْرِ عَيْنِ

وقال الآخر:

«بسيط»

وقال ابنُ عُنَيْن:

«كامل»

مَالُ ابْنِ مَازَةَ دُونَهُ لِعُفَاتِهِ خَرْطُ الْقَتَادِ [1]، أَوْ مَنَاطُ الْفَرْقَدِ

مَالٌ لِزومُ الجَمْعِ يَمْنَعُ صَرْفَهُ فِي رَاحَةٍ مِثْلُ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ

وقال أيضاً في مصروف عن ولايته:

فَلاَ تَغْضَبَنَّ إِذَا مَا صُرِفْتَ فَلاَ عَدْلَ فِيكَ وَلاَ مَعْرِفَهْ

وقال ابن الإصبَع:

«طويل»

أَيَا قَمَراً مِن حُسْنِ وَجْنَتِهِ لَنَا وظِلّ عِذَارِيه[2] الضُّحَى وَالأَصَائِلُ

جَعَلْتُك [2] بالتمييزِ نَصْباً لِنَاظِرِي فَهَلاَّ رَفَعْتَ الهَجْرَ، والهَجْرُ فَاعِلُ

تَنَقَّلْتَ مِنْ طَرْفٍ لِقَلْبٍ مَعَ النَّوَى وَهَاتِيكَ لِلبَدْرِ التَّمَامِ مَنَازِلُ

وقد أبدع أيضاً في قوله: «من طرف لقلب» لأنَّ طَرْفَةَ، والقلب منزلان من منازل القمر، وأنّ الطرف رائدُ القلب. وقال الآخر:

---

(١) ط: القتاد، والقتادة في أ، ع.

(٢) عذرية في (ط).

«سريع»

عَـرِّجْ بِنَا نَحـــــوَ طُلُـولِ الحِـمَى فَلَـمْ تَـــزَلْ آهِلَـــةَ الْمَـرْبَعِ

(١)حَتَّى نُطِيلَ اليـومَ وَقْفـــاً عـلى الـ ـسَّاكِنِ أو عَطْفـاً عَلَى المَوْضِـعِ

وقيل مرض ابن عُنين، فاستعاد بعض الملوك بقوله:

«كامل»

انظُرْ إلـيَّ بِعينِ مَـــولـيَ لم يَزَلْ بِعَطِيـــــــة وتـلافِ قَـــبل تـلافى(٢)

أنا كَـــالذِى أَحتَـاجُ مـا تحـتـاجُهُ فَـاغْنَـمْ دُعَـــائِي وَالثنـــاءَ الوافى

فجاءهُ بألف دينار وقال هذه الصلة، وأنا العائد.

ومن نوادر الباب أنَّ أبا نوَّاس كتب على جدارٍ:

«متقارب»

لَقَدَ ضَاعَ شِعـــرِى عَلَى بَابِكُـــمْ كَمَا ضَـــــــاعَ دُرٌّ عَلَى خَالِـــصةْ

وخالصةُ جاريةٌ للخليفة يهواها، ثُمَّ بلغـهُ أنَّ الخليفة وقف وغضب عليه، فعمد إلى إبدال العينين بالهـمزتين، وحين عُوتبَ قال: لعَلَّ غيـر ذلك يا أمير المؤمنين. فلما أعادَ الخليفةُ النَّظر إلى المكتوب قال: «لله بيتٌ قُلِعَتْ عَيْنَاهُ فأَضَاءَ».

وقيل مرض نضرٌ فعادهُ أبو صالح. وقال: مَسَح اللهُ ما بِكَ (٣). قال نَضْرٌ: قل: مَصَحَ(٤) بالصَّاد، فـقال: السـين تُبدلُ من الصَّادِ فى الصـراط، وصَقَرَ.

---

(١) بداية ق ١١١ فى الأصل

(٢) سقط البيت من (أ).

(٣) يقال: (مسح الله مابك من علة) أي أزالها عنك وشفاك.

(٤) مَصَحَ: كَأَنَّ وجهه مِصْحَاةٌ، المِصْحاة بالكسر: إناءٌ من فضه يُشرَبُ فيه، ومَصَحَتِ الدَّارُ: درست، ومصح الظلُّ: ذهب.

فقال: إذاً أنت أبو سَالِح[1] يُريدُ النَّجو[2].

ولقى بعض الملوك حيَّان النَّحوىَ فى سكَّة. فقال الملك: أحيَّانُ منصرفٌ أم لا؟. فقال: إنْ أَحْيَاهُ الْمَلكُ فمنصرفٌ. وإنْ حَيَّنَهُ فغَيرُ منصرفٌ.

واستأذن رجُلٌ سيبويه، فلم يُؤذن له، وقيل ينصرف. فقال الرجل: اسمى أحمَدُ، وهو[3] لا ينصرف. فقيل: أحمدُ فى المعرفة لا ينصرف. وأمَّا فى النَّكرة فمُنصَرِفُ.

الْمَذْهَبُ الكَلَامِىُّ:[4]

وهو أنْ يورد البليغ حجَّةً على ما يَدَّعيه على طريقة المتكلمين. قال تعالى: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِى العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَاهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٍ﴾[5] أفحمَهُم بدليلى القُدرة، والعلم.

وقال ـ صلى اللهُ عليه وآله وسلم: «يَا مَعْشَرَ قُريش لو قُلتُ لَكُمْ: إنَّ خَيلاً تَطْلُعُ عليكم من وراء هذا الجبل أكُنْتُمْ تُصدِّقونى؟ قالوا نعم. قال: إنّى لكم نذيرٌ بينَ يَدَى عَذابٍ شديد»[6] فَلمَّا أقَرُّوا بصدقه أنذرهم.

وقال علىٌّ ـ رضى الله عنه ـ يوم السَّقيفة لَمَّا قالت الأنصارُ: منَّا أميرٌ، ومنكم أميرٌ هَلاَّ احتججتم عليهم بوصيَّة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ بأنْ نُحسن إلى محسنهم، ونُجاوزَ عن مُسيئهم لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصية بهم.

وقال الوليد لابن الأقرع: انشدنى قولك فى الخمر، فأنشده:

«طويل»

---

(١) ط: صالح.، وهو تحريف.

(٢) النجو: الغائط، وذلك لأن (السالح) هو المتغوط يقال سلح أي تغوط.

(٣) «وأحمد» مكان «وهو» في (ع).

(٤) انظر الإيضاح بشرح د. خفاجى ص ٥١٦.

(٥) سورة يس ٣٦/٧٨ ـ ٧٩.

(٦) رواه النسائي في (الوصايا/٦) وزحمد ٢/٣١٨ ـ ٣٦٠.

كُمَيْتُ إذَا شُجَّتْ فَفِي الكَأْسِ وِرْدُهَا لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَبِيبُ
تُرِيكَ القَذَى مِن دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ لِوَجْهِ أَخِيهَا فِي الإِنَاءِ قُطُوبَ

فقال الوليد: شربتها ورب الكعبة. فقال: لئن كان وصفى لها رابك[1] لقد رابنى معرفتُك بها.

وقصَد الشَّاعرُ أبا دُلَف فقال: ممَّن أنتَ؟ قال من تميم. فقال:

تَمِيمٌ بِطُرْقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ القَطَا وَلَوْ سَلَكَتْ طُرُقَ المَكَارِمِ ضَلَّبِ

فقال: نعم بتلك الهداية جِئتَكَ، فخجل، واستكتمه، وأجازه.

وقال الآخر:

«بسيط»

دَعِ النُّجُومَ لِطُرْقِيٍّ يَعِيشُ بِهَا وَبِالعَزَائِمِ فَانْهَضْ أَيُّهَا المَلِكُ
إنَّ النَّبِيَّ وأَصْحَابَ النَّبِيِّ نَهَوَا عَنِ النُّجُومِ وقد أَبْصَرْتَ مَا مَلَكُوا

وحُسنُ التعليل:[1]

هو أن تدعى لأمر علةٌ مناسبة باعتبار لطيفٍ قال أبُو هِلاَلٍ العسكرىُّ:

«كامل»

زَعَمَ البَنَفْسَجُ أَنَّهُ كَعِذَارِهِ حُسْناً فَسُلُّوا مِن قَفَاهُ لِسَانَه

وقال الشيخ جمال الدين الجبلىّ:

---

(١) بداية ق ١١٣ فى الأصل.

(٢) انظر تعريف الخطيب له في الإيضاح بشرح د. خفاجي ص ٩٨، فقد عرفه بقوله: «هو أن تدعي الأمر عليه مناسبة باعتبار لطيف غير حقيقي»

«كامل»

نَظَرَ الصَّبَاحُ إلى صَفَاءِ جَبِينِهِ ... فَتَعَلَّقَتْ أَنْفَاسَهُ الصُّعَدَاءُ

واللَّيلُ فَكَّرَ فِي سَوَادِ فُرُوعِهِ ... فَتَشَبَّثَتْ بِمَزَاجِهِ السَّوْدَاءُ

وقال أيضاً:

«كامل»

وَلَمَّا نَضَا وَجْهُ الرَّبِيعِ نِقَابَهُ ... وَفَاحَتْ بِأَطْرَافِ الرِّيَاضِ النَّسَائِمُ

فَطَارَ عُقُولُ الطَّيْرِ لَمَّا رَأَيْنَهُ ... وَقَدْ بُهِتَتْ مِن بَيْنِهُنَّ الحَمَائِمُ

خَشِينَ جُنُوناً بالرِّيَاضِ وحُسْنِهَا ... صَدَحْنَ وَفِي أَعْنَاقِهِنَّ التَّمَائِمُ

وقال الحافظ في الآذريون:

«المنسرح»

عُيُونُ تِبْرٍ كَأَنَّهَا سَرَقَتْ ... سَوَادَ أَحْدَاقِهَا مِنَ الغَسَقِ

فَإِنْ دَجَا لَيْلُهَا بِظُلْمَتِهِ ... ضُمِمْنَ مِنْ خَوْفِهَا عَلَى الرَّقِ

وقال الآخر:

«الخفيف»

لاَ تَضَعْ مِنْ عَظِيمِ قَوْمٍ وَإِنْ كُنْـ ... ـتَ مُشَاراً إِلَيْهِ بِالتَّعْظِيمِ

فَالْعَظِيمُ الشَّرِيفُ يَصْغُرُ قَدْراً بِـ ... ـلتَّجَنِّي عَلَى الشَّرِيفِ العَظِيمِ

وَلَعُ الخَمْرِ بِالْعُقُولِ رَمَى الخَمْـ ... ـرَ بِتَنْجِيسِهَا وَبِالتَّحْرِيمِ

وعَلَّل بعضهم حين أراد افتضاض بكرٍ، فمنعه طريان العذر بقولٍ:

وفَارِسِ مَاضٍ بِحَرْبَتِهِ ... حَاذِقٍ بِالطَّعْنِ فِي الظُّلَمِ

رَامَ أَنْ يُدْمِيَ فَرِيسَتَهُ ... فَاتَّقَتْهُ مِنْ دَمٍ بِدَمِ

وقال ابنُ نباتَة فى فَرسٍ أغرَّ مُحَجَّلٍ:

«كامل»

فكأنَّمـا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فـاقْتصَّ منهُ وخـاضَ فِى أحْشَائِهِ
لا يُكْمِلُ الطَّرْفُ المَحَاسِنَ كُلَّهـا حتَّى يكُونَ الطرَفُ مِنْ أُسرَائِهِ

وقال ابن الرومى:

«طويل»

رَأَيْتُ خِضَابَ الْمَرْءِ بَعْدَ مَشِيبِهِ حِدَاداً عَلَى شَرْخِ الشَّبِيبَةِ يَلْبَسُ

وقال[1]:

«خفيف»

وَغَزَالٍ تَرَى عَلَيَّ وَجُنَتَيْهِ قَطَرَ سَهْمَيْهِ مِنْ دِمَاءِ الْقُلُوبِ
جَرَّحَتْهُ الْعُيُونُ فَاقْتَصَّ مِنْهَا بِجَوَى فِى الْقُلُوبِ دَامِى النُّدُوب

وأخذه من أبى تمام:

«كامل»

أَدْمَيْتُ بِاللَّحَظَاتِ وَجْنَتَهُ فَاقْتَصَّ نَاظِرُهُ مِنَ الْقَلْبِ

وقال الآخر فى العذار والخال:

«الوافر»

لَهِيبُ الخَدِّ حين بَدَا لِعَيْنِى هَوَى قَلْبِى عَلَيْهِ كَالفَرَاشِ
فَأَحْرَقَهُ فصارَ عَلَيْهِ خَالاً وهَا أَثَرُ الدُّخَانِ عَلَى الحَوَاشِى

وقال ابن حمديس الصِّقِلِّىُّ فى الخال وأجاد:

---

(١) بداية ق ١١٤ فى الأصل.

«كامل»

يا سَالِبـــاً قـــمَرَ الـسَّمَاءِ جَمـــالَهُ ... أَلْبَسْتَنِى فـى الحـُزنِ ثـوْبَ سَمَائـــهِ
أَشْعَلْـتَ قَلْبِى فَارتَمَـى بِشـــرَارَةٍ ... عَلِقَتْ بِخَدِّكَ فـــــانْطَفَتْ مِنْ مَائِهِ

وقال الآخر فيه:

لاَ تَقُولَنَّ: خَالُـهُ نَقْـطُ مِـــسْكٍ ... زَادَ فـى الـوَجْهِ بَهْجَةً وَجَـــمَالاَ
ذَاكَ مَـاءٌ بِوَجْهِـــهِ دَقَّ حَتَّى ... صَـــارَ إِنْسَانُ عَينِ رائِيـــــهِ خَالاَ

وقال أبو حبيب المغربىّ:

«بسيط»

مُجْرِى جُفُونِى دِمَاءً وَهْـو نَاظِرُهَـا ... ومُتْلِـفُ الـقَلْـبِ وَجْداً وَهْوَ مَرتَعُهُ
إِذَا بَدَا حَالَ دَمْعِى دُونَ رُؤْيَتِـــهِ ... يَغَارُ مِنِّى عَلَيـــهِ فَهْوَ بُرقُعُـــهُ

وقال الآخر:

«بسيط»

يَا وَاشِيـــاً حَسُنَتْ فِيـنَا إِسَاءَتُـهُ ... نَجَّى حِذَارُكَ إِنْسَـانِى مِن الغَـرَقِ

وقال قيس بن ملوّح:

«كامل»

وَلَقَـدْ هَمَمْـتُ بِقَتْلِهَا مِن حُبِّهَـــا ... كَىْ مَـا تَكُونَ خَصِيمَتِى فِى الْمَحْشَرِ
حَـــتَّى يَطُولَ عَلَى الصِّرَاطِ وُقُوفُنَا ... وَتَلَذَّ عَـــيْنِى مِنْ لَذِيـذِ الْمَنْظَـرِ

وقال المطرانى:

«طويل»

ظِبَاءٌ أَعَارَتْهَا الْمَهَا حُسْنَ مَشْيِـهَا ... كَمَا قَدْ أَعَارَتْهَا العُيُونَ الجآذِرُ

فَمِنْ حُسْنِ ذَاكَ الْمَشْى جَاءَتْ فَقَبَّلَتْ ... مَوَاطِىءَ مِنْ أَقْدَامِهِنَّ الضَّفَائِرُ

«كامل»

وقال ابنُ الخازن:

لَوْ فَاخَرَتْ ذَاتُ العِمَادِ بيوتَها ... عَادَتْ مُقَوَّضَةً بِغَيْرِ عِمَادِ

لاَ تَكْنِبَنَّ فَمَا لَهَا دَارٌ إِذَا ... أَنْصَفْتَنِى إِلاَّ صَمِيمِ فُؤَادِى

فلذاك لا تُسْقى السحائب أرضَها ... إِلاَّ بِرَدْنِ حَرَارَةِ الأَكْبَادِ

وقال كُثَيِّرٌ:

«طويل»

وَحَقِّكَ أَنَّ الجِزْعَ أَضْحَى تَرَابُهُ ... عَبِيراً وكَافُوراً وَعِيدَانُهُ رَنْدَا

وما ذَاكَ إِلاَّ أَنْ مَشَتْ بِجَنَابِهِ ... أُمَيْمَةُ فِى سِرْبٍ وَجَرَّتْ بِهِ بُرْدَا

(١)وقال السيد الرَّضىُّ:

«بسيط»

يَا روضَ ذى الأَثْلِ مِنْ شَرْقِىّ كَاظِمَةٍ ... قَدْ عَاوَدَ القَلْبُ مِن ذكراك أَحْزَانَا

أَشُمُّ مِنْكَ نَسِيماً لَسْتُ أَعْرِفُهُ ... أَظُنُّ لَمْيَاءَ جَرَّت فِيكَ أَرْدَانَا

قال الصَّاحب عطا ملك:

«كامل»

كَالصُّبْحِ قَدْ وَافَى رَسُولُكَ فَانْجَلَى ... لَيلُ الهُمُومِ وَذَاكَ قَالُ نَاطِقُ

فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لاَ مَحَالَةَ زَائِرِى ... أبداً رَسُولُ الشَّمسِ صُبْحٌ صَادِقٌ

وقال الآخر:

---

(١) بداية ق ١١٤ فى الأصل.

«كامل»

صَبَّحْتُهُ عِنْدَ الْمَسَاءِ فَقَالَ لِى: مَاذَا الكَلامُ؟، وَظَنَّ ذَاكَ مُزَاحَا
فَأَجَبْتُهُ: إشْرَاقُ وَجْهِكَ غَرَّنِى حَتَّى تَوَهَّمْتُ الْمَسَاءَ صَبَاحَا

وقال أبو الفتح البُسْتِىّ:

«بسيط»

إذَا غَدَا مَلِكٌ باللَّهْوِ مُشْتَغِلاً فَاحْكُمْ عَلَى مُلْكِهِ بالوَيْلِ وَالحَرَبِ
أَمَا تَرَى الشَّمْسَ فِى الْمِيزَانِ هَابِطَةً لَمَّا غَدَا برح نَجْمِ اللَّهْوِ وَالْطَّرَبِ

وقال ابن مطروح:

«طويل»

رَأَيْتُ بِخَدَّيْهِ بَيَاضاً وحُمْرَةً فَقُلْتُ لِى البُشْرَى اجْتِمَاعٌ تَوَلَّدَا

والمُراجَعَةُ[1]:

وتسمى السؤال والجواب، وهى ضربان:

أحدهما: أن تكون بين اثنين. كتب عبدُ الله بن الدُّمينة إلى أُمَامة:

«طويل»

وَأَنْتِ الَّتِى كَلَّفْتِنِى دَلَجَ الدُّجَى[2] وَسَرْبُ القَطَا بالجَلْهَتَيْنِ جُثُومٌ
وَأَنْتِ الَّتِى قَطَّعْتِ قَلْبِى حَزَازَةً وَفَرَّقْتِ قَرْحَ الْقَلْبِ وَهُوَ كَلُومُ

فأجابت:

---

(١) انظر الطراز للعلوى ٣/ ١٥١ إلا أنه سماها (الترجيع) وسماها الرازى (السؤال والجواب) في نهاية الإيجاز ص ٢٩٤ وقد خالفهما الطيبى في تعريفها وشواهدها.

(٢) ط: السُّرى.

«طويل»

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي ... وَأَشْمَتَّ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي ... لَهُمْ غَرَضاً أُرْمَى، وَأَنْتَ سَلِيمُ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلاً يَكْلِمُ الجِسْمَ قَدْ بَدَا ... بِجِسْمِيَ مِنْ قَوْلِ الوُشَاةِ كُلُومُ

وكتب بعض الفضلاء إلى الصاحب قوام الدين القُمىّ:

«بسيط»

أَفْدِي الَّذِينَ بِوَادِي الجِزْعِ مَنْزِلُهُم ... وَإِنَّهُمْ نَقَضُوا العَهْدَ الَّذِي سَبَقَا
مَا رَاسَلُونِي وَلاَ رَاعُوا، وَلاَ كَتَبُوا ... أَظُنُّ مَا كَانَ مِنْهُم بِالحَمَى مَلَقَا

فأجابهُ:

«بسيط»

والله [1] مَا كَانَ نَقْضُ العَهْدِ لى خُلُقاً ... وَلا رَأَى قَطُ مِنى صَاحِبٌ مَلَقا
بل كُنتُ مَا كُنْتُ أُوفِى بالعُهُودِ وَإِنْ ... خَانَ الصَّدِيقُ، وَأَمْسَى حَبْلُهُ خَلَقا

وكتب ابن المطروح إلى زُهير المصرىّ يطلب منه درج ورقٍ ومداداً:

«منسرح»

أَفْلَسْتُ يَا سَيِّدِي مِنَ الوَرَقِ ... فَابْعَثْ بِدَرْجٍ كَعُمْرِكَ اليَقَقِ
وَإِنْ أَتَى بِالمِدَادِ مُقْتَرِناً ... فَمَرْحَباً بِالخُدُودِ وَالحَدَقِ

ومن ظرفه أنَّهُ فتح الرّاء من الورق، وكسرها، وكتب عليها معاً فسيَّر إليه مِداداً، ودرجاً وكتب:

(١) بداية ق ٧٣ فى الأصل.

«المنسرح»

مَوْلاَىَ سَيَّـــرْتُ مـــا أَمَرْتَ بِهِ وَهـو يـــسْـــيْر المداد وَالـوَرَقِ
وعَزَّ عِنْدِى تَســـيِيـــرُ ذَاكَ وَقَدْ شَبَّهْتَـهُ بـالخـــدُودِ وَالحـــدَقِ

وثانيهما: أنْ يُحكى محاورة جرت بين اثنين كما فعل الصَّاحبُ:

«متقارب»

وَقَائِلَـــةٍ: لِمَ عَرَتْكَ الـهـــمُومُ وَمَـــرْكَ ممتـــثـل فِى الأُمـــمُ
فَقُلْتُ: ذَرِينْـــى عَلَى غُصـــتِى فَإِنَّ الـهُمـــــــومَ بِقَدْرِ الـهِمـــمْ

وقال الآخر:

«طويل»

وَقَـائِلَـةٍ: خـلِ التَّصـــــابى لأَهْلِهـا فَإِنَّ الـصِّبا عِنْدَ الْمَشِـيبِ جُنُـونُ
فَقُلْتُ لَهـــا: كُفِّى عَنِ الـلَّومِ وَاقْصِرِى لَذِيذُ الكَرَى عِنْـدَ الصَّبَاحِ يَكُـونُ

وقال الآخر:

«طويل»

إِذَا قُلْتُ: أَهْدَى الهَجْرُ لِى حَلَلَ الـبَلاَ تَقـــولين: لَولاَ الـهَجْرُ لَمْ يَطِبْ الحبُّ
وَإِنْ قُلْتُ: كَرْبِى دَائِمٌ. قُلْتِ: إِنَّمـــا يُعَدُّ مـــحـــبّاً مَن يَدُومُ لـــهُ كَـرْبُ
وَإِنْ قُلْتُ: مَالِى الذَّنبُ. قُلْتِ مُجِيبَةً: حَيَـاتُكَ ذَنـــبٌ لاَ يُقَاسُ بِهِ ذَنـــبُ

والإغراقُ:(١)

وهو أن تدعى لشئ وصفاً بالغاً حَدَّ الاستحالة وهو مقبول، ومردود: فالمقبول قولُ امرئ القيس:

(١) انظر الإيضاح ص ٥١٤ .

«طويل»

مِنَ القاصراتِ الطَّرْفِ لَو دَبَّ مُحْـ ـولٌ مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الإتب مِنْها لأثَّرَا
وإذا توهم أن يراها ناظرُ تركَ التوهم وجهَهَا مكلوما[1]

وقول المتنبيّ:

«وافر»

وَلَوْلاَ أَنَّنِى فِى غَيْرِ نَوْمٍ لَكُنْتُ أَظُنُّنِى مِنّى خَيَالا

وقال الماهر:

«وافر»

وما أبْقَى الهَوَى وَالشَّوقُ مِنّى سِوَى رُوحٍ تَرَدَّد فى خَيَالِ
خَفِيتُ عَنِ المنِيَّةِ أَنْ تَرَانِى كَأَنَّ الرُّوحَ مِنّى فى مُحَالِ

وقال الآخر:[1]

فلو أن ما بى من جوي وصبابة على جمل لم يبق فى النارِ كافرُ

«طويل»

وقال شمس الدين الكيشى:

فَلَوْ رُفِعَتْ عَنْها السُّتورُ ضِياؤُها يُرِى الكُمَةَ نَاراً أُسْكِتَتْ دَاخِلَ الزَّنْدِ
وَلَوْ حَمَلَتْ مِنْ أَرْضِهَا الرِّيحُ نَفْحَةً ومَرَّتْ بِعَادٍ أَنْطَقَتْهُمْ مِنَ اللَّحْدِ

وقال أبو نواس:

«طويل»

فَلَمَّا شَرِبْنَاها وَدَبَّ دَبِيبُها إلى مَوضِعِ الأَسْرَارِ قُلْتُ لَهَا قِفِى
مَخَافَةَ أَنْ يَعْلُو عَلَىَّ شُعَاعُها فَيَطْلُعُ نَدْمَانِى عَلى سِرِّى الخَفِى

وقال أيضاً:

---

(١) سقط هذا البيت من (ط) وأثبته من (أ).
(٢) ط: والآخر.

«كامل»

وأخـــفْتَ أهْلَ الشِّرْكِ حَتَّـــى أنَّهُ يـخـافـــكَ النُّطَفُ الَّتى لَمْ تُخْلَقِ

والمتنبى

«وافر»

فَمَا تَقِفُ الـــهُـــمُ عَلَى قـــرَارِ كَأَنَّ الـــرِّيـــشَ يَطْلُبُ الـــنِّصَالاَ

(١)**والمردُودُ**: هو الذى يخرجه إلى حدِّ الكُفْرِ، ويُسمّى الغُلوّ. قال عَضدُ الدَّولة:

«الرمل»

لَيْسَ شُرْبُ الكَاسِ إلاّ فى المطـ ـــر وَغِنَاءٍ مِنْ جَوَارٍ فى السَّحَرْ

غَانيـــات سَالِبـــات للنُّهَى نَاغمـــات فى تَضَاعِيفِ الوَتَرْ

مُبْرِزَاتِ الكَاسِ مِن مَطْلَعِهـــا سَاقِيَاتِ الرَّاحِ مَنْ فَاقَ البَشَرْ

عَضُدَ الدَّولةِ وابـــنَ رُكْنِهـــا مَلَكَ الأمْلاكِ غَلاَّبَ القَـــدَرْ

روى أنه لم يُفلح بعد هذا القول. وكان لاينطلقُ لسانُهُ إلاّ بقوله تعالى: ﴿**ما أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ. هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ**﴾(٢).

وقال ابنُ دريد:

ولَوْ حَمى المقـــدارُ عنْهُ مُهجـــةً لَرامَهـا أو يـــتـــبـــيحُ مَا حـــمَى

تَغـــدُو المَنـــايَا طَائعـــاتٍ أمْرَهُ تَرْضَى الـذِى يَرضَى وتَأبَى مـــا أبَى

---

(١) بداية ق ١١٥ في الأصل.

(٢) سورة الحاقة ٢٨/٦٩ ـ ٢٩.

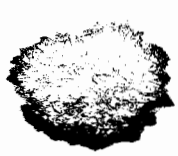

والكلامُ الجامعُ[1]:

هو أن يُحلِّى المتكلم كلامَه بشئ من الحكمة، والموعظة وشكاية الزَّمان، والإخوان.

فمن **الحكمة** قول الشَّافعى (رضى الله عنه).

«وافر»

تَعلَّمْ يا فَتَى والعُودُ رَطْبٌ ... وَطِينُكَ لَيِّنٌ والطَّبعُ قَابِلْ

فإنَّ الجَهْلَ وَاضِعُ كُلِّ عَالٍ ... وَإنَّ العِلْمَ رَافِعُ كُلِّ خَامِلْ

فَحَسْبُكَ يَا فَتَى شَرَفاً وعِزّاً ... سكُوتُ الحاضرين وأنتَ قَائِلْ

وما كتب الصّاحبُ بهاءُ الدين الجُوينىّ إلى ابنه الصاحب شمس الدين:

«متقارب»

بُنَىَّ اجْتَهِدْ فى اقْتِنَاءِ العُلُوم ... تَفُزْ باجْتِنَاءِ ثِمَارِ الْمُنَى

أَلَمْ تَرَ فى رُقْعَةٍ بَيْدَقاً ... إذَا جِدَّ فِى سَيْرِهِ فَرْزَنَا

فَأَجْدَادُنَا الغُرُّ قَدْ أَسَّسُوا ... مِنَ الْمَجْدِ ثُمَّ الْمَبَانِى لَنَا

فَإنْ لَمْ نَشِدْهَا بِمَجْهُودِنَا ... سَتَنْهَارُ وَاللهِ تِلْكَ الْبِنَا

وقول أبى تمام:

«كامل»

وَإذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

وَلَوْلاَ[1] اشْتِعَالُ النَّار فِيمَا جَاوَرَتْ ... مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ

---

(١) هذا النوع من البديع أغلب ظنّى أن الطيبى قد تفرد به، إذ لم أجده فيما راجعته من كتب البلاغة ولكن لا أستطيع الجزم بتفرده بذلك إذ إننى لا أدعى الاستيعاب والحصر لكتب البلاغة، وقد أكثر الطيبى من شواهد هذا النوع وأمثلته الجيدة.

وقال الآخر:

«كامل»

مَنْ عَاشَرَ الشُّرَفَاءَ شَرَّفَ قَدْرَهُ ... وَمُعَاشِرُ السُّفَهَاءِ غَيْرُ مُشَرَّفِ
فَانظر إلى الجلد الحقير مقبلا ... بالشغر لما صار جار المصحف

وقال ابن الرومى:

«طويل»

وَمَا الشَّرَفُ الْمَوروثُ لا دَرَّ دَرُّهُ ... بِمُحْتَسَبٍ إلاَّ بِآخَرَ مُكْتَسَبْ
إذَا الْغُصْنُ لَمْ يُثْمِرْ وَإنْ كَانَ شُعْبَةً ... مِنَ الْمُثْمِرَاتِ اعتَدَّهُ النَّاسُ فى الْحطَبْ

وقال التهامىُّ:

«بسيط»

لاَ(١) تَحْسِبَنَّ حَسَبَ الآبَاءِ مَكْرُمَةً ... لِمَنْ يُقَصِّرُ عَنْ غَايَاتِ مَجْدِهِمِ
حُسْنُ الرِّجَالِ بِحُسْنَى لاَ بِحُسْنِهِمِ ... وَطُولُهُم فى الْمَعَالِى لاَ بِطُولِهِمِ

وقال أبو فراس:

«بسيط»

كَانَتْ مَوَدَّةُ سَلْمَانٍ لَهُ نَسَبًا ... وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ نُوحٍ وَابْنِهِ رَحِمُ!

وقال الآخر:

سأنفق ريعان الشبيبة آنفاً ... على طلب العلياء أو طلب الأجر
أليس من الخسران أن لياليا ... تمرُّ بلا نفع وتُحسبُ من عمرى

«طويل»

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا الإنْسَانُ إلاَّ ابنُ دِينِهِ ... فَلاَ تَتْرُكِ التَّقْوى اتِّكالاً عَلَى النَّسَبِ
فَقَدْ رَفَعَ الإسْلاَمُ سَلْمَانَ فَارِسٍ ... وَقَدْ وَضَعَ الإشْرَاكُ قَدْرَ أَبِى لَهَبِ

(١) بداية ق ١١٧ فى الأصل.
(٢) البيتان ليسا فى(ا).

وقال الآخر:

«طويل»

عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَسْعَى لِمَا فِيـــــهِ نَفْعُهُ ... وَلَيْسَ عليـــــه أَنْ يُسَاعِدَهُ الدَّهْرُ

فَإِنْ نَالَ بِالسَّعْيِ الْمُنَى تَمَّ أمـــــرُهُ ... وَإِنْ عـــرَضَ الْمَقْدُورُ كَانَ لَهُ عـــذْرُ

وقال الآخر:

«طويل»

غَرَسْتُ غُرُوســـاً كُنْتُ أَرْجُو لَقَاحَهَـــا ... وَآمُلُ يَوْمـــاً أَنْ تَطِيـــبَ جَنَاتُهـــا

فَإِنْ أَثْمَرَتْ لِي غَيـــرَ مَا كُنْـتُ آمِـلا ... فَلاَ ذَنْبَ لِي إِنْ حَنْظَلَتْ نَخَلاَتُهـــا

وقال الآخر:

«كامل»

حَاوِلْ جَسِيـــمَاتِ الأُمـــورِ وَلا تَقُلْ: ... إِنَّ الْمَحَـامِدَ وَالعـــــلا أَرْزَاقُ

فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَكُـونَ مُقَصِّـــراً ... عَن غـــايَةٍ فِيـــهَا الطُّلابُ سِبَاقُ

وقال العتّابيُّ يُخاطب محبوبتهُ:

«طويل»

تُحِبِّينَ أَنِّى نِلْـتُ مَا نالَ جـعـفـــرُ ... مِنَ الْمُلْكِ أَوْ مـا نالَ يحـيى بنُ خـالدِ

فقالت: نعم، فقال:

فـــإن أَمِيـرَ الْمُؤْمِنِـينَ أَحـــــلَّنى ... مـــحلَّهـــمـــا بالمـرهَفَاتِ البَوَارِدِ

فقالت: لا. فقال:

---

(١) ط: وإن

«طويل»

دَعِينِي تَجِئْنِي مِيتَتِي مُطْمَئِنَّةً ... وَلَمْ أَتَجَشَّمْ هَوْلَ تِلْكَ الْمَوَارِدِ

فَإِنَّ جَسِيمَاتِ الأُمُورِ مَنُوطَةٌ ... بِمُسْتَوْدَعَاتٍ فِي بُطُونِ الأَسَاوِدِ

ومن **الموعظة** قول ابن الرومىّ:

«طويل»

لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِن صُرُوفِهَا ... يَكُونُ بُكَاءَ الطِّفْلِ سَاعَةَ يُولَدُ

إِذَا أَبْصَرَ الدُّنْيَا اسْتَهَلَّ كَأَنَّهُ ... بِمَا هُوَ لاَقٍ مِنْ أَذَاهَا يُهَدَّدُ

وَإِلاَّ فَمَا يُبْكِيهِ مِنْهَا وَإِنَّهُ ... لأَوْسَعُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدُ

وقال الصُّعْلوكى:

«طويل»

أَلا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةُ أَيْكَةٍ ... إِذَا اخْضَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ

فَلا تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بِبَعْرَةٍ ... عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ

وقال ابنُ المعتز:

«طويل»

نَسِيرُ إِلَى الآجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ ... وَأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهُنَّ مَرَاحِلُ

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقّاً كَأَنَّهُ ... إِذَا مَا تَخَطَّتْهُ الْمَنِيَّةُ بَاطِلُ

وَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ الصِّبَى ... فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ شَاعِلُ

(1)تَرَحَّلْ عَنِ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التُّقَى ... فَعُمْرُكَ أَيَّامٌ تَعُدُّ قَلاَئِلُ

وقال الآخرُ:

---

(١) بداية ق ١١٨ فى الأصل.

«طويل»

وَمَا اللَّيْـلُ والأَيَّامُ إلاَّ مَنَـازِلٌ ... يَسِيْرُ بِهَـا سَارٍ إلَى الْمَوْتِ قَاصِدُ
فَيَا عَجَبَـاً مِنْهَـا وذَاكَ عَجِيـبَةٌ ... مَنَازِلُ تَسْرِى وَالْمُسَافِرُ قَاعِـدُ

وقال ابن هانىء المغربىُّ:

«طويل»

وَمَا النَّاسُ إلاَّ ظَاعِنٌ ومُـوَدِّعٌ ... وَثَـاوٍ قَرِيحُ الجَفْنِ يَبْكِى لِـرَاحِلِ
وَمَا هَذِهِ الأَيَّامُ إلاَّ كَمَا تَـرَى ... وهَـلْ نَحْنُ إلاَّ كَالْقُرُونِ الأَوائِلِ
نُسَاقُ مِـنَ الدُّنْيَا إلَـى غَيْرِ دَائِـمٍ ... وَنَبْكِى مِنَ الدُّنْيَا عَلَى غَيْرِ طَائِـلِ
فَمَا عَاجِلٌ نَرْجُـوهُ إلاَّ كَآجِـلٍ ... وَمَا آجِـلٌ نَخْشَـاهُ إلاَّ كَعَاجِـلِ

وقيل عاش عبيدٌ الجُرهُمىُّ ثلثمائة سنة، وأدرك زمن مُعاوية قال له معاوية: حَدِّثْنِى بأعجب ما رأيت. قال مَرَرْتُ ذَاتَ يومٍ بقومٍ يَدفنُونَ ميتاً، فاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاى، وتمثلت بقول الشّاعر:

«بسيط»

يَا قَلْبُ إنَّكَ من أَسْمَاءَ مَغْـرُورُ ... فَـاذْكُرْ وَهَلْ يَنْفَعَنكَ الْيَـوم تَذْكِيـرُ
فَلَسْـتَ تَدْرِى وَمَا تَدْرِى أَعَاجِـلُهَا ... أَدْنَى لِرُشْدِكَ أَمْ مَا فِيـهِ تَأْخِيرُ
وَاسْتَـقْدِرِ اللهَ خَيْراً وَارْضَـيَنَّ بِهِ ... فَبَيْنَمَـا الْعُسْـرُ إذْ دَارَتْ مَيَاسِيـرُ
وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِى الأَحْيَاءِ مُغْتَبِطـاً ... إذْ صَارَ فِى الرَّمْسِ يَعْفُوهُ الأَعَاصِيـرُ
يَبْكِى الغَرِيـبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُـهُ ... وَذُو قَرَابَتِـهِ فِى الحَىِّ مَسْـرُورُ

فقيل لى: أتعرفُ قاتلها؟ قلت: لا. قيل: هذا المدفونُ، وأنت الغريبُ تبكى عليه. وهذا الذى خرج من قبره أمسُّ النَّاس رحماً به، وأسَرُّهُم بموته. فقال معاوية: لقد رأيت عجباً. فمن الميت؟. قلت: عُثمانُ بنُ لبيدٍ العُذْرِىُّ.

وأنشد بديع الزَّمان فى مقاماته لزين العابدين:

«طويل»

فَهُمْ فـــى بُطُونِ الأَرْضِ بَعْدَ ظُهُورِهَا ... مَحَاسِنُهُمْ فِيـــهـــا بَوَالٍ دَوَاثِرُ
خَلَتْ دُورُهُمْ مِنـــهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاصُهُمْ ... وَسَاقَتـــــهُمُ نَحْوَ الْمَنَايَا الْمَقَادِرُ
وَأَضْحَوا رَمِيمـــاً فى التُّرَابِ وأقـفـرت ... مَجَالِسُ مِنْهُـمْ(١) عُطِّلَتْ وَمَقَاصِرُ
وَحَـــلُّوا بِـدُورٍ لاَ تَزَاوَرَ بَيـــنَهُم ... وَأَنَّى تَزَاوَرُ فِى الْقُبُـــورِ تَزَاوُرُ
ثَوَى مُفْرَداً فـــــى لَحْدِهِ وتَوَزَّعَت ... مَوَارِيثَـــهُ أَرْحَـــامُهُ وَالأَوَاصِرُ
وَأَنْحَـوَا عَلَى أَمْوَالِهِ يَهْضِمُـونَـهَـا ... وَلاَ حَامِـــدٌ مِنْهُـمْ عَلَيْهَا وَشَاكِـرُ
فَيَـا عَـامِـرَ الدُّنْـيَـا يَـا سَاعِيَـا لَهَا ... وَيَا تَمنَـــا مِـــن أَنْ تَدُورَ الدَّوَائِـــرُ
عَلَى خَطَرٍ تُمْـسِى، وتُصْبِحُ لاَهِيـاً ... أَتَدْرِى بِمَـــاذَا لَو عَقَلْـــتَ تُخَاطِـرُ
تُخَرِّبُ مَا يَبْقَى، وتَعْمُرُ فَانِيَـــــاً ... فَلاَ ذَاكَ مَوْفُـــورٌ وَلاَ ذَاكَ عَامِـــرُ
أَتَرْضَى بِأَنْ تَـفْنَى الحَيَـــاةُ وَتَنْقَضِى ... وَدِينُـكَ مَنْقُـــوصٌ وَمَالُكَ وَافِـــرُ
وَكَيْفَ يَلَـــذُّ الْعَيْشَ مَنْ هُوَ مُوقِـــنٌ ... بِمَوْقِـــفِ عَدْلٍ يَوْمَ تُبْلَى الـــسَّرَائِرُ
وَإِنَّ امْرَءاً يَســـعَى لِدُنْيَاهُ دَائِبـــاً ... وَيَذْهَـــلُ عَنْ أُخْرَاهُ لاَ شَكَّ خَاسِـرُ

وقال العلوىُّ الكوفى:

«متقارب»

مَرَرْتُ(٢) بِدُورِ بَـنِى مُصْعَـــــبٍ ... بِدُوْرِ الـــسُّرُورِ وَدُورِ الـفَـــرَحْ
فَشَبَّهْـتُ سُرْعَةَ أَيَّامِـــهِـــم ... بِـــرَجْـعَـةِ قَـــوْسٍ يُـسَمَّى قُزَحْ
تَلَوَّنَ مُعْتَرِضَـــــاً فِـى الـسَّمَاءِ ... فَلَمَـــا تَمَكَّـــنَ مِنْهَـا نَزَحْ

---

(١) «عنهم» فى (ع).

(٢) بداية ق ١١٩ فى الأصل..

ولَمَّا دَنَف الْمَأمونُ أَمَرَ أَنْ يُفرش لَهُ حِلْس، وجعل يتمرَّغ فيه ويقول: [يَا مَنْ لاَ يَزُولُ مُلْكُهُ، ارْحَمْ مَنْ قَدْ زَالَ مُلْكُهُ].

ومن الثالث قولُ أبى العلاء فى **الشَّيْب**:

«بسيط»

مِنْكَ الصُّدُودُ وَمِنّى بالصُّدود رِضىً ... مَنْ ذَا عَلَىَّ بِهَذَا فِى هَوَاكَ قَضَى

بِى مِنكَ مَا لَوْ غَدَا بِالشَّمْسِ مَا طَلَعَتْ ... مِنَ الكآبَةِ أَو بالبَرْقِ مَا وَمَضَا

إِذَا الفَتَى ذَمَّ عَيْشاً فى شَبِيبَتِهِ ... فَمَا يقول إذا عصرُ الشباب مضى

وقد تعرضت من كل بمشبهة ... فَمَا وَجَدْتُ لأَيَّام الصِّبَا عِوَضَا

وقال السيد الرَّضىُّ فيه:

«كامل»

وَاهاً عَلَى عَهْدِ الشَّبَاب وَطِيبِهِ ... وَالغَضِّ مِنْ وَرَقِ الشَّبَابِ النَّاضِرِ

وَاهاً لَهَا مَان كَانَ غَيرَ دُجُنَّةٍ ... قَلَصَتْ صُبَابَتُهَا كَظِلِّ الطَّائِرِ

وأَرَى الْمَنَايَا إِنْ رأَتْ بِكَ شَيْبَةً ... جَعَلَتْكَ مَرْمَى نَبْلِهَا الْمُتَوَاتِرِ

كَانَ السَّوَادُ سَوَادَ عَيْنِ حَبِيبِهِ ... فَغَدَا البَيَاضُ بَيَاضَ طَرْفِ النَّاظِرِ

لَوْ يُفْتَدَى ذَاكَ السَّوَادُ فَدَيْتُهُ ... بِسَوَادِ عَيْنِى بَلْ سَوَادِ ضَمَائِرِى

أَبَيَاضُ رَأْسٍ، واسْوِدَاد مَطَالِبٍ؟ ... صَبْراً عَلَى حُكْمِ الزَّمَانِ الجَائِرِ

إِيرَادُ الْمَثَلِ:(٢)

وَهو أَنْ يُوردَ المتكلمُ مَثَلاً فى كَلاَمِهِ.

قال أبو فراس:

---

(١) دَنَف: المريض ثقل مرضه ودنا من الموت.

(٢) انظر نهاية الإيجاز للرازى ص ٢٨٩.

«طويل»

وَنَحْنُ أُنَاسٌ لاَ تَوَسُّطَ بَيْنَنَا ... لَنَا الصَّدْرُ دُونَ العَالَمِينَ أَوْ القَبْرُ

يَهُونُ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسُنَا ... وَمَن خَطَبَ الحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهِ الْمَهْرُ

وقال أبو العلاء:

«طويل»

فَإِنْ كُنْتَ تَهْوَى العَيْشَ فَابْغِ تَوَسُّطاً ... فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ الْمُتَطَاوِلُ

تَوَقَّى البُدُورُ (١) النُّقْصَ وَهِيَ أَهِلَّةٌ ... وَيُدْرِكُهَا النُّقْصَانُ، وَهْيَ كَوَامِلُ

وقال ابن نَبَاتَةُ:

«طويل»

وَهَلْ يَنْفَعُ الفِتْيَانَ حُسْنُ جُسُومِهِم ... إِذَا كَانَتِ الأَعْرَاضُ غَيْرَ حِسَانِ؟

فَلاَ تَجْعَلِ الحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى الفَتَى ... فَمَا كُلُّ مَصْقُولِ الحَدِيدِ يَمَانِ

وقال المتنبي:

«طويل»

وَحِيدٌ مِنَ الخُلاَّنِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ

بِذَا قَضَتِ الأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا ... مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

أو مثلين، قال زهيرُ بنُ أبي سُلْمَى:

---

(١) في ط: البدور، الصواب بالدال كما في (د).

«طويل»

ومن يغتــرب يحسب عَدُوّاً صديقـه ... ومن لم يكرم نفســه لا يُكرّم
ومن لا يذُد عن حوضــه بســـلاحه ... يُهـدَّمْ ومن لاَ يِظْلمِ الناسَ يُظلمَ
ومن[1] يجــعل المعروف من دون عرضه ... يفْرهُ ومن لا يتــقِ الشتْمَ يُشــتَمِ

وقال لبيد:

«طويل»

أَلا كُلُّ شـــيءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطــلُ ... وَكُلُّ نَعِيْمٍ لاَ مَحَالــــةَ زَائــــلُ

والمتنبى:

«طويل»

وأتْعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لاَ تُجِيــــــبُهُ ... وَأَغْيَظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لاَ تُشــاكِلُ

(١) بداية ق ١٢٠ فى الأصل.

الباب الثاني
في التحسين الرّاجع إلي اللّفظ والْمَعْنَي(١)

وهو على أنواع منها:

المُطَابَقَةُ:

وتسمى التضاد، والطِّبَاق. وهى الجمعُ بينَ اللفظين الدَّالَّينِ على المعنيين المُتضادَّين حقيقةً، أو تقديراً.

من الأوّل قوله ـ تعالى ـ : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾(٢).

وقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ للأنصار: «إنكم لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الفَزَعِ، وَتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ»(٣).

وقول علىّ ـ لعثمان(٤): «إنَّ الحقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ، والباطلُ خفيف(٥) وبيء، وأنتَ رَجُلٌ إنْ صُدِقْتَ سَخِطْتَ، وَإنْ كُذِبْتَ رَضِيتَ».

---

(١) هذا النوع مما تفرد الطيبى بتسميته بهذا الاسم فالبلاغيون على تقسيم البديع قسمة ثنائية فقط: إما معنوى أو لفظى، وليس لديهم قسم جامع وقد عرضت لتقسيم الطيبى للبديع وناقشته فيه فى رسالتى للماجستير ط المكتبةالتجارية فلتراجع.

(٢) سورة آل عمران ٣/٢٦.

(٣) الحديث فى كنز العمال ٤/٨٩.

(٤) فى (ع) قول على لعثمان ـ رضى الله عنهما.

(٥) ط: خفيٌّ والتصويب من (ا).

وشهد رجل عند شُريح فقال: «إنَّكَ لسبطُ الشَّهَادة. فقال: إنَّها لم تُجَعَّدْ عنّى.

وقال المنصور لابن عُمران: «بَلَغَنى أنَّك بَخِيل» قال: «مَا أَجْمُدُ فِى حَقٍّ، وَلا أَذُوبُ فى باطلٍ».

وقال ابن الرَّشِيق:

«طويل»

وَقَدْ أَطْفَأُوا شَمْسَ النَّهـــارِ وَأَوقَدُوا نُجـــومَ العَوَالى فِى سَمَاءِ عَجـــاجِ

وقال أبو الطيّب:

«طويل»

كَأَنَّ سُهَادَ الـــلَّيـــل يَعْشَقُ مُقْلَتِى فَبَيْنَهُمَا فـــى كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَصْلُ

وقال:

«الوافر»

كَأَنَّ الحـــزْنَ مَشْغـــوفٌ بِقَلْبِى فَسَاعَةَ هَجـــرِها يَجِدُ الـوِصَالا

وقد يكون بالحروف كقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[1] ويُحكى: إنَّ المأمون مَدَّ يدهُ لأعرابى ليُقَبِّلها. فامتنع. فقال: أتَقَزَّزُ مِنْهَا؟ فقال: بل أتَقَزَّزُ لَها.

وقال:

«طويل»

عَلَى أَنَّنِى رَاضٍ بِأَنْ أَحْمِـلَ الـهَـوَى وَأَخْلُصَ مِنْهُ لاَ عَلَىَّ وَلاَ لِـيـــا

(١) سورة البقرة ٢/٢٨٦.

ومنه [1] قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [2].

وقوله:

«كامل»

خُلِقُوا وَمَا خُلِقُـــوا لِمَـــكْرُمَةٍ فَكَأَنَّهُم خُلِقُـــوا وَمَا خُلِقُـــوا
رُزِقُوا وَمَا رُزِقُـوا سَمَـــاحَ يَدٍ فَكَأَنَّهُـم رُزِقُـوا وَمَا رُزِقُـــوا

ومن القبيلَين قول بعضهم: «ظَلاَمُ اللَّيلِ يَهدِينى إلى باب مَن أوَدُّهُ، وضوءُ النَّهَار يَضِلُّ بِى عن بَابِ مَن لا أوَدُّهُ».

ومن الثانى قول الحماسىّ:

لهم [2] جُلُّ مـــالى إن تتـــابعَ لى غـنِى وإن قَلّ مـــالى لم أكلِّفْهُمْ رِفـــدا

«طويل»

فيجعل قوله: «إنْ تَتَابَعَ لِى غنىً» بمعنى كَثُرَ مَالى. ليُطابق قوله: «قَلَّ مَالى». وقوله: «لَهُم جُلُّ مَالِى» بمعنى ايثاره لهم ليُطابق «لم أكلفهم». فإنَّه فى معنى عدم أيثارهم له.

وقول أبى الطيّب:

«طويل»

لِمَنْ تَـطْلُبُ الـدُّنْـيَا إذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا سُرُورَ مُحِـبٍّ أَوْ إسَـاءَةَ مُجْـرِمِ؟!

قابل (المُحبّ) بـ (المُجْرِم)، و(السُّرُور) بـ (الإسَاءَة)، والمقابل الحقيقى المُبغض، والحُزنُ.

---

(١) سورة الروم ٣٠/٦ ـ ٧.

(٢) بداية ق ١٢١ فى الأصل.

ومن القبيلين قول الحماسى:

«بسيط»

يَجْزُونَ مِن ظُلْمِ أَهْلِ الـــظُلْمِ مَغْفِرَةً وَمِن إِسَاءَةِ أَهْلِ الـــسُّوْءِ إِحْسَانـــا

قابل (الإساءة) بـ (الإحسان) وهى حقيقيةٌ، و(الظُّلْم) بـ (المغفرة) وهى غير حقيقية. ثم فى قيدى أهل الظُلم، وأهل السَّوء تتميمٌ فى غاية من الحسن. وقال أبو تمام:

«طويل»

بِهَا الْوَحْـــــــش إلاَّ أَنَّ هَاتَا أَوَانِسٌ قَنَا الخَطِّ إلاَّ أَنَّ تِلـــــــكَ ذَوَابِلُ

وقال صاحب اللُّمع: طابق (هاتا) و(تلك) أحدُهما للحاضر، الآخر للغائب، فكانا نقيضين فى المعنى.

ومن التضاد الذى يُدهشُ العُقُول قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ**﴾ (١).

قُوبل «عَلَى تقوى من الله» المراد منه قصد المؤمنين فى تأسيسهم المنجح لمقاصدهم من الظفر، والنُّصرة فى الدُّنيا والفلاح فى العُقبى المعبَّر به عن الحقّ الذى شُبه بالقاعدة المحكمة، ثم خُيِّل أنَّه هى ثُمَّ أطلق عليها الاسم المعبَّرُ عن المُشبَّه، وهو التقوى على سبيل الاستعارة المكنية بقوله: «شَفَا جُرُف هَارٍ» المعبر به عن القاعدة الواهية المستعار للباطل الذى هو عَزمُ المُنافقين فيما أضمروا فى تأسيسهم من الكيد بالمؤمنين، ثم خيبتُهُم فيما عزموا عليه. ثُمَّ فرَّعَ على المستعار له الرّضوان تجريداً كما فرَّع على المستعار منه الانهيار ترشيحاً. وكلا التفريعين مُنبئان عن أقصى درجات الجنان، وأبعد دركات النيران. وقُوبل فيهما بالواو والفاءُ وكلاهُما مسببان للدلالة على أنَّ التقوى تقتضى مُسبَّبات خارجة عن الإحصاء على

(١) سورة التوبة ١٠٩/٩ .

أسلوب قوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [1].

ثم فى كل من المتقابلين إطلاق، وتقييد قيد التقوى، والرضوان بكونهما من جهة الله وتوفيقه، وأطلق ما يقابلهما ليكون على وزان: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غير المغضوب عليهم﴾ [2]، وقيد «شَفَا الجُرُف» بالهَوْرِ والانهيار فى جهنَّم ليُفيد التصوير، والتهويل، وأطلق ما يقابلهما عن التصوير ليدُلَّ بالإبهام على أنَّه مما لايدخُل تحت الوصف، وجعل الجامع بين الحق والباطل الخيرية لضرب من المبالغة نحو: (الصَّيفُ أحرُّ مِنَ الشتَاء). (ومن أسرار هذا الأسلوب: تقييد كل من المتقابلين بما يضاد معنى صاحبه نحو ما وراه مسلم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لايدخل النار أحد فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» [3].

فإن الإيمان أشعر إلى أن الكبر من صفات الكافرين المتمردين، فيجب أن يجتنب عنه، وأن الكبر لمح إلى أن التواضع من سمات المؤمنين المخبتين فينبغى أن يرغب فيه) *.

ومنها [4] الْمُقَابَلَة:

وهى أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر، وبين ضدَّيهما، ثم إذا [5] شرطت هنا شرطاً شرطت هناك ضده [6]. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ

---

(١) سورة الزمر ٣٩/ ٧٣.

(٢) سورة الفاتحة ١/ ٧.

(٣) الحديث صحيح رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ٧٦٧٩-٢٧٩٤ وخرجه فى إصلاح المساجد ص ١١٥ والحديث سقط من (ط)..

(*) مابين القوسين سقط من (ط) وأثبتناه من (أ). وهو سبعة أسطر سقطت من المطبوع.

(٤) (منها) ليست فى (أ)

(٥) سقطت (إذا) من (ط) وبداية ق ١٢٢ فى الأصل.

(٦) انظر مفتاح العلوم ص ٢٢٥ ط الأدبية.

بِالْحُسْنَىٰ. فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[1].

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «إنَّ الرِّفقَ لا يكون فى شئ إلاّ زانَهُ، ولا الخُرْقَ فى شيء إلاّ شانه» [2]. وقال الشاعر:

«طويل»

إذَا جَادَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَجُدْ بِهَا ... عَلَى الخَلْقِ طُرّاً إنَّهَا تَتَقَلَّبُ

فَلاَ الجُودُ يُفْنِيهَا إذَا هِىَ أَقْبَلَتْ ... وَلا البُخلُ يُبْقِيهَا إذَا هِىَ تَذْهَبُ

وقال الآخر:

«طويل»

يَفِرُّ جَبَانُ القَوْمِ مِن ابنِ أُمِّهِ ... وَيَحْمِى شُجَاعُ القَوْمِ مَن لا يُنَاسِبُهْ

وَيُرْزَقُ مَعْرُوفَ الكَرِيمِ عَدُوُّهُ ... وَيُحْرَمُ مَعْرُوفَ البَخِيلِ أَقَارِبُهْ

وقال الثعالبى: وقد اجتمع خمس مقابلات فى بيت فى قوله [3]:

عَذِيرِى مِنَ الأَيَّامِ مَدَّتْ صُرُوفُهَا ... إلَى وَجهِ مَن أَهْوَى [4] يَدَ النَّسخِ والْمَحْوِ

وَأَبدَتْ بِوَجْهِى طَالِعَاتٍ أَرَى بِهَا ... سِهَامَ أَبِى يَحْيَى مُسَدَّدَةً نَحْوِى

فَذَاكَ سَوَادُ الخَطِّ يَنْهَى عَنِ الهَوَى ... وَهَذا بَيَاضُ الوَخْطِ يَأْمُرُ بالصَّحْوِ

---

(١) سورة اللّيل ٩٢/ ٥ ـ ١٠.

(٢) الحديث أخرجه مسلم عن عائشة فى البر والصلة ٤/ ٢٠٠٤، وأبو داود ٣/ ٣، وأحمد ٦/ ٥٨، ١١٢، ولم يعزه المحقق إلى شئ من كتب الحديث.

(٣) عزا المحقق الأبيات للثعالبى فقال: الأبيات للثعالبى فى أنوار الربيع / ٣٠٤١، ولو أنه رجع إلى يتيمة الدهر للثعالبى لعلم أن الأبيات ليست له. قال الثعالبى:

«ولبعض أهل العصر بيت نجمع خمس مطابقات ولكنه لايستقل إلا بإنشاد بيتين قبله» اليتيمة ١/ ١٣٨ فنسب الثعالبى الأبيات لبعض أهل عصره، فانظر كيف جعلها المحقق من قوله هو؟!

(٤) «أقوى» فى (ع).

ومنها المُشَاكَلَةُ:[1]

وهى ذكر الشئ بلفظ مصاحبه لوقوعه معه، وهو إمَّا **حقيقيٌ** كقوله تعالى: **﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾**[2]، وقوله تعالى: **﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾**[3].

وقول ابن كلثوم:

«الوافر»

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَا

ولا يلزم تقدم المصاحب لمجيئه مؤخراً كما فى قول أبى تمام:

«كامل»

لاَ تَسْقِنِى مَاءَ الْمَلاَمِ فَإِنَّنِى صَبٌّ قَدْ اسْتَعْذَبْتُ مَاءَ بُكَائِى

وقوله:

مَنْ مُبْلِغٌ أَفْنَاءَ يَعْرُبَ كُلَّهَا أَنِّى بَنَيْتُ الجَارَ قَبْلَ الْمَنْزِلِ

أو تَقْدِيرِىٌ: كقوله تعالى: **﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾**[4] جىء به، وإنْ لم يصحبه لفظ الصبغ لأن سبب النزول دالٌ عليه. وكذا قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحِى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً﴾**[5]. وقولك لمن يغرسُ الأشجار: (اغرسْ كما يَغْرِسُ فُلانٌ). تُريدُ رجُلاً يصطنع الكِرَامَ.

---

(١) انظر المفتاح ٢٢٥، والإيضاح بشرح د. خفاجى ص ٤٩٣.

(٢) سورة الشورى ٤٢/ ٤٠.

(٣) سورة المائدة ٥/ ١١٦.

(٤) سورة البقرة ٢/ ١٣٨

(٥) سورة البقرة ٢/ ٢٦.

والمزاوجةُ:[1]

وهى أن تُزاوج بين معنيين فى الشرط، والجزاء.

قال البحترى:

«طويل»

إذَا مَا نَهَى النَّاهِى، فَلَجَّ بِىَ الهَوَى أَصَاخَ إِلَى الوَاشِى فَلَجَّ بِهِ الهَجْرُ

ومراعاةُ النَّظِيْرِ:[2]

ويُسمى التناسُب، والائتلاف: وهى أنْ يجمع* بين أمر، وما يُناسبُه لا بالتضاد وهى أصنافٌ:

الأوّل: ائتلاف اللّفظِ والمعنى.

قال زهير بن أبى سلمى:

«طويل»

أَتَانِىَ سُفْعاً فِى مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ وَنُؤْياً كَجِذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا أَلا انْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ واسْلَمُ[3]

فأتى فى البيت الأول لكون معانيه أعرابية بألفاظ غريبة، وفى الثانى لكونها عرفية بألفاظ مُستعملة.

والثانى: ائتلاف اللّفظِ مع اللّفظ:

وهو أن يكون فى الكلام معنى يصح معه معان فَيُختَارُ منها مابين لفظه، وبين لفظ ذلك المعنى ائتلافٌ بحسب أسباب مؤدّية إلى التقارُن فى الخيال. قال البُحترى

---

(١) انظر المفتاح ٢٢٥، الإيضاح ٤٩٧.

(٢) انظر الإيضاح ص ٤٨٨ والمفتاح ٢٢٥، والطراز ٣/ ١٥٠.

(٣) ط: واسلم بالفتح وهو خطأ.

* بداية ق ١٢٣ فى الأصل.

فى صفة الإبل الأمضاء:

«خفيف»

كَالْقِسِيِّ الْمُعَطَّفَاتِ، بَلِ الأَسْـ ـهُمِ مَبْرِيَّةً، بَلِ الأَوْتَارِ

وكان يصح التشبيه أيضاً بالعَراجين، والأطناب، فاختار الأسهم، والأوتار، وترقَّى فيه، وأحسن منه قول ابن الرَّشيق:

«طويل»

أَصَحُّ وَأَقْوَى مَا سَمِعْنَاهُ فِى النَّدَى مِنَ الْخَبَرِ الْمَأْثُورِ مُنْذُ قَدِيمِ

أَحَادِيثُ تَرْوِيهَا السُّيُولُ عَنِ الْحَيَا عَنِ الْبَحْرِ عَنْ كَفِّ الأَمِيرِ تَمِيمِ

لما فيه من المناسبة بين الصحة، والقوة، والسَّماع، والخبر المأثور، ثم بين السُّيول، والحيا والبحر، وكف تميم مع ما فيه من حُسن الترتيب فى التَّرَقِّى مع رعاية العنعنة. قال ابن الخَشَّاب فى الْمُستضىء:

«كامل»

وَرَدَ الْوَرَى سَلْسَالَ جُودِكَ فَارْتَوَوْا وَوَقَفْتُ دُونَ الوِرْدِ وَقْفَةَ حَائِمِ

ظَمْآنَ (١) أَطْلُبُ خِفَّةً مِنْ زَحْمَةٍ وَالْوِرْدُ لاَ يَزْدَادُ غَيْرَ تَزَاحُمِ

انظر إلى هذين البيتين، فإنَّهما كادا يجريان مع الماء فى السَّلاسة (٢) مع أن قائلهُما لم يتجانف فيهما عن حكاية الماء وما يُناسبُهُ حتى عُدَّ فيها ائتلافٌ عشرٌ. قال أبو الطيّب:

---

(١) ط: ضمان.

(٢) ط: السلامة.

«طويل»

وَرُبَّ جَوَابٍ عَنْ كِتَابٍ كتبتَهُ وَعُنْوانُهُ للنَّاظِرِينَ قَتَامُ
حُرُوفُ هِجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلاثَةٌ جَوَادٌ وَرُمْحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامُ

فإنَّهُ لَمَّا سُمِّى الجيش جوابا جعل حروفه جواداً، ورمحاً وسيفاً، واللُّطفُ فيه أنَّهُ أشار بها إلى لفظ الأجل.

ومثله قول السَّلامى:

«كامل»

وَالنَّقْعُ ثَوْبٌ بالنُّسُورِ مُطَرَّزٌ وَالأَرْضُ فَرْشٌ بالجِيَادِ مُخَمَّلُ
وَسُطُورُ خَيْلِك إنَّمَا أَلِفَاتُهَا سُمُرٌ تُنَقَّطُ بالدِّمَاءِ وَتُشْكَلُ

وقال أبو العلاء:

«بسيط»

فَهُنَّ أَقْلاَمُكَ اللاتِى إذَا كَتَبَتْ مَجْداً أَتَتْ بِمِدَادٍ مِنْ دَمٍ هَدَرِ

والضمير فى «فَهُنَّ» للرِّماح.

وقال الآخر، وراعى المطابقة أيضاً.

«طويل»

وَكُنَّا وَلَيْلَى فِى صُعُودٍ مِنَ الهَوَى فَلَمَّا تَرَاقَيْنَا ثَبَتُّ وَزَلَّتِ
وَكُنَّا شَدَدْنَا عِصْمَةَ الوَصْلِ بَيْنَنَا فَلَمَّا تَوَاثَقْنَا عَقَدْتُ وحَلَّتِ

ولهذا عيب كُميتٌ قوله:

«بسيط»

أَمْ هَلْ ظَعَائِنُ بالعَلْيَاءِ رَافِعَةٌ؟ وَإنْ تَكَامَلَ فِيهَا الدَّلُّ وَالشَّنَبُ

---

(١) ظ: بعثه وكذا فى هامش (أ).

(٢) بداية ق ١٢٤ فى الأصل.

حيث جعل الدَّلَّ والشَّنَبَ فى قرنٍ واحدٍ. فإنَّ الدَّلَّ إنَّما يذكرُ مع الغنج، والشَّنَبُ مع اللَّعسِ.

وكذا فعل أبو نُواسٍ «فى قوله»:

«مجتث»

بَرَبٌ زَمْزَمَ والحَـوْ ضِ وَالصَّفَا، وَالمُحَصَّبْ

فإنَّ ذكرَ الحوض غير مناسب للمذكورات.

والثالث: ائتلاف الْمَعْنَى مَع المعنى:

وهو قسمان:

أحدهما: أن يشتمل الكلام على معنى يصح معه معنيان: أحدهما ملائم بحسب نظر دقيق، والآخر ليس كذلك فيُقرب بالملائم.

قال أبو الطيّب:

«بسيط»

فَالعُرْبُ مِنْهُ مَعَ الكُدْرِيِّ طَائِرَةٌ وَالرُّومُ طَائِرَةٌ مِنْهُ مَعَ الحَجَلِ

والكُدرىُّ من طير السَّهل، والعربُ بلادُها المَفَاوزُ، والحَجَلِ من طير الجبل، والرُّومُ بلادُها الجبالُ. أى العربُ يفرُّ منهُ مع القَطَا فى السَّهْل، والرُّوم مع القَبْج فى الجبل. وعليه قوله تعالى: ﴿**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ**﴾ (١) ناسَبَتْ هذه التوبةُ لفظ البارى دون غيره من الأسماء لأنَّ البَارى هو الذى خَلَقَهُم أَبْرِيَاءَ من التفاوت وهى نعمة جسيمة وكان من حق الشكر أن يخصّوه بالعبادة، فلما عكسوا وقابلوه بالكفران حيث عَبَدُوا مَا لا تمييز لهُ أصلاً استردَّ منهم تلك النعمة بالقتل، والانفكاك.

---

(١) سورة البقرة ٢/ ٥٤.

ومنه قوله تعالى ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ، وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1] فإنّ اللُّطف يُناسبُ ما لا يُدركُ بالبصر، والخبرة تُناسبُ من يدرك شيئاً، ومن خفيُ هذا القسم قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [2] قول: «إن تَغْفِرْ لَهُم» يوهم أن الفاصلة «الغَفُورُ الرَّحِيمُ» لكن المناسب أن لا يغفر لمن يستحقُ العذاب إلاَّ مَنْ ليس فوقهُ أحدٌ يردُّ عليه حُكْمَهُ ومن يعلم الحكمة فيما يفعله وإن خَفيت على غيره.

ومنه قوله تعالى: ﴿وإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِى الأرْضِ﴾[3] إلى قوله: ﴿لاَ يَشْعُرُونَ﴾[4]. وقوله: ﴿وإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا﴾[5] إلى قوله: ﴿وَلَكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[6] اختلفت الفاصلتان لأنَّ أمر* النّفاق وما فيه من البغى المؤدى إلى الفتنة والفساد فى الأرض أمرٌ دنيويٌ مبنيٌ على العادات، فهو كالمحسوس فقيل «لاَ يشْعُرُونَ».

وأمَّا أمر الإيمان، والوقوف على الحق، والباطل فيحتاج إلى دقة نظر وفكر، وتأمل، فقيل: «لا يعلمُونَ».

وأيضا فى ذكر السّفه مع العلم مطابقة معنوية، فإنّ السفه فى معنى الجهل،[7] والعلم فى معنى الرُّشد.

ومنه [ما رُوى أنَّ قارئاً قرأ: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ البَيِّنَاتُ

---

(١) سورة الأنعام ٦/١٠٣.

(٢) سورة المائدة ٥/١١٨.

(٣) سورة البقرة ٢/١١.

(٤) سورة البقرة ٢/١٢.

(٥)، (٦) سورة البقرة ٢/١٣.

(٧) ط: أو.

* بداية ق ١٢٥ فى الأصل.

فاعْلَمُوا أنَّ اللهَ غَفورٌ رَحِيمٌ﴾[1] بَدَلَ: ﴿عَزِيزٌ حكِيمٌ﴾.

وسمعهُ أعرابيُ فأنكره، ولم يقرأ القرآن. وقال: إن كان هذا كلام الله فلاَ يقول كذا [2] الحكيم لا يَذكُرُ الغُفران عند الزلل، لأنَّهُ إغراءٌ عليه.

وثانيهما: أن يكون للمعنى وصفان ملائمان فيُختار الأحسن كما أنشد عبدالملك بن زيات بين يدى محمد بن عبدالملك قول الفرزدق:

«طويل»

فَإنَّكَ إذْ تَهْجو تَمِيماً وَتَرْتَشِي ... بتأبِين قَيسٍ، أوْ سُحُوقِ الْعَمائِمِ

كَمُهْرِيقِ مَاءٍ بِالفَلاةِ وَغَرَّهُ ... سَرَابٌ أثَارَتْهُ رِياحُ السَّمَائِمِ

فقال محمد: هذان البيتان وبيتا ابن هَرْمَة:

«متقارب»

وَإنّى وَتَرْكِى نَدَى الأكْرَمِينَ ... وَقَدْحِي بِكَفَّيَّ زَنَاداً شِحَاحَا

كَتَارِكَةِ بَيْضَهَا بِالْعَرَاءِ ... وَمُلْحِقَةٍ بَيضَ أُخْرَى جَنَاحَا

احتاجا إلى تبديل بعضهما ببعض بأن يجعل ثانى كُلّ من البيتين فى موضع ثانى الآخر ليصح معناهما، ويروق نظمهما كما قال المتنبى:

«طويل

وَقَفْتَ وَمَا فِى الْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ ... كَأَنَّكَ فِى جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمُ

تَمُرُّ بِكَ الأبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً ... ووَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ

فإنّ عَجُز كل من البيتين يلائم كُلاً من الصدرين لكنه اختير ذلك لأمرين:

أحدهما: أنّ قولهُ:

---

(١) سورة البقرة ٢/٢٠٩.

(٢) فى طـ: وكذا، وفى ز (كذا وكذا) والصواب ما أثبتناه من (أ).

كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمُ

مسوق[1] لتمثيل السلامة فى مقام العطب، وهو أنسبُ بالوقُوف من مرور الأبطال به.

وثانيهما: أنّ فى تأخيره قوله:

ووَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ

تتميم لوصف، وتفريع على أصل كما فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى، وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى**﴾[2] فإنه لم يُراع فيه مناسبة الرِّى للشبع، والاستظلال للُّبسِ بل رُوعيت المناسبة بين اللُّبس، والشبع فى عدم الاستغناء عنهما، وأنهما من أصول النعم، وبين الاستظلال والرى فى كونهما تابعين لهما، ومكملين لمنافعهما، وهذا أدخل فى الامتنان لما فى تقديم أصول النعم، وارتداف التوابع من الاستيعاب

ويُحكى أنّ أبا الطيب لما أنشد[3] بين يدى سيف الدولة القصيدة التى فيها البيتان قال: انتقدنا عليك البيتين كما انتُقد على امرئ القيس بيتاه:

«طويل»

كَأَنِّى لَمْ أَرْكَبْ جَواداً لِلَذَّةٍ ... وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خَلْخَالِ

وَلَمْ أَسْبَإِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ ... لِخَيْلِى كُرِّى كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ

قال: «أيَّدَ اللهُ الأمير إنَّما قَرَنَ لذة النساء بلذة ركوب الخيل للصيد، وقرن السماحة بالشجاعة للائتلاف. وأنا لما ذكرتُ الموت أتبعته بذكر الرَّدى ليُجانسه، ولما كان وجهُ المنهزم عبُوساً، وعينُهُ باكيةً قُلتُ: «وجهُك وَضَّاحٌ» لاجمع بين

(١) ط: مسبوق.

(٢) سورة طه ٢٠/١١٨ ـ ١١٩.

(٣) بداية ق ١٢٦ فى الأصل.

الأضداد»[1] ولا يبعد أن يُحمل قول امرئ القيس على التكميل أيضاً.

ومما يُؤاخى هذه القصة انتقاد الإمام الداعى إلى الله فخر الدين الرَّازى على أبى العلاء:

«وافر»

أعَنْ وَجْدِ الـقِلاصِ كَشَفْـتِ حـــالا وَمِنْ عـنـد الـظـَّلام طَلَبـْـتِ مَالا

قال: كـان المُناسب أنْ يضم الكشف مع الظلام، والطلب مع الوخـد. فيـقال عرَضُه الإنكار على نفـه بإدمان السَّفر، وآداب السَّيْر، والتأكيد فيه، ولأنَّ قولهُ:

«وافر»

وَدُرّاً خِلْتِ أنْجُمَهُ عَلَيـــــــه فَهـــــــــلاَّ خِلـتِهُنَّ بِهِ ذُبَالاَ

لا يلتئم إلا على التأليف المذكور وكذلك قول بعضهم:

«كامل»

لَمَّا اعتَنَقْنـــــا لِلْوَدَاعِ وأعـربت عَبـــرَاتـُنَا عَنَّا بـدَمْعٍ نَـــاطـقِ

فَرَّقْنَ بـيـن مَعَاجِـــرٍ ومَحَاجِـرٍ وَجَمَعْنَ بَيْنَ بَنَفْسَجٍ وَشَقَـــــــــائِقِ

يتحمل أن المراد بالبنـفـسج، والشقائق عارض الرجل وخَدَّ المرأة، ويحـتمل أنها حين قامت للوداع مـزقت خمارها، ولطمت وجههـا، أى جمعت بين أثر اللطم، وهو شبيه بالبنفسج، وبين لون الخد [2]، وهو شبيه بالشقائق لكن الثانى أولى لأنّ العارض إنما يشبَّه بالبنفسج عند طريان الخضـرة وليس فى الشعر ما يدلُّ على شباب المُودَّع.

---

(١) انظر المثل الـسائر ٢/ ٣٠٤.

(٢) طـ: « بين لون الخدّ ، وبين لون لا لخدّ » هو من أخطاء فى الطباعة الفاحشة المتكررة فى الكتاب .

ومنه ما يُحكى أنّ كُثيراً مَدَحَ عبد الملك بقوله:

«طويل»

عَلَى ابنِ أبى العَاصِـــى دِلاَصٌ حَصِـــ ـينَةٌ أجـادَ الْمُسَدَّى نَسْجَهـــا فَأذَالَهـا

قال: فهلاَ قلت فىَّ كما قال الأعْشَى:

«كامل»

وإذا تـكُونُ كَتَـــــيـــــبَةٌ مَلْمُومَةٌ شَـــهْبَاءُ يَخْشَى الرائـدونَ نِزَالَهـــــا

كُنْتَ الْمُقَدَّمَ غَيْرَ لابسِ جُنَـــــــةٍ بـالسَّيفِ تَضْرِبُ مُعْلَمـــاً أبـطالَهـــا

قـال: وصـــفـه بـالخـرق، ووصـــفـتك بالحـــزم، وعليـــه ورد قـوله تعـــالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾(١). قال جار الله:(٢) قرّن بالخشية اسمه الدّال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشى.

والتّكرير:

وهو إعادةُ الشئ لفائدة: وهو قسمان:

الأوّل: أنْ يعاد اللفظ بعينه، وهو على* وجوه:

الأوّل: أن يُكرَّر لـيناط بـه حكم (٣) آخر كقـوله تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لكم وَيُرِيدُ اللهُ أنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِه وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ (٤). جيء بقوله: ﴿أنْ يُحِقَّ الْحَقَّ﴾ (٥) ليمتاز به

---

(١) سورة ق. ٥٠/٣٣.

(٢) الكشاف ٤/ ١١ قال الزمخشرى: «كيف قرن بالخشية اسمه الدالّ على سعة الرحمة؟ قلت: للثناء البليغ على الخاشى، وهو خشيتُه مع علمه أنه الواسع الرحمة».

(٣) يتفق الطيبى هنا مع ابن الأثير فى تعليقه على أمثلة هذا النوع وفى إيراده لكثير من أمثلته، انظر المثل السائر ٣/ ٥.

(٤) سورة الأنفال ٨/ ٧ ــ ٨.

(٥) سورة الأنفال ٨/ ٧.

* بداية ق ١٢٧ فى الأصل.

إحدى الإرادتين، وبقوله: ﴿لِيُحِقَّ الحَقَّ﴾[1] ليُظهر الغرض فى اختيار ما اختير.

وكرر تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[2] ليتجدد السامع عند سماع كل نبأ اتِّعَاظاً، واستيقاظاً.

وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[3] على التنبيه وقرع العصا على مايتكرر معها من نعمة ليتكرر ما يستوجبه من الشكر.

وقوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾[4] ونحوه يُعَدُّ من الآلاء لما فيه الزّجر من الترهيب، والترغيب، ويُسمّى هذا النوع بالترديد.

وقال أبو نُواس:[5]

«بسيط»

صَفْرَاءُ لا تَنْزِلُ الأحْزَانُ سَاحَتَهَا ... لَو مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ

وفيه الاقتباس من قوله تعالى: ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَونُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾[6].

[[والعلم فى الباب قوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[7] الآية. فإنّ قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾[8] مردد على ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ﴾، وقوله ﴿فِيهَا﴾ أى فى المشكاة على ﴿مِشْكَاةٍ﴾، و ﴿المصباح﴾ على ﴿مصباح﴾ ،و﴿الزجاجة﴾

---

(١) سورة الأنفال ٨/٨.

(٢) سورة القمر ٥٤/١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

(٣) سورة الرحمان ٥٥/١٣، ١٦ كُرِرَت «٣١» احدى وثلاثون مرة.

(٤) سورة الرحمان ٥٥/٣٥.

(٥) البيت لأبى نواس ديوانه /٥٦.

(٦) سورة البقرة ٢/٦٩.

(٧) سورة النور ٢٤/٣٥.

(٨) سورة النور ٢٤/٣٥.

على ﴿الزُّجَاجَةَ﴾. وقوله ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ على ﴿شَجَرَةٍ﴾[1] لأنَّها بدل منها: ﴿ولَو لَمْ تَمْسَسْهُ﴾[2] على ﴿زَيْتِهَا﴾ أعيدت لإناطة كل ما يتبعه من المعنى]][3].

ومنه الترجيع:

وهو أنْ يكون المعنى مهتماً بشأنه، فإذا شُرع فى نوع من الكلام نُظر إلى ما يتخلص إليه، فإذا تمكن من إيراده كرّ إليه كتكرير قوله: ﴿وَلاَ يُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ﴾[4] الآية. قال جارُ الله: فى تجديد النُّزول له شأنٌ فى تقرير ما نزل له وتأكيده، وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه لقوته فيما يجب أن يُحذر منه، فاشبه الشئ الذى أهمَّ صاحبَه. فهو يرجع إليه فى أثناء حديثه ويتخلّص إليه.

والثّانى[5]: أنْ يُعادْ[6] ليقرر المعنى قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ. يَا قَوْمِ إِنَّمَا هذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾[7].

وقال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: «إنَّ بَنِى هِشَامٍ استأذنونى أنْ يُنكحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيًّا فَلا آذَنُ، ثم لا آذنُ، ثم لاَ آذَنُ» كرَّر لما وجد من الغضب فى الجمع بين بنت وَلىّ الله، وبنت عدوّ أبى جَهْلٍ.

والثالث: ليقارن به تمام الفصل كيلا يجىئ الكلام مبتوراً لطوله. قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ

---

(١) سورة النور ٢٤/ ٣٥.

(٢) سورة النور ٢٤/ ٣٥.

(٣) سقط من (أ) و (س) واثبتناه من (هـ) (ز) (ط) (ع).

(٤) سورة التوبة ٩/ ٨٥ وانظر الكشاف ١/ ٢٠٧.

(٥) (الثانى) ليست فى (أ) وانظر المثل السائر ٣/ ١٩.

(٦) ط: يُعلا.

(٧) سورة غافر ٤٠/ ٣٨ ـ ٣٩.

﴿وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] كرّر «ربّك» دلالة على ترجيح جانب المغفرة و(إنّ) للطول. فإنّ بين اسمها، والخبر فُسحةٌ فيعاد لئلا يُذهب بالطلاوة.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾[2] كرّر «أنّكم» توكيداً للأولى. والمعنى أيَعِدُكُمْ أنّكم مُخْرَجون إذا متُّمْ، فلما بَعُد ما بين «أنّ» الأولى وخبرها أعيد «أنّكم» كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ ،وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[3] والمعنى فله نار جهنم. وقال الحَمَاسي:

«طويل»

أَسِجْناً وَقَيْداً واشْتِياقاً وَغُرْبَةً[أ] ... وَنَأْيَ حَبِيبٍ إنَّ ذا لَعَظِيمُ

وَإنَّ امْرَءًا دَامَتْ مَوَاثِيقُ عَهْدِهِ ... عَلَى مِثْلِ هذا إنَّهُ لَكَرِيمُ

كرّر «إنّه».

وذهب الزّجاجُ إلى أنّ الهمزة فى «أفأنتَ» فى قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾[4] جاءت مؤكدة مُعادة بين المبتدأ المتضمّن للشّرط، وبين الخبر للطول.

والرابع: أن يُنَوَّهَ بشأن المذكور كما فعل رسُولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بنُ يعقُوبَ بْنِ اسْحَاقَ بْنِ إبرَاهِيمَ»[5] أى هو عريقُ النسب فى وصف الكرم. وأبو الطيب:

---

(١) سورة النحل ١١٩/١٦.
(٢) سورة التوبة ٦٣/٩.
(٣) سورة التوبة ٦٣/٩.
(٤) سورة الزمر ١٩/٣٩.
(٥) الحديث رواه البخارى الأنبياء /١٩ ، المناقب /١٣ وتفسير سورة ١/١٢ .
(أ) طـ : غربةٌ بالرفع وهو خطأ .
(ب) بداية ق ١٢٨ فى الأصل .

«بسيط»

الـعَارِضُ الـهِتِنُ ابْنُ الْعَارِضِ الـهِتَنِ ابْنِ الْعَارِضِ الـهِتَنِ ابْنِ الـعَارِضِ الـهِتَنِ

ومنه إيقاع الجزاء نفس الشرْط نحو قولهم: من أدَركَ الصَّمَّان[1] فقد أدرَك. أى أدرك مَرعىً ليس بَعْدَهُ مرعىً.

قال ابن الحاجب فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[2]. وضع قوله: «فَمَا بَلَّغْتَ» موضع أمر عظيم أى فإن لم تفعل فقد ارتكبت أمراً عظيماً.

والخامسُ: أنْ يُلَذَّ بذكره كما قيل:

«طويل»

أعِدْ ذِكْرَ نَعْمَانٍ اعِدْ (3) إنَّ ذِكْرَهُ هُوَ المِسْكُ مَا كَرَّرْتَهُ يَتَضَوَعُ

وقال مروانُ الأكبرُ:

«طويل»

سَقَى اللهُ نَجْداً وَالسَّلَامُ عَلَى نَجْدِ وَيَا حَبَّذَا نَجْدٌ عَلَى النَّأْيِ وَالْبُعْدِ

نَظَرْتُ إلى نَجْدٍ وبَغْدَادُ دُونَهَا لَعَلِّى أَرَى نَجْداً وَهَيْهَاتَ مِنْ نَجْدِ

والقسم الثانى: أنْ يكرَّرَ المعنى دون اللفظ تأكيداً، وهو نوعان:

أحدهما: أنْ يقع فى غير جملة كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾[4] (والرجز هو العذاب ، أى عذاب مضاعف ، وقوله تعالى : «إنَّما أشكو بثى وحزنى »[5] كرّرها لشدة الخطب النازل.

---

(١) الصَّمَّان والصَّمَّانَةُ: أرض صلبة ذات حجارة إلى جانب رمل.

(٢) سورة المائدة ٥/٦٧.

(٣) «لنا» مكان «اعدْ» و (لنا) فى أنوار الربيع ٥/٣٤٨.

(٤) سورة سبأ ٣٤/٥.

(٥) ما بين القوسين سقط من (ط).

وثانيهما: أن يقع فى الجمل، وهو على وجوه:

أن يؤتى بالخاصِّ بعد العام:

قال اللهُ ـ تعالى ـ : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (١) فإنّ الأخيرين داخلان تحت الدُّعاء إلى الخير.

وقال أمرؤُ القيس:

«طويل»

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ ... بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِى مَصَامِهَا(٢) ... بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ(٣) إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ

فإنَّ النُجُومَ تشتملُ على الثُّرَيَّا اشتمال يذبُل على صُمِّ جَنْدلٍ. وكذا قولهُ: «بكُلِّ مُغَارِ الفتل شُدَّتْ» مع قوله: «عُلِّقَتْ بِأمرَاسِ كَتَّانٍ».

ب ـ أنْ يُؤتى بالعام بعد الخاص كقول شُعيب ـ عليه السلام: ﴿وَلاَ تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ (٤)، ثُم قوله: ﴿وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِى الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٥). فإن بخس الأشياء أعمُّ من أن يكون فى المكيال والميزان. والعثوُ أعمُّ من تنقيص الحُقُوق، وغيره من أنواع الفساد.

وقول الحماسى:

---

(١) سورة آل عمران ٣/١٠٤.

(٢) «مقامها» فى (ع).

(٣) «على» فى (ع).

(٤) سورة هود ١١/٨٤.

(٥) سورة هود ١١/٨٥، وسورة الشعراء ٢٦/١٨٣.

«طويل»

وَإنَّ الَّذى بَيْنِى وبَيْنَ بَنـــى أَبـــى ... وبَيْنَ بَنـــى عَمِّى لَمُخْتَلِفٌ جِـــدًّا
إذَا أَكَلُوا لَحْمِى وَفَرْتُ لُحُومَهُـــمْ ... وَإنْ هَدَمُـــوا مَجْدِى بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا
وَإنْ ضَيَّعُوا غَيْبِى حَفِظْتُ غُيُوبَهُـــمْ ... وَإنْ هُمْ هَوُوا[1] غَيِّى هَوِيتُ لَهُمْ رُشْـدَا

قـوله: «وإنْ ضَيَّعُوا غَيْبِى» شـاملٌ للاغتـيـاب المعبَّر عنه بقـوله: «إذَا أَكَلُوا لَحْمِى»، ولغيره من التـخلى عن النصرة، واهمال السعى فى كـل ما يرومه. ومنه باب التذييل.

جـ ـ[2] أنْ يُؤتَى بالمُساوى فى المعنى كقول البُحتُرىّ:

«طويل»

أَلَمَـــتْ وَهَل إلْمَامُهَـــا بِكَ نَافِـــعُ ... وَزَارَتْ خَـــيَالاً وَالعُيُـــونُ هَواجِـــعُ

فإنّ «أَلَمَّتْ» مع قوله: «هَلْ إلْمَامُهـا بِكَ نَافِعُ» مثل قوله: «وَزارَتْ خَيَالاً» لأنَّ الإلمام غير النافع لايكون فى اليقظة، وقول أبى الطيّب:

«بسيط»

تُمْسِى الأَمَـانِىُّ صَـرْعَى دُوْنَ مَبْلَغِـهِ ... فَمَا يَقُـــولُ لِشَىءٍ لَيْـــتَ ذَلِكَ لَى

وقال ابن نباتة السعدىُّ:

«بسيط»

لَمْ يُبْـقِ جُودُكَ لِى شَيْـئـاً أُؤَمِّلُهُ ... تَرَكْتَنِى أَصْحَـــبُ الدُّنْيـا بلاَ أَمَـــلِ

وَقَد أَرَبَى على أبى الطيّب فى المدح، وفى الأدب مع الممدوح حيث لم يجعله فى حيز من يتمنى شيئاً. ومنه بابُ الطَّرْد والعكس.

د ـ أن يُكرِّرَ رعاية للفواصل الشعرية قال امرؤُ القيس:

---

(١) ط: هوُوا بالضم وهو خطأ صرفى، لان اصلَه هَوَى يهوَى بالفتح.
(٢) بداية ق ١٢٩ فى الأصل.

«طويل»

وَهَلْ يَنعَمَنْ إلاَّ سَعِيْدٌ مُخَلَّدٌ قَلِيلُ الهَمُومِ لاَ يَبِيت بِأَوْجَالِ

فإنَّ من قل همُّهُ لايبيتُ بأوجال. وقال المُنخَّلُ:

«كامل»

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَاةِ الْخِدْرَ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ

الْكَاعِبِ الْحَسْنَاءِ تَرْفُلُ فِي الدِّمَقْسِ وَفِي الحَرِيرِ

تتميم: وقد يجيئ التكرير للاستيعاب قال ابن الحاجب:

العرب تُكررُ الشئ مرتين ليستوعب تفصيل جميع جنسه باعتبار المعنى الذى دلَّ عليه اللفظ المكرر كقولك: بينتُ لهُ الكتاب كلمةً كلمةً أى مُفصَّلاً باعتبار كلماته.

وقوله تعالى: ﴿فارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾[1] أى مرة بعد مرة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[2] أراد دوام الرزق، ودروره كما تقول: أنا عند فلانٍ صَبَاحاً ومساءً ولا تقصدُ الوقتين المعلومين بل الدّيمُومةُ، وعليه قوله تعالى فى وجه: ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ. إلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[3] أى لاينفع شئ ما إلاَّ سلامةُ القلب كقولك: لاينفعُ زيدٌ ولا عمروٌ. على معنى لاينفع انسانٌ ما.

والطرد والعكسُ:

وهو أن يؤتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثانى، وبالعكس كقوله تعالى: ﴿لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ﴾[4] إلى قوله: ﴿ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ﴾[5] إذا قُرئ: «ثَلاثَ

(١) سورة الملك ٦٧/ ٤ فى الأصل «فارجع».

(٢) سورة مريم ١٩/ ٦٢.

(٣) سورة الشعراء ٢٦/ ٨٨ ـ ٨٩.

(٤)، (٥) سورة النور ٢٤/ ٥٨.

عورات»[1] منصوبا ليكون قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾[2] كلاماً مُقرراً للأمر بالاستئذان فى تلك الأوقات خاصة، فمنطوق الأمر بالاستئذان مقدِّرٌ لمفهوم رفع[3] الجُنَاحِ وبالعكس. وعليه قولُ جار الله فى الرُّوم [وتكريرُ ﴿الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[4]، وترك الضمير إلى التصريح لتقرير أنَّهُ لا يُفلِحُ عندهُ إلا المؤمن الصالح. وقوله: ﴿إِنَّهُ لاَ يفلحُ الْكَافِرون﴾[5] تقريرٌ بعد تقريرٍ على الطَّرد والعكس][6].

وقال ابن هانى:

«طويل»

فَمَا جَازَهُ جُـودٌ وَلاَ حَـلَّ دُونَـهُ وَلَـكِنْ يَصِيـرُ الجُوْدُ حَيْثُ يَصِيـرُ

قال المالكى: [7] متى انتفى كون الجُود يتقدمُ شخصاً، أو يتأخَّرُ عنه فقد ثبت كونُه معهُ وبالعكس.

وقال تعالى: ﴿لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[8] وقول الموحد: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. ومنه قوله تعالى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾[9].

---

(١) قال الزمخشرى فى كشافه ٣/ ٧٥: «وقرئ «ثلاثَ عَوْرَاتٍ» بالنصب بدلاً عن «ثلاث مرات»: أى أوقات ثلاث عورات» فأبو بكر وحمزة والكسائى «ثلاث مرات» بالنصب والباقون بالدفع. انظر كتاب التيسير للدانى/ ١٦٣.

(٢) سورة النور ٢٤/ ٥٨.

(٣) بداية ق ٨٥ فى الأصل.

(٤)، (٥) سورة الروم ٣٠/ ٤٥ وفى طـ: (إنه لا يحب الكافرين).

(٦) مابين القوسين فى الكشاف ٣/ ٢٢٥ بالنص وهو ما نبه عليه بأنَّه قول الزمخشرى..

(٧) لم يبين محقق (ط) من هو المالكى وهو بدر الدين بن مالك صاحب المصباح وقد نقل الطِّيبى ماقاله فى تعليقه على بيت أبى نواس بالنص، انظر المصباح ص ٩١.

(٨) سورة التحريم ٦٦/ ٦.

(٩) سورة الإسراء ١٧/ ٨١.

والتَشْبِيبُ:

(وهو أن يُقَدَّمَ قبل الشُّرُوع فى الكلام ما يُمهِّدُ المرام، وهو على وجوه:

أ ـ التغزّل قبل التمدُّح.

ب ـ التَنبيه على الخطاب الهائل تلطُّفاً. قال الله تعالى: ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾[1] بدأ بالعفو قبل إبداء الذَّنْبِ، ولولا تصدير العفو فى العتاب لما قام لصولة الخطاب.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾[2].

جـ ـ التنبيه على القاء السَّمع للخطاب الخطير، وشهود القلب لما يُعنى به من الخطب الجليل. قال ثعلبٌ: حُرُوف التهجى فى الفواتح بمنزلة ألاَ «الاستفتاحية» كما إذا أراد الإخبار بمُهِمٍّ حَرَّكَ الحاضر بيديه، أو صاح به صرَّةً ليُقبل بكلمةٍ إليه.

د ـ الريذانُ على مكانة ما يُمهَّدُ له كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾[3].

ومنه قول المستفيد بين يدى المُفيد: رضى الله عنك. ومن الباب بابُ الإبدال والإجمال، والتفصيل)[4].

والتَّذْيِيلُ:

وهو أن يُقطع الكلامُ بما يشتمل على معناه توكيداً لا محلَّ له. وهو على أقسام:

أ ـ [5]أنْ يُعقَّب بجملةٍ تخرج مخرج المثل. قال الذُّبيانى:

---

(١)سورة التوبة ٩/ ٤٣.

(٢) سورة التحريم ٦٦/ ١.

(٣) سورة الأحزاب ٣٣/ ٥٧.

(٤) مابين القوسين سقط من (ا).

(٥) بداية ق ١٣٠ فى الأصل.

«طويل»

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أخـــاً لاَ تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ أيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ

فإنَّ صدر البيت دلَّ بمفهومه على نفى الكامل من الرجال.

فحقَّق ذلك بعجزه. وقال الحُطيئة:

«طويل»

نَزُورُ فَتًى يُعْطِى عَلَى الحَمْدِ مَالَهُ وَمَنْ يُعْطِ أثْمَانَ الْمكَارِمِ يُحْمَدِ

وقولهم: فلان ينطقُ بالحقِّ، والحقُّ أبْلَجُ، وحدث حادثٌ والحوادثُ جمَّةٌ ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾[1] إذا لم يُعَدّ من تتمّة (التشبيه) *، ولم يجعل استعارة ممهّداً لها التشبيه، ولم يكن قرينةً للتشبيه لإثبات أنَّ دينهم أوْهَنُ الأديان على الكناية الإيمائية.

وأمَّا قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2] فإيغالٌ لأنّ من وقف على عوادى الباطل ربَّما نَزَعَ عنه.

ب ـ أنْ يُعقَّب بجملة تخرجُ مخرج التشبيه، والتمثيل قال السَّرِىُّ:

«بسيط»

أصْبَحْتُ أُظْهِرُ شُكْراً مِنْ صَنَائِعِهِ وَأُضْمِرُ الودَّ فِيهِ أىَّ إضْمَارِ

كَيَانِعِ النَّخْلِ يُبْدِى للعُيُونِ ضُحىً طَلْعاً نَضِيْداً وَيُخْفِى غَضَّ جُمَّارِ

وقال الآخر:

---

(١)، (٢) سورة العنكبوت ٢٩/ ٤١.

(٢) سقطت من (أ).

«كامل»

كَمْ لِي أُنبِّهُ غَافِلاً مِن نَومِهِ ... يَزْدَادُ نَوماً كُلَّمَا نبَّهْتُهُ

فكأنه الطفل الصغير إذا بكى ... يَزداد نوما كلما حركتهُ

جـ - أن يعقب بجملة خرجت غير مخرجهما كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[1] أى كذلك عادة الملوك، وهجيراهُم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ بالعين مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[2] إذا عُنى به وأنتم قومٌ عادتُكم الظُّلمُ، وإذا عُنى به وأنتم واضعوان العبادة فى غير موضعها فلا لكونه منصوباً على الحالية.

ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى إِلاَّ الْكَفُورَ﴾[3] لأنَّ الثاني أعمُّ من الأول، وخص الجزاء بالعقاب فيه لاختصاصه به أوَّلاً، لأنَّ الأصل فَهَلْ يُجَازَى إلاَّ العَامل. فعدل مشاكلةً. فالجزاء على عمومه إذَنْ والله أعلم.

والتكميلُ:[4]

وهو أن يُؤتَى بكلام فى فنّ فيُرى[5] ناقصاً فيُتم بكلام آخر. قال كعب الغنوىُّ:

«طويل»

حَلِيمٌ إِذَا مَا الحِلْمُ زَيَّن أَهْلَهُ ... مَعَ الحِلْمِ فِى عَيْنِ العَدُوِّ مَهِيبُ

---

(١) سورة النمل ٢٧/ ٣٤.

(٢) سورة البقرة ٢/ ٥١، ٩٢.

(٣) سورة سبأ ٣٤/ ١٧ (يجازى) فى (س)، وفى الكشاف ٣/ ٨٥، قال الزمخشرى فى تفسيرها: «بمعنى عاقبناهم بكفرهم. قيل: وهى يجازَى إلاَّ الكفور ؟ بمعنى وهل يعاقب، وهو الوجه الصحيح».

(٤) انظر تعريف الخطيب له فى الإيضاح شرح د. خفاجى ص ٣١٠ فهو أولى من تعريف الطيبى، إلا أن الطيبى يتميز عنه بكثرة الشواهد القرآنية وغيرها.

(٥) طـ : فيَرى بالبناء للمعلوم وهو خطأ .

فإنّهُ رأى أن الوصف بمجرّد الحلم غير واف فكمّل بقوله:

. . . . . فِي عَيْنِ العَدُوِّ مَهِيبُ

وقال تعالى في حقّ الصَّحَابَة: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1] فلو اكتفى بالقرينة الأولى لأوهَمَ أنّ الذلة للعجز، فاقترنَ بما ينبئ عن التواضع، ولا يؤدى إلى التكبر.

وكذا قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [2] فلو لم يُؤتَ بالثانية لأوهم الفظاظة، والغلظة. فكمّل بالثانية.

ولما أنشد النابغة بين يدى سيد المرسلين ـ صلوات الله عليه وآله وسلامه:

وَلاَ خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَلاَ خَيْرَ فِي أَمْرٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... حَكِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرَا

«طويل»

قال: «أَحْسَنْتَ يا أبا لَيْلَى لاَ يُفْضِضِ اللهُ فَاكَ»[3] فنيِّفَ على المائة وكان من أحسن النَّاس ثغراً. وقال الحماسى:

«طويل»

وَمَا[4] مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ ... وَلاَ طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ

فلو اختصر على وصف قومه بشمول القتل إيَّاهم لأوهم الضعف فيهم فأزالهُ بوصف انتصارهم من قاتليهم.

وقال أبو الطَّيِّب:

---

(١) سورة المائدة ٥/ ٥٤ وفى (ط) أذلةً ، أعزةً بالنصب وهو خطأ .

(٢) سورة الفتح ٤٨/ ٢٩.

(٣) قال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء : رواه البغوى فى معجم الصحابة ، وابن عبد البرفى الاستيعاب بإسناد ضعيف من حديث النابغة واسمه قيس بن عبد الله ، قال : أنشدت النبى (ص)

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا : وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً . . . . الأبيات

ورواه البزار بلفظ : علونا العباد عفة وتكرماً . . . . الأبيات

وفيه « فقال : أحسنت يا أبا ليلى : لا يفضض الله فاك » انظر المغنى عن حمل الاسفار للعراقى مع الإحياء ٢/ ٢٧٤ ، وانظر تخريج الإحياء للعراقى وابن السبكى والزبيدى ، جمع وتحقيق محمود الحدّاد ح/ ١٩٩٤ ، حـ٣ / ١٣٢٢ .

(٤) بداية ق ١٣١ فى الأصل

«وافر»

أَشَدُّ مِنَ الـرِّيَاحِ الـهُوجِ بَطْشـــــاً وأَسْرَعُ فـى الـنَّدَى مِنْهـــــــا هُبُوبَا

جمع الشجاعة مع السخاوة، ولم يتجاوز فيه عن صفتى الريح.

وأخذهُ من قول أبى تَمَّام:

«طويل»

رِيَاحٌ كَرِيحِ الـعَنْبَرِ الغـضِّ فى الـنَّدَى ولكنَّهـــــا يَوْمَ اللقـــــاءِ زَعـــازِعُ

وأبو زرعة قابله بقوله:

«طويل»

نَسِيْمُ الصَّبَا للطـالِبِ العَرْفِ ريحـُه ولـلكاشـحِيـنَ الخـزر نكبـاءُ حَرْجَفُ*

والإيغال:

وهو خـتمُ الكلام بنكتـة زائدة. قـال اللهُ تعـالى: ﴿**أُولئكَ الَّذيـنَ اشْتَرَوُا الـضَّلاَلَةَ بالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِيـنَ**﴾[1]. فقوله: ﴿**وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾[2] إيغـال لأنَّ مطلوب التُّجَار فى متـصرفـاتهم[3] سلامةُ رأس المال، والربح.

وربما تَضيع الطلبتان، وتبقى معرفة التـصرف فى طرق التجارة فيحتال بها لطرق المعاش، وهؤلاء قد أضاعُوا الطلبتين، وضلُّوا الطرق فَدُمرُوا.

وقال تعـالى: ﴿**اتَّبِعُوا مَنْ لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾[4] وقالت الخنساءُ:

---

(١)، (٢) سورة البقرة ٢/١٦.

(٣) قال الزمـخشرى فى الكشـاف ١/١٩٤: «الذى يطلبه التـجار فى متـصرفاتهم شـيئان: سـلامة رأس المال، والربح. وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معا...».

(٤) سورة يس ٣٦/٢١.

* العَرْف: الرائحة الطيبة، وفى (أ) العُرف بالضم، والكاشح: هو الذى يضـمر العداوة، والحُزر جمع أحزر وهو ضيق العين أو الذى يتداهى وينظر بمؤخرة عينه، والحرجف: ريح باردة.

«بسيط»

وَإنَّ صَخْـــراً لَتَـــأتَمُّ الـــهُدَاةُ بِهِ كَأنَّـــهُ عَلَـــمٌ فِى رَأسِـــهِ نـــارُ

وقولها: «فى رأسه نَارٌ» إيغالٌ.

وقال الفرزدق:

«كامل»

لَعَـــنَ الإلَهُ بَنِى كُلَيْـــبٍ إنَّهُـــــــــم لاَ يَغْدِرون * وَلاَ يُفُونَ لِجَـــار

يَسْتَيْقِظُونَ إلَـــى نَهِيـــقِ حِمَارِهِـــــمْ وَتَنَـــامُ أعْيُنُهُمْ عَـــنِ الأوتَـــارِ

قـوله: «لا يَفُونَ» تكميلٌ إذ لو اقـتـصر على «لاَ يَغـدِرُونَ» لاحتـمل الْمَدْحَ. فقال: «لا يَفُونَ» ليـفيد أنَّه للعجز. وحـصل مع ذلك إيغالٌ حَسَنٌ بقوله: «لِجَار» لأنَّ ترك الوفاء للجار أشدُّ قُبحاً من تركه لغيره.

وقوله: «تَنَامُ أعينُهُم» تذييلٌ لقوله: «يَسْتَيْقِظُونَ».

والتتميم:

وهو تقييد الكلام بتابع يفيد مبالغة، أو صيانة عن احتمال مكروه.

فمن الأوّل لفظاً ومعنىً قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ**﴾[1] أى على الذى أحسن موسى من العلم والشَّرائع أى زيادة على علمه على وجـه التتميم. وقوله تعـالى فى وجه: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ**﴾[2] أى مع حب الطعام وهو اشتهاؤه، وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**﴾[3]. فقوله: ﴿**الْكَرِيمِ**﴾ تتميمٌ، ومبالغة للتربية لأنّ التربية

(١) سورة الأنعام ٦/ ١٥٤.

(٢) سورة الإنسان ٨/٧٦.

(٣) سورة الإنفطار ٦/٨٢.

* ا : يعْذرون وهو خطأ .

مُشعرةٌ بالكرم. ومن ثم قال يحيى بن معاذ: «غَرَّنِي بِكَ برُّكَ سَالِفاً وآنفاً».

وقول[1] امرئ القيس:

«طويل»

حَمَلَتْ رُدَيْنِيّاً كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

فإنّ النار الشّاعلة إذا لم يتصل بها دخانٌ كانت أشد تُقُوباً. وقول أبى العلاء:

«بسيط»

الْمُوقِدُونَ بِنَجْدٍ نَارَ بَادِيَةٍ لاَ يَحْضُرُونَ وَفَقْدُ الْعِزِّ فِى الْحَضَرِ

إِذَا هَمَى الْقَطْرُ شَبَّتْهَا عَبِيدُهُمُ تَحْتَ الْغَمَائِمِ لِلسَّارِينَ بِالْقُطُرِ

وقوله: «تَحْتَ الغَمائم» تتميم لارادة الإيقاد، والاهتمام بشأنه وقوله: «بالقُطُر» تتميم للتيميم، وذلك أنّ نُزول المطر لايمنعهم عن الإيقاد، ولا يُوقِدُ عنده إلاّ بالحطب الجزل، وإذا كان الحطب عُوداً كان نهايةً فى إرادة المبالغة فى الاهتمام. ويحتمل الاستتباع أيضاً لأنّ صفة السَّخَاوة استُتْبِعَتْ صفةُ الثروة لأنَّ الوقود إذا كان عُوداً وكان جزلا دلَّ على أنَّهم لم يكونوا من أوساط الناس.

وقول الآخر:

«كامل»

نَظَرَتْ إِلَيْكَ بِعَيْنِ جَازِيَةٍ حَوْرَاءَ حَانِيَةٍ عَلَى طِفْلِ

شبَّهَ عينها بعين الظبية على سبيل التجريد، ثم تمم بقوله: «حَانية على طفل». لأن فى نظر الظبية إلى خشفها حال اشفاقها عليه شيئا من الملاحة، وحُسن الفُتُور ما ليس فى غير تلك الحالة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ

(١) بداية ق ١٣٢ فى الأصل.

﴿مُؤْمِنِينَ﴾[1] الشرط حالٌ ومتعلق بالنهى كالتعليل له على (سبيل)* التتميم، وليس على حقيقته لأنَّ الخطاب مع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وأصحابه ـ تسلية لهم لما أصابهم يوم أحد.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا إِنْ[2] كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]. قال جار الله: «هو من الشَّرط الذى يجيئُ به المُدلُّ بأمره المتحقق لصحته.

ومن الثانى قول الشَّاعر:

«كامل»

فَسَقَى دِيَارَكِ ـ غَيْرَ مُفْسِدِهَا ـ صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي

فقوله: «غير مفسدها» تتميم للصيانة. وقول أبى الطيب:

«طويل»

وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجَرِّبٍ تَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا

وقوله: «وَحَاشَاكَ» تتميم فى غايةٍ من الحُسن. وقول الآخر:

«طويل»

لَئِنْ كَانَ بَاقِى عَيْشِنَا مِثْلَ مَا مَضَى فَلَلْمَوْتُ ـ إِنْ لَمْ تَدْخُلِ النَّارَ ـ أَرْوَحُ

وقوله: «إِنْ لَمْ تَدْخُلِ النَّارَ» تتميمٌ.

ومن أجلِّه مَغزى توسيط قوله: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾[4] بين قوله:

---

(١) سورة آل عمران ٣/١٣٩.

(٢) (ط): أن، والصواب (إن) على القراءة المستشهد بها.

(٣) سورة الشعراء ٢٦/٥١.

(٤) سورة المنافقون ٦٣/١.

* ليست فى (أ).

﴿قَالُوانَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ﴾[1] وبين قوله: ﴿واللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[2] ولولاه لكان يُوهمُ ردَّ التكذيب إلى نفس الشهادة.

ومن التتميم ما يختصُّ باللفظ، ويُسمى حشواً قبيحاً، وذلك إذا رُوعى الوزنُ دون المعنى، والحَسَنُ منه ما قُصد فيه لطيفة. قال أبو الطيب:

«كامل»

وَخُفُوقِ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لَهِيبَهُ يَا جَنَّتِي لَظَنَنْتِ فِيهِ جَهَنَّمَا

فحصل من قوله: يَا جَنَّتِي للتتميم على طباقٍ حسنٍ فلو قال: (يا مُنيَتِي)[3] لاستُجهِنَ كما جاء ذكر البحرين في قول البحتري:

«بسيط»

إِذَا نَضَوْنَ شُفُوفَ الرَّيْطِ آوِنَةً قَشَرْنَ عَنْ لُؤلؤِ البَحْرَينِ أَصْدَافَا

مُستهجناً شبّه أجسادَهُنَّ إذا خَلَعْنَ ثيابهُنَّ بلؤلؤٍ قُشِرَ عنه الصَّدَفَ. فتم معنى البيت، ولم يتم وزنه. فجاء بذكر البحرين حشواً وكقوله:

«الوافر»

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالوَصَبُ

لأن الصُداع لا يكون إلاّ في الرأس.

وَالتَرَقِّي:

وهو أنْ يُذكر معنى، ثم يردف بما هو أبلغ منه كقولك: فلانٌ نحْريرٌ وشُجاعٌ باسلٌ، وَجَوَادٌ فيّاضٌ وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾[4] أي قَدَّر ما يُوجدُ، ثم ميَّزَهُ، ثم مثَّلَهُ. وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ

(١)، (٢) سورة المنافقون ٦٣/ ١.

(٣) بداية ق ١٣٣ في الأصل.

(٤) سورة الحشر ٥٩/ ٢٤.

﴿وَلاَ النَّصَارَى﴾[1] أى لا يَرضى عنك من أقرب مـودة، وهم النصارى فكيف من هو أبعدُ وهم اليهود.

وقوله تعالى: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾[2] كَان القيـاس أنْ يُقال: نَوْمٌ وَلاَ سِنَةٌ لأنَّه إذا لم تأخـذه السنة فكيف النومُ؟ لكن المـراد لا يوجَدُ السنة والنوم أولى علَى طريقة: ﴿فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾[3] أى لا تقل عند الضـجر: «أُفٍّ» فضلا عما يزيد عليه، ثُمَّ قال: ﴿وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾ تأكيداً للمنفى ضمناً.

وقال أبو العلاء:

«وافر»

سَرَى بَرْقُ الْمَعَـــــــــرَّةِ بَعْدَ وَهْنٍ فَبَاتَ بـرامـــةَ يَصـــــفُ الـكَلاَلاَ

شَجَا رَكْبـــاً وَأَفْرَاســـــــــاً وَإِبْلاً وَزَادَ فَكَـــادَ أَنْ يَشْجـــــو الرِّحَـالاَ

وأما قـوله (تعالى: ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾[4] فمن باب التـتميم للمبـالغة، فإنّه تعالى لَمَّا ذكـر جلائل النعم وعظائمها أراد المبـالغة فتمم بما دق منهـا، أو التكميل لأنَّه مركـوز فى الجبلة أنّ عظائم النـعم ليست إلاّ منه. فلو اقـتصر علـى الرحمن لاحتُشِم أنْ يُطلب منه الشئ اليسير فكَمَّلَ بالرحيم *.

قال: (يا موسى سَلْنى حتّى ملْحَ قدْرك).

وقوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبـداً لله وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[5] لا يفيـد التـرقـى فيـه أفضليّة الملائكـة كمـا ذهـب إليـه صاحـب

(١) سورة البقرة ٢/ ١٢٠.

(٢) سورة البقرة ٢/ ٢٥٥.

(٣) سورة الإسراء ١٧/ ٢٣.

(٤) سورة الفاتحة ١/ ١، ٣، وسورة النمل ٣٧، ٣٠.

(٥) سورة النساء ٤/ ١٧٢.

* أفاض الطيبى فى بيان البلاغـة فى هذا الموضع فى حاشيته على كشاف الزمخشرى المسمّاه « فتوح الغيب فى الكشف عن قناع الريب » مخطوط بدار الكتب ٣/ ٤٤ تفسير تيـمور ق ١٦ ، حيث أورد ترجيح الزمخشرى أنّ الآيه من باب التميم وليس من باب الترقى ، ثم عدَّ الطيبى أقوال العلماء فى هذا الموضوع، ثم ردد الآية بين أن تكون للتميم كمـا رجحه الزمخشرى أو التكميل كما هو ظاهـر مذهب الإمام (ويقصد به الرازى) ، وقد عرضت لذلك فى رسالتى للماجـستير عن جهـود الطيبى البلاغية ، ص ٦٢ - ٦٣ ط المكتبة التجارية ، ورجحت أنّه لا يبعد حمل الآية على الترقى ، وذكرت وجه ذلك هناك فليراجع .

الكَشَّاف لأنَّ النَّصارى لا يقولون بتفضيلهم عليه، وإنَّما ينتهضُ الحجَّةُ عليهم إذَا قالوا به بل يفيد أنَّهم فى الإتيان نحو أرق العادات أقدر منه، أو أنَّهُم وجدوا من غير أب، وأمّ يدل على ذلك سياق الكلام. ويحتملُ التتميم أيضاً.

والاعتراضُ:[1]

وهو أنْ يُؤتَى فى أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى[أ] بجملة، أو أكثر لا محلّ لها من الإعراب، ومرجعه إلى التأكيد.

فمن الأوّل قوله تعالى: **﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ـ سُبْحَانَهُ ـ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾**[3] أكد للتنزيه، وقول (عوف)[ب] الشَّيبانىّ:

«سريع»

إنَّ الثَّمَانِينَ ـ وبُلِّغْتَهَا ـ قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِى إلى تَرْجُمَانْ

وقال جرير:

وَلَقَدْ أَرَانِى[4] ـ وَالْجَدِيدُ إلى بِلَىً ـ فى[5] مَوْكِبٍ طُرُفِ الْحَدِيثِ كِرَامِ

والجديد إلى بلىً اعتراضٌ للتعزّى عَمَّا مضى من لذّة عِشرة الأحباب.

وقال كثير:

---

(١) الكشاف ١/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦ قال الزمخشرى: «ولا من هو أعلى منه قدرا، وأعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبرائيل، وميكائيل، واسرافيل ومن فى طبقتهم.. فوجب أن يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية، ولا من هو أرفع منه درجة كأنه قيل: لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح.

(٢) انظر تأثره فيه بابن الأثير المثل السائر والإيضاح للخطيب ٣١٣ بشرح د. خفاجى.

(٣) سورة النحل ١٦/ ٥٧.

(٤) «أرونى» فى (ع).

(٥) «من» فى (ع).

(أ) بداية ق ١٣٤ فى الأصل.

(ب) سقطت من (ط).

لَوَّ[1] انَّ البَاخِلِين ـ وَأَنْتِ مِنْهُمُ ـ . رَأَوْكِ تَعَلَّمُوا مِنْكِ المطَالا

(وأنت منهم) من النوادر.

ومن الثانى وجهان:

أحدهما: ما يقع «أكثر»[2] من جملة قال تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[3] ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾[4] اعتراض بين البيان والمبين، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[5] وقال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾[6]، والتقدير إنّى وضعتُها أنثى وإنّى سمّيتُها مريم اعتراض كلام الله بين كلامها تعظيماً لأمر الموهُوب.

وقال تعالى: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّه لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾[7] فيه اعتراض فى اعتراض. فإنَّ قوله: [وَإِنَّه لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيم] اعتراض بين القسم، وجوابه (مقرر للتأكيد)*، وتعظيم للمحلوف به. وقوله: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ اعتراض آخر بين الصفة والموصوف مؤكدٌ لذلك التعظيم أى لو عُلم ذلك لَوُفّى حقُّه من التعظيم.

وثانيهما: ما يكون جملة كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُم فِيهَا

---

(١) «ولو» فى (ع).

(٢) «الاعتراض» أكثر فى (ع).

(٣) سورة البقرة ٢/ ٢٢٢.

(٤) سورة البقرة ٢/ ٢٢٣.

(٥) سورة البقرة ٢/ ٢٢٢.

(٦) سورة آل عمران ٣/ ٣٦.

(٧) سورة الواقعة ٥٦/ ٧٥ ـ ٧٧.

* ط: (مقدر للتوكيد) وهو خطأ والصواب مقرر كما أثبتناه من (ا).

وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[1] ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾[2] اعترض ﴿واللهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[3] بين المعطوف والمعطوف عليه ليؤذن التدارُؤ (لم) ينفعهم فى الكتمان.

وأما قول نُصَيْب:

فَكِدْتُ ـ وَلَمْ أُخْلَقْ مِنَ الطَّيرِ ـ إنْ بَدَا

سَنَا بارِقٍ نَحوَ الحِجَازِ أَطِيرُ

فمن الأوّل لأنّ التقدير: «إن بَدَا سَنَا بَارِقٍ نحو الحجاز فكدْتُ أَطِيرُ»، فالاعتراض «ولم أُخْلَقْ مِنَ الطَّير»، وهو جملة وقعت بين كلام واحد.

تتميم: ووجهُ حُسن الاعتراض حُسْنَ الإفادة مع أنّ مجيئهُ مجيءُ ما لا يُترقَّب فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب، وإذا كان كذلك يُسمَّى حشواً مليحاً كما قال يزيد:

«طويل»

أَقولُ لِعيني حِينَ جَادَتْ بِدَمْعِها وَإنسانُها فى لجَّةِ الدَّمعِ مُغْرَقُ

خُذِي بنصِيبٍ من مَحَاسنِ وَجهِها ذَرِي الدَّمْعَ لليومِ الذى نتفرق

والآخر:

---

(١) سورة البقرة ٢/ ٧٢

(٢) سورة البقرة ٢/ ٧٣.

(٣) سورة البقرة ٢/ ٧٢.

(٤) بداية ق ١٣٥ من الأصل.

«طويل»

أقـــولُ لِعَينى حِيـــنَ ســـارَ أحـــبَّتى وَقَد قـــرحتْ بِالدَّمعِ منّى جـــفُونُهـــا
أيا عَينُ كُفّى مـــن دُمـــوعِك واقـــصِرِى فَقَالَتْ لهـــذا اليـــوم كُنْتُ أصـــونُهـــا

ولم يحسن فى قوله النابغة. قوله: لا أبا لك:

«طويل»

يَقُولُ رِجـــالٌ يَجْهـــلُون خَلِيـــــــــقَتِى لَعـــلَّ زِيَاداً ـ لاَ أَبَا لَكَ ـ غَافـــلُ

ويسمى مثلُ هذا حشواً متوسطاً لأنَّ بدخوله لم يكتس الكلام حُسناً. وقَبُحَ فى قول الشّاعر:

«طويل»

نَظَرْتُ وَشَخْصِى ـ مَطْلَعَ الشَّمسِ ـ ظِلُّهُ
إلَى الْغَرب حَتَّى ظِلُّهُ الشَّمْسَ قَدْ عَقَـل

أراد نَظَرْتُ مطلَعَ الشمس وشخصى ظلُّه إلى الغرب حتّى عَقَلَ ظِلُّهُ الشَّمْسَ أى حاذاها. وفيه من التعقيد أنَّه فَصَلَ مفعول نظرتُ وهو: «مَطْلَعَ الشَّمْسِ» بين المبتدأ والخبر. وفـصل بالمبتدأ، وهو «شخـصى» بين الفعل ومفعوله، ومـثل هذا يسمى حشواً قبيحاً وكانت للأئمة اختلافاتٌ أختير منها ما هو أقربُ إلى التحقيق.

والاستطراد:

وهو أن تكون فى شئ من الفنـون، ثم سنح لك فن آخر يُنـاسبـه فتـوردهُ فى الذكر كـما إذا تكون فى حكاية زيد، ثم سنح لك حكاية أخـرى فيه أو فى غـيره تناسبهـا فتوردها مأخـودٌ من فعل الصَّائد يُطاردُ صيداً فيـتلقاهُ آخر فيـقصدُهُ، وهو نوعان:

الأول: ما يكون التعليق بعيدا(بينه) [1] وبين أصل الكلام وذلك بأنْ يكون تابعاً

(١) ط: (عنه) وهو خطا.

للتابع كما بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ (١)، وبين قوله: ﴿الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢). فإنّ ذكر الكُفَّار تابعٌ لذكر المؤمنين أى مستطردٌ له، وليس بينه وبين ذكر الكتاب مناسبة ففَصَلَ، وكذا فَصَلَ قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً﴾ (٣) عما قبله لكون السابق سيق لبيان اظهار سوأة آدم، وحواء وخصف الأوراق عليهما بسبب العصيان، والتالى لبيان اظهار المنّة علينا بما خلق من اللّباس والزينة وللإشعار بأنَّ التستر بابٌ عظيمٌ فى التّقوى.

وثانيهما: ما يكون التعلّقُ قريباً كما فى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً﴾(٤)، فعُطف* «ومِنْ كُلٍّ» لكونه مُناسباً لأصل الكلام، وهو البحران المَعْنِيُّ بهما المؤمنُ، والكافرُ.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (٥) جئ به مُستطرداً بين قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٦) وبين قوله: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ «مِنْ خَرْدَلٍ»﴾(٧) الآية.

ولما كان مُناسباً لأصل الكلام، وصل به، واعترض أيضاً فى الاستطراد جملة

---

(١) سورة البقرة ٢/ ٦.
(٢) سورة البقرة ٢/ ١ ـ ٣.
(٣) سورة فاطر ٣٥/ ١٢.
(٤) سورة لقمان ٣١/ ١٤.
(٥) سورة لقمان ٣١/ ١٣.
(٦) «من خردل» فى (ب) ولم تكن فى الأصل.
(٧) سورة لقمان ٣١ / ١٦.
* بداية ق ١٣٦ فى الأصل.

قوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[1] بين المفسِّر والمفسَّر.

وفائدة الاستطراد التحريض على قبول موعظة الآباء، وأنَّهم محقُوقُونَ بأنْ يكونوا مشكورين. وفائدة الاعتراض التوكيد في التوصية في حقهم، وبالوالدة خصوصاً لما تُكابدُ من مشَّاقِ الحمل والرَّضاع.

والاستتباعُ:[2]

وهو الوصفُ بشئ يستتبع وصفاً آخر إمّا مدحاً، أو ذماً. قال أبُو الطَّيب:

«طويل»

نَهَبْتَ مِنَ الأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهُنِّئْتَ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ

مدحه بصفة الشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سبباً لصلاح الدنيا حيث جُعلت مُهَنَّأةً بخلوده.

وقال أبو بكر الخوارزميّ:

«كامل»

سَمْحُ البَدِيْهَةِ لَيْسَ يُمْسِكُ لَفْظَهُ فَكَأَنَّمَا أَلْفَاظُهُ مِنْ مَالِهِ

مدحه بذلاقة المنطق على وجه استتبع السماحة.

وقال ابن الرُّومي:

نَكَبَتْهَا تَقْتُلُ جُلاَّسَهَا لِقُرْبِ مَجْشَاهَا مِنَ الْمَفْسَا

هجاها بالبخر على وجه استتبع ذَمَّها بالقصر.

---

(١) سورة لقمان ٣١/ ١٤.

(٢) انظر الإيضاح بشرح د. خفاجي ص ٥٢٦.

والإدْمَاجُ:[1]

وهو أنْ يُضَمَّن كلام سيق لوصف وصفاً آخر وهو أخصُّ من الأول، وأعَمُّ من الثانى. قال أبو الطيب:

«وافر»

أُقَلِّبُ فِيهِ أجْفَانِى كَأنِّىَ أُعَدُّ بِهَا عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا

ضَمَّنَ وصف الليل بالطول الشكاية من الدَّهر.

قال ابن نباتة:

«طويل»

فَلاَ بُدَّ لِى مِنْ جَهْلَةٍ فِى وِصَالِهِ فَمَنْ لِى بِخِلٍّ أُودِعُ الحِلْمَ عِنْدَهُ؟

ضمن العدل الفخر بكونه حليماً. وضمّن الفخر [2] شكاية الإخوان بقوله: «فَمَن لِى بِخلٍّ» واللطف فيه أنَّه لم يَعْزِم على مفارقة الحلم لأنَّ الودائع تُستعادُ.

ومن هذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ﴾ [3] سِيقَتْ لإثبات النفقة، وضُمِّنت معنى أنَّ النَّسَبَ ينتهى إلى الآباء.

ومعنى قوله ـ صلوات الله عليه ـ [أنتَ وَمالُكَ لأبيكَ] [4].

وقوله تعالى: ﴿وحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ [5] سيقت لإثبات منَّة الوالدة على الولد. وفيها أنَّ أقلَّ مدة الحمل ستةُ أشهر، وسُمّى هذا النَّوعُ فى أصول الحنفية بإشارة النص.

---

(١) انظر تعريف الخطيب فى الإيضاح ص ٥٢٦ بشرح د. خفاجى، وانظر الطراز ٣/١٥٧.

(٢) ط: الفكر.

(٣) سورة البقرة ٢/٢٣٣.

(٤) الحديث رواه ابن ماجة فى التجارات ولم يعزه محقق ط إليه ورواه أحمد ٢/١٧٩ ـ ٢٠٤ ـ ٢٤١.

(٥) الأحقاف ٤٦/١٥.

وتأكيد المَدْحِ بمَا يشبه الذّمّ:[1]

وهو أنْ تُثبت لشئ صفة* مدحٍ، وتُعقِّبَ بأداة الاستثناء صفة مدح أخرى قال النابغة:

«طويل»

وَلاَ عَيْبَ فِيهِم غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهُنَّ فُلُولٌ مِن قِرَاعِ الكَتَائِبِ

أى إذا لم يكن العيبُ إلاّ الشَّجَاعة، وهى من أخصّ أوصاف المدح. فإذاً لاعيب فيهم البتة.

وقال النابغةُ الجَعدىُّ:

«طويل»

فَتًى كَمُلَتْ أَخْلاَقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِى مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

فإنَّه لما أراد الاستثناء من صفة الكمال أوهم السامع بأنه يرجع إلى النقص، فأثبت صفة الجود توكيداً للمدح.

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً. إِلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾[3] أى لا يذوقون الموتَ البتّة يعنى إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقُها ـ فإنَّهم يذوقونها. ومن الذمّ[4] قول الشاعر:

---

(١) انظر الإيضاح ص ٥٢٤.

(٢) سورة الواقعة ٥٦/٢٥ ـ ٢٦.

(٣) سورة الدخان ٤٤/٥٦.

(٤) وهو تأكيد الذم بما يشبه المدح وفى (ط) (ومن العكس) بدل (ومن الذمّ) . .

* بداية ق ١٣٧ فى الأصل.

«طويل»

هُوَ الـكَلبُ إلاَّ أنَّ فِيـــــهِ مَلاَلَةً وسُوءَ مـــــرَاعَةٍ وَمَا ذَاكَ فِى الكَلـبِ

والرُّجوعُ:(١)

وهو أن يُذكر شئٌ، ثم يرجع عنه كقولهم: ما معه من العقل شئٌ . بلى مقدار ما يوجب الحُجّة عليه. قال الشاعر:

«وافر»

وَإخـــــوَانٍ حَسَبْتُهُمُ دُرُوعـــــاً فَكَانُوهـــــا وَلَكِنْ لـلأعـــادِى

وَخِلْتُهُمُ سِهَامـــــاً صَائِبـــاتٍ فَكَانـوهـا، وَلَكـــنْ فـى فـؤَادِى

وَقَالُوا قَدْ صَفَـــــحْنَا مِنّا قُلـوبٌ لَقَدْ صَدَقُـــوا، وَلَكِـنْ مِن وِدَادِى

ومنه قولـه تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾(٢) كأنهُ قيل: نعم هو أذن ولـكن نعم الأُذنُ أى هو أذُنٌ كما قلتم إلاّ أنَّه أذُنُ خير لا أُذُنُ سوء. فَسُلِّم لهـم قولهم فيه: إلاَّ أنَّه فُسِّرَ بما هو مَدْحٌ له، وإن كانوا قصدوا به المذمـة، ولا شئ أبلغ فى الردّ من هذا الأسلوب لأنّ فيه اطمـاعاً فى المـوافقـة، وكـراً إلى إجابتـهم بالإبطال، وهو كـالقـول بالموجب فى الأصول.

والتفويفُ:(٣)

وهو أن يُؤتى بمعان مُلائمةٍ فى جُمل مستوية المقدار من قولهم: ثُوبٌ مُفَوَّفٌ إذا كان فيه خُطوط قال:

---

(١) انظر الإيضاح ص ٤٩٩.

(٢) سورة التوبة ٩/ ٦١.

(٣) انظر الإيضاح ص ٤٩١ وقد تأثر بالخطيب فيه.

«كامل»

وَمُدَامَةٍ صَفْـــرَاءَ فـــى قـــــارُورَةٍ زَرْقَاءَ تَحْمـــــلُهَا يَدٌ بَيْضـــــاءُ
فَالخَمْرُ شَمْسٌ وَالحُبَـــابُ كَوَاكـــــبٌ وَالْكَفُّ قُطْـــبٌ وَالإِنَاءُ سَمَـــــاءُ

وقال ابنُ عُنَينٍ:

«طويل»

دَعَتْ فِى أَعَالِى السُّعْدِ يَوْمـــاً حَمَامَةٌ عَلَى فَنَـــنٍ فـــى ظِـــلِّ رَيَّانَ كَالِـيَمِّ
فَهَاجَتْ مَشُوقـــاً واســـتَفـــزَّتْ مُتَيَّمـــاً وَأَبْكَتْ غَرِيبـــاً وَاسـتَخَفَّتْ أَخَا حِلمِ

*وقال الآخر:

«طويل»

فَلَو أَنَّ مَا بِى بِالجِبَال لَهـــــــدَّهَا وَبِالنَّارِ أَطْفَاهـا وَبِالْمَاءِ لَمْ يَجـــــــرِ
وَبِـالنَّاسِ لَمْ يَحْيَوا وبِـالدَّهـرِ لَم يَكُنْ وَبِالشَّمْسِ لَمْ تَطْلُعْ وبِـالنَّجمِ لَمْ يَسْرِ

وَالتطريزُ:(١)

وهو أن يُؤتى فى الكلام مواضعُ متقابلةٌ كأنها طراز قال أبو تمام:

«كامل»

أَعْوَامُ وَصْلٍ كَانَ يُنسِى طِيـبَهَـا(٢) ذِكـــــرُ(٣) النَّوَى فَكَأَنَّهـــــا أَيَّامُ
ثُمَّ انـبَرَتْ أَيَّامُ هَجْـرٍ أَعْقَبَـــتْ بَـأْسـىً فَخِلْنـا أَنَّهـــــــــا أَعْوَامُ
ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْـكَ السِّنُون كَأَنَّهـــا وَكَأَنَّهـــمُ وَكَأَنَّنـــــا أَحـــلَامُ

(١) انظر الطراز ٣/ ٩١ وأنبه هنا إلى أنّ هذا النوع قد سقط من الناسخ فى (أ) من الأصل واستدركه فى الحاشية وهو ثابت فى أصول النسخ الأخرى . .
(٢) «طيبها» فى (ع) و«طولها» فى شرح الصولى لديوانه ٢/ ٣٧٣.
(٣) «ذكر» فى (ب) ، وذكرُ فى شرح ديوانه ٢/ ٣٧٣.
* بدايةَ ق ١٣٨ فى الأصل .

والإرصادُ:[1]

وهو أنْ يُؤسِّسَ الكلام على وجهٍ يدلُّ على بناء ما بعده، وهو ضربان:

الأول: ما دلالته لفظية قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾[2] ﴿فلو وقف عليه عُلم ان بعده « بيتُ العنكبوت» وقال تعالى « وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾[3]. وقال زهير:

«طويل»

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلاً ـ لاَ أَبَالَكَ ـ يَسْأَمِ

وقال البحترى:

«طويل»

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَّمَتْ بِلاَ سَبَبٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ سَلاَمِي

فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّلْتِهِ بِمُحَلَّلٍ وَلَيْسَ الَّذِي حَرَّمْتِهِ بِحَرَامِ

والثاني: ما دلالته معنوية. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصطَفَى ادَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[4] فإنّ من لوازم اصطفاء الشئ أن يكون مختاراً على جنسه، أو نوعه. وحين بلغت قراءتُهُ ـ صلواتُ الله وسلامه عليه ـ ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾[5]. قال عبدُ الله ابن أبى سرج:[6] ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[7] فقال اكْتُبْ هكذا نَزَلَ.

---

(١) انظر الإيضاح ص ٤٩٢.

(٢) سورة العنكبوت ٢٩/ ٤١ وما بين القوسين هكذا فى (أ) (فلو وقف القارىء على قوله (وإن أوهن البيوت) علم السامع أن ما بعده بيت العنكبوت ، وكذا قوله تعالى « وما كان ..... إلخ) ..

(٣) سورة العنكبوت ٢٩/ ٤٠.

(٤) سورة آل عمران ٣/ ٣٣.

(٥) سورة المؤمنون ٢٣/ ١٤.

(٦) فى الكشاف ٣/ ٢٨: «وروى انّ عبدالله بن سعد بن أبى سرج كان يكتب للنبى ـ صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت».

(٧) سورة المؤمنون ٢٣/ ١٤.

ويحكى أنَّ رَجُلاً من اليمامة مَرَّ على الفرزدق، وهو بمربد فسأله هل علمت من جرير شيئاً. فأنشده الرجل:

«كامل»

صَاح الهَوَى لِفُؤادِك الْمُهْتَاجِ ....

فقال الفرزدق:

..... فَانْظُرْ بِتُوضِحَ بَاكِرَ الأَحْدَاجِ

فقال الرجل:

لَيْتَ الغُرَابَ غَدَاةَ يَنْعَبُ دَائِباً[1] ....

فقال الفرزدق:

..... كَانَ الغُرَابُ مُقَطِّعَ الأَوْدَاجِ

فما [1] زال يُنشدُهُ صدراً، ويُنشدُهُ عجزاً حتى ظن الرجل أنه قالها.

روى ابن الأفلح الكاتبُ أنَّه لما أنشد الأصمعيّ (الرَّشِيْدَ)[2] قصيدة عَدِيّ ابن الرِّقَاع التى أوّلُها:

«كامل»

[3]عَرِفَ الدِّيَارَ تَوَهُّماً فَاعْتَادَهَا مِنْ بَعْدِ مَا لَبِسَ البِلَى أَبْلاَدَهَا

أى آثارها. فلمَّا انتهى إلى قوله:

«كامل»

تُزْجِي أَغَنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ .....

البيت قال الرشيدُ: أتَعرِفُ فى هذا البيت ذكراً؟

قُلتُ: نعم. حكى الفرزدقُ لما أنشد عَدِيٌّ هذه القصيدة. كنتُ أنا وجريرٌ

(١) ط : دنباً وهو تصحيف .
(٢) سقطت من (أ) .
(٣) ط : عرف.

حاضرين، فلما انتهى إلى قوله: «تُزْجِي أغَنَّ». قلت لجرير: تراه أىُّ شىءٍ يَستَلِبُ تشبيهاً. قال جريرُ:

..... قَلَّمٌ أصَابَ مِنَ الدَّواةِ مِدَادَهَا

فما رَجعَ الجواب حتى قال عدىّ:

..... قَلَّمٌ* أصَابَ مِنَ الدَّواةِ مِدَادَهَا

فقلت لجرير: كَأنَّ سَمْعَكَ مخبوءٌ تحت فُؤاده. فقال: إليكَ عنّى شَغَلَنِى سَبُّكَ عَن جيّد الكَلام.

وَالتَفسيرُ الخَفِىُّ: (١)

وهو أن ترى فى الكلام لبساً فتعمد بما يُوضحُهُ. قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِى اهْدِكُمْ سَبِيْلَ الرَّشَادِ. يَا قَوْمُ إِنَّمَا هٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِىَ دَارُ القَرَارِ. مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً﴾(٢) الآية أبهم «سَبِيْلَ الرَّشَادِ» ثُمَّ فسرها فافتتح بذم الدُّنيا، وتحقير شأنها، ثم ثنّى بنعم الآخرة، وتفخيم أمرها، ثم ثلّث بذكر الأعمال سيئها، وحَسَنِها كأنّه قال: سبيل الرَّشاد هو الإعراضُ عن الدُّنيا، والإقبالُ إلى الآخرة، والامتناع عن سيّء الأعمال والمُسارعةُ إلى صالحها.

وفائدة هذه الطريقة تفخيم أمر المبهم وإعظامُه للإجمال، والتفصيل، ومنه بابُ نعم وبئس. فإذا قلت: نعم الرجل، واللام للجنس توجّه المدحُ إلى زيد أولاً مُجملاً. ثُمَّ إذَا قلت: زيدٌ توجّه إليه ثانياً مُفصّلاً. فيتمكنُ فى الذهن فَضْل تمكُّنٍ وكذا نعم رجلاً زيدٌ.

---

(١) انظر الطراز ٣, ١١٤.

(٢) سورة غافر ٤٠/٣٨ ـ ٤٠.

* بداية ق ١٣٩ فى الأصل.

وباب التمييز مزالٌ عن أصله لتوخي الإجمال، والتفصيل ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾[1] سألَ ابنُ طاهر أحمد بن يحيى:[2] «مَا الهَلَعُ؟ فما زَادَ على التلاوة».

وَاللَّفُّ وَالنَّشْرُ:[3]

وهو أن تضمَّ مُتعدد ثُم تتبعَهُ ما لكُلّ (واحد) *منه من غير تعيين ثقة بأنَّ السَّامع يردُّ كُلاً منه إلى ما هو له، وهو على أقسام:

الأوّل: ما يجيءُ على الترتيب. قال تعالى ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾[4].

وقال أبو تمام:

«طويل»

وَمَا هُوَ إلاَّ الوَحْيُ، أو حَدُّ مُرْهَفٍ ... تُمِيلُ ظُبَاهُ أَخْدَعَيْ كُلِّ مَائِلِ

فَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ ... وَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ جَاهِلِ

وقال الآخرُ:

«المجتث»

لَيْلٌ وَبَدْرٌ وغُصْنٌ ... شَعْرٌ وَوَجْهٌ وَقَدُّ

خَمْرٌ وَدُرٌّ وَوَرْدٌ ... رِيقٌ وَثَغْرٌ وَخَدُّ

---

(١) سورة المعارج ٧٠/ ١٩ ـ ٢١.

(٢) جاء في الكشاف ٣/ ١٥٨: «وعن أحمد بن يحيى: قال لي محمد بن عبدالله بن طاهر: ما الهلع؟ فقلت: قد فسره الله، ولا يكون تفسير أبين من تفسيره».

(٣) انظر الإيضاح ص ٥٠٣ د. خفاجي.

(٤) سورة القصص ٢٨/ ٧٣.

* سقطت من ط.

والثانى: أن يجىء من غير ترتيب. قال محمد بنُ وُهَيْبٍ الحِمْيَرِىّ:

«طويل»

قَسَمْتَ صُرُوفَ الدَّهْرِ بَأْساً وَنَائِلاً
فَمَالُكَ مَوتُورٌ، وَسَيْفُكَ وَاتِرُ

وقال ابنُ حَيُّوسٍ [1]:

«خفيف»

كَيفَ أَسْلُو، وَأَنتَ حِقْفٌ، وَغُصْنٌ وَغَزَالٌ: لَحْظاً، وَقَدّاً، وَرِدْفَا؟؟

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [1]، والتقدير مَنامُكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار.

فَصَلَ بالقرينتين الأخيرتين الأوليين بإعانة اللَّف.

وقال تعالى (ب): ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عليهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [2].

والثالث: ما يجىء اللَّفُ تقديراً قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾ [3] فإنَّ الضمير فى «قالوا» لأهل الكتابين. فالتقدير وقالت اليهود، والنصارى لن يدخل الجنة إلاَّ من كان هُوداً أو نصارى، وقد يحذفُ أحد القرينتين من اللَّف لدلالة النَّشر عليه كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ

---

(١) سورة الروم ٣٠/٢٣.
(٢) سورة سبأ ٣٤/٩.
(٣) سورة البقرة ٢/١١١.
(أ) هو مصطفى الدولة أبو الفتيان محمد بن سلطان محمد بن حَيُّوس ترجمته فى وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ح/ ١٢، ومقدمة ديوانه / ٥ ، والبيت ليس فى ديوانه .
(ب) بداية ق ١٤٠ فى الأصل .

﴿كَسَبَتْ فِى إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[1] على رأينا إذ التقدير لا ينفع نفساً إيمانُها حينئذ أو كسبُها فى إيمانها خيراً، أو لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت فى إيمانها خيراً من قبل.

وقد يعتبر من حيث المفهوم كما فى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾[2]، فإنَّ مُجرد الانتقال، (والتغيير) من حال إلى حال يدلُّ على ناقلٍ، ومغيّرٍ عظيم القُدْرة. وكون ذلك الانتقال مُؤدياً إلى النفع العظيم من ابتغاء الفضل بالنهار والسكون بالليل يدلُّ على منعمٍ واسع النعمة، وهما يوجبان المعرفة والعبادة.

والجمعُ:[3]

وهو أنْ تجمع متعدّداً فى حكم واحدٍ قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[4].

وقال النبى ـ صلى اللهُ عليه وآله ـ : «من أصبَحَ آمنا فى سِرْبه مُعَافىً فى جَسَده عندَهُ قوتُ يومِه فكأنّما حِيزَت له الدُّنيا بِحَذَافِيرها»[4].

قال:

«رجز»

إنَّ الشَّبَابَ وَالفَرَاغَ وَالجِدَه مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَىُّ مَفْسَدَهْ

ومنه باب أحكام ذات العلتين كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِن الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾[5] والضمير عائد إلى معنى العلتين، وهما الجعلان المؤوَّلان بالتدبير المسبَّب عنه ذَرءُ الحيوان.

---

(١) سورة الأنعام ٦/١٥٨.

(٢) سورة الفرقان ٢٥/٦٢.

(٣) انظر الإيضاح ٥٠٥ بشرح د. خفاجى.

(٤) الحديث رواه ابن ماجة فى الزهد ٢/١٣٨٧، والترمذى فى الزهد ٤/٥ ولم يعزه المحقق لشئ من كتب الحديث.

(٥) سورة الشورى ٤٢/١١.

والتفريقُ:

وهو ايقاع تباين بين أمرين من نوع واحدٍ. قال أبو الفَرج:

«منسرح»

مَنْ قَاسَ جَدْوَاكَ بِالـــغَمَامِ فَمـــا أَنْصَفَ الحُكـــمَ بـــيـــنَ شكْلَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبـــــداً وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الـــــعَيْنِ

والتقسيم:

وهو أن تذكر متعدّداً، ثُمَّ تضيف إلى كُلٍ منها ما هو له قال:

«بسيط»

وَلاَ يُقـــيـــمُ عَلَى ضـــيْمٍ يُرَادُ بِهِ إِلاَّ الأَذَلاَّنِ عَيـــرُ الحـى والْوَتِـدُ
هَذَا عَلَـى الخَسْـفِ مَرْبُوطٌ بِرمّتِـــهِ وَذَا يُشـــجُّ فَلاَ يَرْثِى لَهُ أحـــدُ

وقال الآخر:(١)

«كامل»

شَيـــخَـــانِ لَوْ بكَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمَا عَيْنَـــاىَ حَتَّى تُؤذِنَـــا بِذَهَـــابِ
لَمْ يَبْلُغَـا الْمِعْشَارَ مِـنْ حـقـيـهـمـا فَقْدُ الشَّبَابِ، وفُرْقَـــةُ الأَحْبَـــابِ

وقال أبو الفتيان ابن حيُّوس:(٢)

«طويل»

ثَمانـــيَةٌ(٣) لَمْ تَفْتَـــرِقْ مُـــذْ جَمَعْتُهَـا
فَلا افْتَرَقَـــتْ مَا ذَبَّ (٤)عنْ نَاظِـرٍ شُفُـــرْ
ضَمِيرُكَ، وَالتَّقْـــوَى، وكَفُّكَ، وَالْغِـ
ـنَى وَلَفْظُكَ، وَالْمَعْنَى، وَسَيْفُكَ وَالنَّصْـــرْ

---

(١) البيتان فى (أ) كتبهما الناسخ ثم ضرب عليهما.
(٢) فى ديوانه ١/ ٢٤٢.
(٣) بداية ق ١٤١ فى الأصل.
(٤) ط : (ذ ل) وهو تصحيف.

وَالجمعُ معَ التفريق:

وهو أن تدخل شيئين فى معنىً واحد، ثُمَّ تُفرِّقَ بين جهتى الإدخال. قال البحترى:

«طويل»

ولَمَّا التَقَيْنَا والتَقَا مَوعِدٌ لَنَا تَعَجَّبَ رَائِى الدُّرِّ مِنَا ولاقطه
فَمِنْ لؤلؤٍ تَجْلُوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِها وَمِنْ لُؤْلُؤٍ عِنْدَ الحَدِيثِ تُسَاقِطُهْ

وقال مروان بن أبى حفصة:

«طويل»

تَشَابَهَ يومَاهُ عَلَيْنَا فَأشْكَلاَ فَمَا نَحْنُ نَدْرِى أىُّ يَومَيهِ أفْضَلُ
أيَوْمُ نَدَاهُ الغَمْرُ أَمْ يَوْمُ بَأْسِهِ وَمَا مِنْهُمَا إلاَّ أغَرُّ مُحَجَّلُ

وقال الفخر عيسى:

«طويل»

تَشَابَهَ دَمْعَانَا غَدَاةَ فِرَاقِنَا مَشَابَهَةً فى قِصَّةٍ دُون قِصَّةِ
فَوجْنَتُها تَكْسُو المَدامِعَ حُمْرَةً وَدَمْعِى يَكْسُو حُمْرَةَ اللَّونِ وَجْنَتِى

وعليه قوله تعالى: ﴿**الله يتوفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوْتِها وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنامِهَا فَيُمسِكُ الَّتِى قَضَى عَلَيْها المَوْتَ وَيُرسِلُ الأُخْرَى**﴾[1] جمع النفسين فى حكم التوفى ثُمَّ فَرَّق من جهتى التوفى بالحكم بالإمساك[2]، والإرسال أى الله يتوفَّى الأنفس: النفسَ التى تقبَضُ، والنفس التى لم تُقبض، فيُمسك الأولى، ويُرسل الأخرى.

---

(١) سورة الزمر ٣٩/ ٤٢.

(٢) ط: الإمساك.

والجمع مع التقسيم:

وهو أن تجمع متعدّداً وتقسّمَ.

قال أبو الطيب:

«بسيط»

حَتَّى أقـــام عَلَى أرْبَاضِ خَرْشَـــنَةٍ تَشْقَى بِهِ الرُّوم وَالـصُّلبَانَ والبـــيعُ
لِلسَّبى مَا نـكحـــــوا وَالـقَتْلِ مَا وَلَدُوا وَالنَّهْبِ مَا جَمَعُوا وَالـنَّارِ مَا زَرَعُوا

جـمع أولاً شقـاءَ الروُم بالمـدوح، ثم قسَّم ثانيـاً وفـصَّله، وفى عكـه قـول حسَّان:

«بسيط»

قَوْمٌ إذَا حَارَبـُوا ضـــرُّوا عَدُوَّهـــمْ أوْ حَاوَلُوا الـنَّفْعَ فـى أشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّـةٌ تِلْكَ مِنْهـُمْ غَيْرُ مُحْدَثَـــةٍ إنَّ الْخَلائِقَ فـاعْلَمْ شـــرُّهَا الْبِـدَعُ

قَسَّمَ أوّلا صفة المـدوحين إلى ضرّ الأعداء، ونفـع الأولياء، ثم جمعـهما فى قوله: «سَجِيَّةٌ».

ومن الجمع التـقديرى مع التقسيم قـوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أنْ يَكُونَ عَبْداً لله وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إلَيْهِ جَمِيعاً. فأمّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ﴾[1] إلى قوله: ﴿وَأمَّا الَّذِيـنَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ﴾[2] فحـذف فى الجمع ذكـر المؤمنين أى من يسـتنكف، ومن لم يستنـكف فيحـشُرُهم لدلالة التقسيم عليه.

---

(١) سورة النساء ٤/ ١٧٢ ـ ١٧٣.

(٢) سورة النساء ٤/ ١٧٣.

ومن التقسيم التقديرى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] الآية. فذكر جزاء المؤمن ولم يذكر جزاءُ الكافر.

وقريبٌ منه قولُه تعالى: ﴿ونَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾[2] أى افُوا علينا مما رزقكم* اللهُ من الطعام كقوله:

«رجز»

عَلَفْتُهَا تِبْناً ومَاءً بَارِداً

وقول عُروة:

«طويل»

عَجِبْتُ لَهُمْ إِذْ يَقْتُلُونَ نُفُوسَهُمْ ومَقْتَلُهُمْ عِنْدَ الوَغَى كَانَ أَعْذَرَا

فإن قيد الوغى يدلُّ على السِّلم فى المشطور الأوَّل.

الجَمْعُ معَ التَّفْرِيق وَالتقسيم:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ. فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ. خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ. وأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ﴾[3].

والتفريق قولُهُ: ﴿شَقِيٌّ وَسَعِيد﴾، والتقسيم قولُهُ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ... وأَمَّا الَّذِينَ....﴾.

---

(١) سورة النساء ٤/ ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٢) سورة الأعراف ٧/ ٥٠.

(٣) سورة هود ١١/ ١٠٥ ـ ١٠٨.

* بداية ق ١٤٢ فى الأصل.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1] فالجمع ﴿الْكِتَاب﴾ والتفريق: ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ.. وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[2] والتقسيم: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ﴾[3] الآية فلا بُدَّ من جعل: ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾[4] قَسِيماً له لأنَّ التقسيم حاصرٌ، ولَمَّا حُذِفَ أمَّا حُذف ما يقتضيه من الفاء، وهذا يُؤذنُ بأنَّ الوقف على ﴿إِلاَّ اللهُ﴾[5] تامٌ، وإليه ذهب أبو حاتم[6] والمحققون. وقال إبراهيم بن العباس:

«طويل»

لَنَا إبلٌ كُومٌ يَضِيقُ بِهَا الفَضَا ... وتَفْتَرُّ عنهَا أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا

فَمِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا ... ومِنْ دُونِنَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُهَا

حِمىً وَقِرًى فَالْمَوتُ دُونَ مَرَامِهَا ... وَأَيْسَرُ خَطْبٍ يَوْمَ حُقَّ فِنَاؤُهَا

وقال ابن شَرَفٍ القيروانيُّ:

«طويل»

لِمُخْتَلِفِ الحَاجَاتِ جَمْعٌ بِبَابِهِ ... فَهَذَا لَهُ فَنٌّ، وهذا لَهُ فَنُّ

فَلِلْخَامِلِ العَلْيَا وَلِلْمُعْدِمِ الغَنَى ... وَلِلْمُذْنِبِ العُتْبَى وَلِلْخَائِفِ الأَمْنُ

وقال ابن نباتة:

«وافر»

وَكَمْ لِلَّيْلِ عِنْدِى مِنْ نُجُومٍ ... جَمَعْتُ الشَّتَّرَ مِنْهَا فِى نِظَامِ

عِتَاباً أَوْ نَسِيباً أَوْ مَدِيحاً ... لِخِلٍّ أَوْ حَبِيبٍ، أَوْ هُمَامِ

(١، ٢، ٣، ٤) سورة آل عمران ٣/٧.

(٥) سورة آل عمران ٣/٧ وانظر الكشاف ١/٤١٣ «ومنهم من يقف على قوله: «إلاَّ الله». ويبتدئ «والراسخون».

(٦) ابو حاتم: هو أبو سهل بن محمد بن عثمان السجستانى (انظر بقية الوعاة ١/٦٠٦/٦٠٧.

ومن الجمع بالاشتراك اللَّفظى قول التَّهامى:

أَلَمَّتْ وَفِى جَفْنِى، وَفِى جَفْنِ مُنْصِلٍ ... عَلَى غَرَارَانِ ذَا سَيْفٌ وَذَاكَ رُقَادُ

وقد يُطوى فى التقسيم أحد القسمين لدلالة الجمع والتفريق[1] عليه كقوله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ﴾[2] إلى قوله: ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾[3]. وقوله: ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً. دَرَجَاتٍ مِنْهُ﴾[4].

جمع القاعدين من المؤمنين مع المجاهدين فى عدم المساواة، ثم قسم القاعدين إلى أولى الضرَّر، وغير أولى الضرَّر. وطوى ذكر أحد القسمين، ثم فرق بين جهتى نفى المساواة فى التقسيم بتفضيل المُجاهدين درجةً ودرجاتٍ.

وَالجَمْعُ مَعَ التَّقْسِيمِ مَعَ الجَمْعِ:

قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ﴾[5]. جمع أولاً الماء والفلزَّ فى حكم كونهما جامعين لما يُنتفع به ولما لا يُنتفع به، ثم فصل ثانياً حكم كل من اللَّذين لا نفعَ فيهما على طريق الجمع فىْ الذَّهاب. وكل من المنتفعين بهما فى المكث.

---

(١) فى ط فصل بين الجمع والتفريق بفاصلة وهو خطأ.

(٢، ٣، ٤) سورة النساء ٤/٩٥ ـ ٩٦.

(٥) سورة الرَّعد ١٣/١٧.

* بداية ق ١٤٣ فى الاصل.

تذييل:

وقد يُطلقُ التقسيمُ على أمرين:

أحدهما: أن يذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كُل حال ما يليق بها قال العبَّاسُ ابن الأحنف:

«طويل»

وصَالُكُمُ هَجْرٌ وحُبُّكُمُ قِلًى وعَطْفُكُمُ صَدٌّ وسِلْمُكُمُ حَرْبُ

قال الغانميُّ: [هذا والله أصحُّ من تقسيمات أُقليدس].

قال ابن الأثير:(١) [هذا ليس من التقسيم فى شيء، إذْ لو قال أيضاً:(٢)

«طويل»

ولَيْنُكُمُ عُنْفٌ وقُرْبُكُمُ نَوًى وإعْطَاؤُكُمُ مَنْعٌ، وصِدْقُكُمُ كِذْبُ

إلى غير ذلك لجازَ، والأولى أن يُضاف هذا إلى باب المُطابقة أو التفويف].

وقال أبو الطيّب:

«بسيط»

فنَحْنُ فى جَذَلٍ، والرومُ فى وجَلٍ والبَرُّ فِى شُغُلٍ، والبَحْرُ فِى خَجَلِ

وقال:

ثِقَالٌ إذَا لاَقَوا خِفَافٌ إذَا دُعُوا كَثِيرٌ إذَا شَدُّوا قَلِيلٌ إذَا عُدُّوا

«قال ابن الأثير»: ومن فساد هذا النوع قولُ البُحترى:

---

(١) قول ابن الأثير فى المثل السائر ٢/٣٠٨. والبيت له فى ٢/٣٠٨.

(٢) ١ ، ٢.

(٣) ط : عذفٌ والصواب ما أثبتناه.

قِفْ مَشُوقـــاً، أوْ مُسْعَداً، أوْ حَزِينـاً أوْ مُعِينـــاً، أوْ عـــاذِراً، أوْ عَذُولا

فإنَّ المَشُوقَ، والمُسعد يكونان حزيناً، ومُعيناً، وكذلك يكون المُسعدُ عاذراً.

وثانيهما: استيفاء أقسام الشئ بالذكر قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنـــا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[1].

وقال تعـالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجـــاً ثَلَاثَةً. فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[2] والآيتان سيَّان فى الاستيفاء.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾[3] إذا أُريد بالوصفين العـموم. و(أوْ) للتنويع أى لا تُطِعْ منهم راكِبـاً لما هو اثمٌ، أو فاعـلاً لما هو كُفْرٌ، فالتقسيم باعتبار ما يدعونه إليه لأنَّ ترتب النهى على الوصفين مشعرٌ بأنَّه لأجلهما، وأنَّ مطاوعتهما فى غيرهما غير محظور.

وأما لو أُريدَ بهما عُتْبة، والوليدُ[4]. و(أوْ) للإباحَة[5]، وكان النهى لما فيهما من رذائل الأخلاق[6] فلا لأن العمل بالمفهوم فى مـثل ذلك مهجورٌ ولكن يلزم الحظر عن طاعة كل واحد، وعن طاعتهما معاً بالطَّريق الأولى وإليه لَمَّح جارُ الله بقوله: «وإذا قيل: لا تُطِع أحدهما عُلم أن الناهى عن طاعة أحدهما عن طاعتهما جميعاً أنهى»[7]..

---

(١) سورة فاطر ٣٥/ ٣٢.

(٢) سورة الواقعة ٥٦/ ٧ ـ ١١.

(٣) سورة الإنسان ٧٦/ ٢٤.

(٤) قال الزمخشرى فى الكشاف ٤/ ٢٠٠: «وقيل الآثمُ عتبة والكفور الوليد..».

(٥) فى (ط) جعلها نهاية الفقرة، وفصلها عمّا بعدها، وحقها أن تكون موصولة بما بعدها.

(٦) أى فلا يكون من باب التقسيم الحاصر.

(٧) الكشاف ٤/ ٢٠٠.

فعلى هذا في قولك: جالس الحسَنَ، أو ابن سيرين، أمرٌ بالْمُجالسة لما فيهما من الخصائل المرضيَّة، والخِلال (والأخلاق) الحميدة فليتدبر.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرقَ خَوْفاً وطَمَعاً﴾[1] فإنَّ الناس عند شَيْم البَرْق بين خائف وطَامِع. وقال الشاعر:

أَظَلَّتْ[2] عَلَيْنَا مِنْكَ يَوْماً غَمَامَةٌ أَضَاءَ لَنَا بَرْقٌ وأبطَا رَشَاشُهَا

فَلاَ غَيْمُهَا يَجْلَى فَيَأْسَ طَامِعٌ وَلا غَيْثُهَا يَهْمِي فَيُروَى عِطَاشُهَا

وقف أعرابيٌّ في مجلس الحسن وقال: [رَحِمَ اللهُ مَنْ تَصَدَّقَ مِنْ فَضْلٍ، أَوْ آسَى مِنْ كَفَافٍ، أو آثَرَ مِنْ قُوتٍ]. فقال الحسَنُ: [ما تَرَكَ لِذي عُذْرٍ عُذْراً] قال يزيد:

«طويل»

تَمَتَّعْ[2] مِنَ الدُّنْيَا بِسَاعَتِكَ الَّتِي ظَفَرْتَ بِهَا مَا لَمْ تَعُتْكَ العَوَائِقُ

فَلا يَوْمُكَ الْمَاضِي عَلَيْكَ بِعَائِدٍ وَلاَ يَوْمُكَ الآتِي بِهِ أَنْتَ وَاثِقُ

والتضمين:[3]

وهو أن يُضمِّن الشعرُ من شعر الغير، والشَّرط أنْ يكون المضمَّنُ به مشهوراً، أو مُشاراً إليه. وهو على ضروب:

الأول: أنْ يكون المضمَّن به تمام البيت قال ابن العميد:

«بسيط»

وَصَاحِباً كُنْتُ مَغْبُوطاً بِصُحْبَتِهِ فَاليَومَ غَادَرَنِي فَرْداً بِلاَ سكَنِ

---

(١) سورة الرعد ١٣/١٢.

(٢) بداية ق ١٤٤ في الأصل.

(٣) انظر الإيضاح ص ٥٧٥ ـ ٥٨٢.

* سقطت من (أ).

هَبَّتْ لَهُ ريحُ إقْبَالٍ، فَطَارَ بِهَا نَحْوَ السُّرُورِ، والجَانِي إلى الْحَزَنِ
كَأَنَّهُ كَانَ مَطْوِيّاً عَلَى إحَنٍ وَلَمْ يَكُن مِنْ ضُرُوبِ الشِّعْرِ أَنْشَدَنِي
إنَّ الكِرام إذا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي المَنْزِلِ الخَشِنِ».

وقال الآخر:

«كامل»

لَمَّا تَبَدَّلَتِ الْمَجَالِسُ أَوْجُهاً غَيْرَ الَّذِينَ عَهِدْتُ مِن عُلَمَائِهَا
وَرَأَيْتُهَا مَحْفُوفَةً بِسِوَى الأُلَى كَانُوا ولاَةَ صُدورِهَا وفَنَائِهَا
أَنْشَدْتُ بَيْتاً سَائِراً مُتَقَدِّماً وَالعَيْنُ قَدْ شَرِقَتْ بِجَارِي مَائِهَا
أَمَّا الخِيَامُ فَإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ وَأَرَى نِسَاءَ الحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا

والثانى: أنْ يكونَ المُضمَّنُ به مصراعاً. قال بعضُهم:

«كامل»

قَدْ قُلْتُ لَمَّا أَطْلَعَتْ وَجَنَاتُهُ حَوْلَ الشَّقِيقِ الغَضِّ رَوْضَةَ آسِ
أَعْذَارُهُ السَّارِي العَجُولُ تَرَفُّقاً «مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعَةٌ مِنْ بَاسِ»

ضَمَّنَ (المصراع الأخير) من[1] قول أبى تَمَّام:

«كامل»

مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعَةٌ مِنْ بَاسِ نَقْضِي ذِمَامَ الأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ

وكتب الصَّاحبُ بهاءُ الدين الجوينى إلى ابنه عطا ملك:

(١) ليست فى (ط) فى الأصل (س) والإضافة من (هـ)، وفى (ع) (ضمن مصراع الأخير) كما أثبته محقق ط فى الهامش.(ا).

«وافر»

عَطَــا مَلِكٍ فَدَيْتُـكَ إنَّ شَـــــوقِى إليكَ يَسُومُنى الأَجْجَــانَ سَوْمَـــا
مَطَايَــا طَاقَتِى قَدْ صَــرِنَ عَجْــفَى وَأَضْحَــتْ نَاقَةُ الــبُرَحَاءِ كَوْمَـــا
فَلَوْ أَنِّى احتَظَيْتُ بِعَــيــــدِ قُرْبٍ نَذَرْتُ الدَّهْرَ لِلرَّحْمَـــانِ صَــوْمَا
وَهَا أَنَا مُنْشِــدٌ شَوْقــاً وَوَجْــداً عَسَى الأَيَّامُ أَنْ يَرْجِعْــنَ قَــومَا

وقال صاحب التحبير:[1] وقد ضمَّن المصراعين الأخيرين «من قول المتنبى»:

«طويل»

إذَا الــوَهْمُ أَبْدَى لِى لَمَاهَا وَثَغْرَهَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الــعُذَيْبِ وَبَارِقِ
يُذَكِّــرُنِى مِــنْ قَدِّهَــا وَمَدَامِعِــى مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى الــسَّوَابِقِ

وقال الطَّرَقِىُّ:

«طويل»

يَنِى خَضْرُهُ عَنْ رِدْفِهِ مُتَنَاهِضــاً «إذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ»

وقال:

«الوافر»

وَفَــرَعٍ كَانَ يُوعِدُنِى بِأَسْــرٍ وَكَادَ الــقَلْبُ يَسْلُبُهُ الــقَرَارُ
فَنَادَى وَجْــهُهُ لاَ خَوْفَ وَاسْكُــنْ «كَلاَمُ اللَّيْــلِ يَمْحُوهُ النَّهَــارُ»

والثالث: أن يُضمَّن بعضٌ من المِصرَاع قال:

«بسيط»

[2] إذَا مَرَرْتُ بِدَارٍ كُنْــتَ سَاكِنَهَــا وَجَدْتُ فِى الــقَلْبِ مِنْ ذِكْرَاكَ أَحْزَانَا

(١) صاحب كتاب تحرير التحبير وهو عبدالعظيم بن عبدالواحد بن ظافر.
(٢) بداية ق ١٤٥ فى الأصل.

وَإِنْ حَلَلْتُ مَكَانًا كَانَ يَجْمَعُنَا ... سَالَتْ بُنُو مُوسَى «زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا»*

والاقتباس:(١)

وهو أنْ يُوشحَ الكَلاَمْ بشئ من القُرآن، أو الحديث أو الفقه لا عَلَى أنّه منه.

فمن الأوّل قول ابن نَبَاتة فى خطبته: «فَيَا أَيّتُهَا الغَفَلَةُ الْمُطْرِقُونَ. أما أَنْتُمْ بهذا الحديث مُصدِّقونَ؟ مَا لَكُم لاَ تُشفقُونَ؟! «فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ». وقال:

«طويل»

إِذَا رُمْتُ عَنْهَا سَلْوَةً قَالَ شَافِعٌ ... مِنَ الْحُبِّ مِيعَادُ السُّلُوِّ الْمَقَابِرُ
سَتَبْقَى لَهَا فِى مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا ... سَرِيرَةُ وُدٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ

وقال الآخر:

«طويل»

نَوَاطِقُ بِالتَّوحِيدِ آيَاتُ حُسْنِهِ ... وَمِن وَجْهِهِ دَوَاعٍ إِلَى الشِّرْكِ
كَأَنَّ عَلَى ذَاكَ الْمُقَبَّلِ خَالَهُ ... خِتَامٌ عَلَى صَافِى الرَّحِيقِ مِنَ الْمِسْكِ

وقال ابن الحجّاج

«سريع»

يَا خَالِقَ الْعَرْشِ حَمَلْتَ الْوَرَى ... لَمَّا طَغَى الْمَاءُ عَلَى الْجَارِيَةْ
عَبْدُكَ هَذَا قَدْ طَغَى مَاؤُهُ ... يَا رَبِّ فَاحْمِلْهُ عَلَى الْجَارِيَةْ

وقال الصاحبُ عطا مَلِك:

يَا طَاقَةَ شَعْرَةٍ بِرَأْسِى انْشَبَتْ ... بَيْضَاءَ نَضَّارَتِى بِهَا ذَهَبَتْ

---

(١) بداية ق ٩٧ فى الأصل، وانظر فى تعريف الاقتباس: الإيضاح ٥٧٥ بشرح د. خفاجى.

* ضمنَ بيته قول قريط بن أنيف

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهُمُ ... طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا

انظر ديوان حماسة أبى تمام/ ٢٩.

يَا واحـــــــــدةً سَوَادَ قَوْمٍ نَهَبَتْ كَمْ مـــنْ فِتْـــةٍ قَلِيلَةٍ قَدْ غَلَبَتْ

[وقيل فى أبى على الدامغانىّ حين عُزل:

«الوافر»

وَقَالُوا: الـعَزْلُ لِلْعـــــمَّالِ حَيْضٌ لَحـــــاهُ اللهُ مِنْ حَيْضٍ بَغِيـــــضِ
فَإن يَكُ هكـــــذا فَأَبـــو عَـلِيٍّ مَنَ «الـلائى يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيـــضِ»*

ومن الثانى: قول الصَّاحِب:

«مجزوء الرمل»

قَالَ لِى: إِنَّ رَقَـــــيـــــبِى سَـيِّءُ الْخُلـــــــــــــقِ قَذَارَهْ
قُلْـتُ: دَعْنِى؛ وَجَـــــــهُكَ الْـ ـجَنَّةُ «حُفَّـــــتْ بِالْمَكَـــارِهْ»

وقد (اقتبس من قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم:(١) [حُفَّتْ الجَنَّةُ بالمكَاره].

وقال أيضاً:

«وافر»

أَقُولُ وَقَدْ رَأَيـــــتُ لَهُ سَحَابـــاً مِـــنَ الْهِجـــرَانِ مُقْبِلـــــةً إِلَيْنَا
وَقَدْ سَحَّتْ عَزَالِيـهـا بِهَطـــــلٍ حَوَالَيْنـــــا الصـــدُودُ وَلاَ عَلَيْنـــا

من قوله ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ حين استسقى، ومطر مطراً عظيماً: «اللهم حوَالَينَا وَلاَ عَلينا».(٢).

ومن الاعتبارين قول الصّاحب عميدُ الدّين:

(١) الحديث فى البخارى فى الرقاق ٤/ ٩٠، ومسلم فى الجنة ٤/ ٢١٧٤، والترمذى ٤/ ٩٧، ولم يعزه المحقق إلى شئ من ذلك.
(٢) الحديث فى البخارى كتاب الإيمان/ ٣٩، والبيوع/ ٣، وأبى داود فى البيوع / ٣، والترمذى فى البيوع/ ١، والنسائى فى البيوع/ ٣
* ما بين المعكوفتين من حاشية (س).

«بسيط»

وَمُقْلَتِي مُقِلَتْ غَرْقَى ذُبابتُهـا جـزاءَ مَا وَقَعَـتْ فِى كَأْسِ حَدْبَـاءِ

أمّا الحديثُ فمن قول ـ صلوات الله عليه وآله:(١) [إذَا وَقَعَ الذُّبابُ فى إنَاءِ أحَدكُمْ فَامقُلُوه]. وأمّا الاية فمن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أزْوَاجاً﴾(٢).

وأمَّا الحَدْباءُ ـ كِنايةٌ عن الدُّنيا ـ فقد وردت فى بعض كلام الأنبياء.

ومن الثالث ما روى عن الشافعى (ـ رحمة الله عليه* ـ أنّه قال):

«طويل»

خـذوا بِدَمِى ذَاكَ الغـزال(٣) فَإنَّـهُ رَمَانِى بِسَهْـمَىْ مُقْلَتَيـهِ عَلَى عَمـدِ

وَلاَ تَقْتُلُـوهُ إنَّنِى أنا عَبْـدُهُ وَفِى مَذْهَبِى لايُؤخَذُ الحُرُّ بالعَبْدِ

وقال الآخر:

«طويل»

تَمَتَّعْتُمَا ـ يَا نَاظِرَىَّ ـ بِنَظْـرَةٍ فَأوردتُمَا قَلبِى أمَرَّ المَوَارِدِ

أعَيْنَىَّ: كُفَّا عَن فُؤادِى فَإنَّهُ من البَغْيِ سَعْىُ اثْنَينِ فى قَتْلِ وَاحِدِ

وقال الغَزِّىُّ:(٤)

---

(١) الحديث رواه البخارى ٧/ ١٨١ ط الشعب، وأبو داود فى سننه ح/ ٣٨٤٤ والنسائى فى سننه ٧/ ١٧٩ وابن ماجة فى سننه فى الطب/ ٣٧، وأحمد فى مسنده ٢/ ٢٢٩، وابن خزيمة/ ١٠٥، والبيهقى ١/ ٢٥٢.

(٢) سورة الحجر ١٥/ ٨٨.

(٣) فى هـ (ز) خذى بدمى ذاك الغلام، وما اثبتناه من أ و(ط) وهو أليق، وهو هكذا حسب رواية (ط) عن أنوار الربيع ٢/ ٢٦٦ وهو ينقل عن الطيبى.

(٤) الغزّىُّ : هو إبراهيم بن عثمان بن محمد الكلبى أبو إسحاق المتوفى ٥٢٤ هـ ترجمته فى مرآة الزمان ٨/ ١٣٣.

* بداية ق ١٤٦ فى الأصل، وفى ط (رضى الله عنه).

«كامل»

إنْ يكْرهُوا نَظْمَ القَريضِ فَعُذْرُهم ... بادٍ كَحَاشِيَةِ الرِّدَاءِ الْمُعْلَمِ
هُمْ مُحرِمونَ عَنِ الْمَنَاقِبِ وَالعُلى ... وَالشِّعْرُ طيبٌ لاَ يحِلُّ لِمُحرِمِ

والعقد:(١)

وهو أنْ يُنظم نثرٌ إمّا قرآن، أو حديث، أو أثر، أو حكمة. فمن الأول ما رَوَى ابن الضَّحَاك أنَّ أبا نواس سَمعَ صبياً يقرأ: ﴿**يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا**﴾(٢)، فقال فى مثل هذا يجئ صفةُ الخمر حسنةً ثُمَّ قال:

«طويل»

وَسَيَّارةٍ ضَلُّوا عَنِ الْقَصْدِ بَعْدَمَا ... تَرَادَفَهُمْ جِنحٌ مِن اللَّيْلِ مُظْلِمُ
فَلاَحَتْ لَهُمْ مِنَّا عَلَى النَّأْى قَهْوَةٌ ... كَأَنَّ سَنَاهَا ضَوْءُ نَارٍ تَضَرَّمُ
إِذَا(٣) مَا حَسَوْنَاهَا أَنَاخُوا مَكَانَهُم ... وَإِنْ مُزِجَتْ حَثُّوا الرِّكَابَ وَيَمَّمُوا

فحدَّثتُ محمد بن الحسين فقال: لاَ وَلاَ كَرَامةَ بل أَخَذَهُ مِنْ قوله:

«طويل»

وَلَيْلٍ بَهِيمٍ كُلَّمَا قُلْتُ غُوِّرَتْ ... كَوَاكِبُهُ عَادتْ فَمَا تَتَزَيَّلُ
بِهِ الرَّكْبُ إِمَّا أَوْمَضَ البَرْقُ يَمَّمُوا ... وَإِن لَمْ يَلُحْ فَالقَومُ بِالسَّيرِ جُهَّلُ

وقال الآخر:

«بسيط»

سَرَقْتُ بالنَّوم وَصْلاً مِنْ خَيَالِكُمْ ... فَصَارَ نَوْمِي مَقْطُوعاً عَلَى السَّرِقِ

---

(١) انظر الإيضاح بشرح د. خفاجى ص ٥٨٤.
(٢) سورة البقرة ٢/ ٢٠.

وقال أبو العلاء فى الدُّرْعيَّات:

«طويل»

وَجُندَ سُلَيْمَانٍ رَأَى السَّيْفُ حَوْلَهَا ... فَحَاذَرَ نَملٌ دَبَّ فِيهِ مِنَ الحَطْمِ
يَرَى السَّيْفُ دُونَ القِرْنِ من حَلَقَاتِهَا ... عَلَى دِقَّهَا مَا دونَ يَاجُوجَ مِن رَدْمِ

وقال ابن النَّبيه فى الملك الصَّالح:

«بسيط»

دِمْيَاطُ طَورٌ[1] وَنَارُ الحَرْبِ مُسْعِرَةٌ ... وَأَنْتَ مُوسَى وَهَذَا اليَوْمُ مِيقَاتُ
فَاطْرَحْ عَصَاكَ تَلَقَّفْ كُلَّ مَا صَنَعُوا ... وَلاَ تَخَفْ مَا حِبَالُ القَوْمِ حَيَّاتُ

وكان أهل دمشق يظنّون أنَّ الكامل محمَّداً يلى بعد المُعظم عيسى فُولىَ الأشرفُ مُوسى.

«طويل»

قال ابن عُنين:

[2]وَكُنَّا نُرجِّى بَعْدَ عِيسَى مُحَمَّداً ... لِيَكْشِفَ عَنَّا شِدَّةَ الضُّرِّ وَالبَلْوَى
فَأَوقَعَنَا فى التِّيهِ مُوسَى فَكُلُّنَا ... حَيَارَى وَلا مِنَّ هُنَاكَ وَلاَ سَلْوَى

وقال ابن مطروح:

«طويل»

وَذَا يَا كَلِيمَ الشَّوقِ وَادٍ مُقَدَّسٌ ... لِذى الحُبِّ فَاخْلَعْ لَيْسَ يَمْشِيهِ مُحْتَذِى
وَقَفْنَا وَسَلَّمْنَا عَلَى كُلِّ مَنْزِلٍ ... تَلَذَّذُ فِيهِ العَيْنُ أَىَّ تَلَذُّذِ

ومن الثانى قول الشَّافعىّ:

---

(١) هكذا فى حاشية (أ) و(ط) طور، وفى أصل (أ) (ع) (مصر).

(٢) بداية ق ١٤٧ فى الأصل.

«خفيف»

عُمْدَةُ الخَيْرِ عِنْدَنَا كَلِمَاتٌ ... أَرْبَعٌ قَالَهُنَّ خَيْرُ البَرِيَّهْ

اتَّقِ الْمُشْبِهَاتِ وَازْهَدْ وَدَعْ مَا ... لَيْسَ يَعْنِيكَ وَاعْمَلَنَّ بِنِيَّهْ

عقد قوله ـ صلواتُ الله عليه: «الحَلالُ بيِّن، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ وبينَهُمَا مُشْتَبِهات»[1]، وقوله: «وازهَدْ فى الدّنيا يُحِبَّكَ اللهُ»،[2] وقوله: «مِنْ حُسْنِ إسلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيه»[3] وقوله: «إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَات»[4].

ومن الثالث قولُ المأمُون فى رَسُولٍ بَعَثَهُ إلى المحبُوبَة:

بَعَثْتُكَ مُشْتَاقاً فَفُزْتَ بَنَظْرَةٍ ... وَأَغْفَلْتَنِى حَتَّى أَسَأْتُ بِكَ الظَّنَّا

وَرَدَّدْتَ طَرْفاً فى مَحَاسِنِ وَجْهِهَا ... وَمَتَّعْتَ باسْتِمْتَاعِ نَغْمَتِهَا أُذْنَا

أَرَى أَثَراً مِنْهَا بِعَيْنِكَ لَمْ يَكُنْ ... لَقَدْ سَرَقَتْ عَيْنَاكَ مِن وَجْهِهَا حُسْنَا

عَقَدَ قول عثمان (رضى الله عنه) لأَنَس، وكان قد وقعت عينُهُ على امرأة: «أَرَاكُم تَدْخُلُونَ عَلَىَّ وَآثار الزِّنَا عَلَيْكُم».

قَالَ: أَوْحَىٌ بعد رسُول الله ـ صَلى الله عليه وآله وسلم ـ ؟! قال: لاَ، وَلَكِنْ فِرَاسَةٌ صَادِقَةٌ، قال[5] الباقر:

---

(١) ـ حديث صحيح أخرجه الستة انظر البخارى فى الإيمان/ ٣٩، والبيوع/ ٣، وأبوداود فى البيوع/ ٣، والترمذى فى البيوع/ ١، والنسائى فى البيوع/ ٣ وانظر تخريجه عند المناوى ٦/ ١٢ . وصححه الألبانى فى صحيح الجامع/ ٥٩١١، وعزاه إلى الترمذى وابن ماجة وأحمد والطبرانى والحاكم فى الكنى والطبرانى في الأوسط، وابن عساكر من طرق عنهم وخرجه الألبانى أيضا فى الروض النضير ٢٩٣ - ٣٢١، وفى شرح العقيدة الطحاوية ٢٦٨- ٢٤٥.

(٢) حديث صحيح رواه ابن ماجة فى الزهد/ وخرجه الشيخ الالبانى فى الصحيحة/ ٩٤٤ وفى صحيح الجامع/ ٩٢٢ . وعزاه إلى ابن ماجة والكبير للطبرانى والحاكم والبيهقى فى شعب الإيمان.

(٣) الحديث فى ابن ماجة (فتن) / ٣ وفى المناوى ٦/ ١٢، والترمذى (زهد) / ١١ وفى أحمد بن حنبل ١/ ٢٠١.

(٤) الحديث، وفى البخارى بدء الوحى/ ١، إيمان/ ٤١، عتق / ٦، مناقب الأنصار / ٤٥، والحديث مشهور أخرجه الستة وغيرهم.

(٥) ط: قول.

«المنسرح»

عَجِبْتُ مِنْ مُعْجَبٍ بِصُورَتِهِ ... وَكَانَ مِنْ قَبْلُ نُطْفَةً مَذِرَهْ
وَفِي غَدٍ بَعْدَ حُسْنِ صُورَتِهِ ... يَصِيرُ فِي الأَرْضِ جِيفَةً قَذِرَهْ
وَهُوَ عَلَى عُجْبِهِ وَنَخْوَتِهِ ... مَا بَيْنَ ثَوْبِيهِ [1] يَحْمِلُ العَذِرَهْ

عقد قول علي ـ رضي الله عنه ـ [2]: [مَا لابنِ آدَمَ وَالفَخْرَ وَإِنَّمَا أَوَّلُهُ نُطفةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ].

وقال الآخر:

«بسيط»

يَا صَاحِبَ البَغْيِ إِنَّ البَغْيَ مَصْرَعَةٌ ... فَارْبَعْ؛ فَخَيْرُ فَعَالِ المَرْءِ أَعْدَلُهُ
فَلَو بَغَى جَبَلٌ يَوْماً عَلَى جَبَلٍ ... لانْدَكَّ مِنْهُ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ

عَقَد قول ابن عباس: [لَوْ بَغَى جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَدُكَّ البَاغِي] ومن الرابع قولُ الشّاعر:

«سريع»

أَصْلِي وَفَرْعِي فَارَقَانِي مَعاً ... وَاجْتُثَّ مِنْ حَبْلِهِمَا حَبْلِي
فَمَا بَقَاءُ الغُصْنِ فِي سَاقِهِ ... بَعْدَ ذَهَابِ الفَرْعِ وَالأَصْلِ

[3]عقد قول الحكيم: [لَقَدْ مات[4] أبوك، وَهُوَ أَصْلُكَ، وابنُكَ وَهُوَ فَرْعُك، فما بقاءُ شجرةٍ ذَهَبَ أَصْلُها، وَفرعُها؟!

---

(١) «جنبيه» في أنوار الربيع ٦/١/٣٠١.

(٢) «رضي الله عنه» في (ع).

(٣) بداية ق ١٤٨ في الأصل.

(٤) ط: بات.

وقول الآخر:

«طويل»

أَلَمْ تَـرَ أَنَّ الْـمَـرْءَ يُزْرِى يَمِـيـنَهُ فَيَقْطَعُهَـا عَمْـداً لِيَسْلَمَ سَايِـرُه

عقد قول من سُئل: لِمَ تقطع أخاك، وهو شقيقُك؟ فقال: إنّى لأقطعُ العُضو النَّفِيسَ مِنْ جَسَدِى إذَا فَسَدَ.

وقول أبى العتاهية:

«وافر»

كَفَى حَزَنـاً بِدَفْنِـكَ ثُـمَّ إنِّـى نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْـرِكَ عَن يَدَيَّـا

وَكَانَتْ فِـى حَيَاتِكَ لِى عِظَـاتٌ وأَنْتَ الْـيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَّـا

عقد قول بعضهم فى الاسكندر [كان الملكُ أمْسِ أنطقَ منه اليوم، وهو اليوم أوعظُ منه بالأمسِ].

وقول أبى الطّيب فى الحاتميّة:

«متقارب»

يَرادُ مِـنَ الْقَلْـبِ نِسْيَانُكُـمُ «وَتَأْبَى الطِّبَـاعُ عَلَى النَّاقِلِ»

عَقَدَ قول بعضهم: رَوْمُ نَقْلِ الطباع من ردىّ الأطماع شديدُ الامتناع.

وقول أبى الطّيب:

«وافر»

وَأَبْعَدُ بُعْـدِنا بُعْـدُ التَّدَانِـى وَأَقْرَبُ قُرْبِنَـا قُرْبُ الْبِعَـادِ

عقد قوله: «أقربُ القُربِ مودّاتُ القلوب، وإن تباعدت الأجسامُ، وأبعَدُ البُعْد تنافُرُ التدانى».

وقوله:

«بسيط»

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ فَرُبَّمَا صَحَّتِ الأجْسَامُ بالعِلَلِ

عقد قوله:

[وقد يُفْسَدُ العُضْو لصلاح الأعضاء كالكىّ والفَصْدِ].

وقوله:

«طويل»

يُهَانُ عَلَيْنَا أنْ تُصَابَ جُسُومُنَا وَتَسْلَمَ أعْرَاضٌ لَنَا وَعُقُولُ

عقد قوله: [عللُ الأفهام أشَدُّ من عِلَلِ الأجسام].

وقال أبو الطَيِّب:

«بسيط»

لاَ تَعْجَبِنَّ مَضِيماً حُسْنُ بِزَّتِهِ وَهَلْ يَرُوقُ دَفِيناً جَودةُ الكَفَنِ؟

عقد قوله: ليس جمالُ الفتى بنافعٍ إذا كان ميتَ الحِسِّ من العِلم.

وقوله:

«كامل»

لاَ يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

عقد قوله: بالصَّبرِ على مَضَضِ السِّياسة يُنالُ شرفُ الرِّياسة.

وقوله:

«كامل»

وَالظُلْمُ مِن شَيَمِ النُّفُوسَ فَإنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لاَ يَظْلِمُ

(١) عقد قوله: والظلمُ من طبع النفس، وإنّما يصدُّها عن ذاك إحدى علّتين إمّا علّةٌ دينيّةٌ كخوف معادٍ، أو علّةٌ سياسيّةٌ كخوف السَّيْفِ.

وقوله:

«طويل»

وَمَنْ يُنفِقِ السَّاعَاتِ فى جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِى فَعَلَ الفَقْرُ

عقد قوله: مَن أفنَى مُدَّته فى جمع المال خوف العُدْمْ فَقَدْ أسلم نَفسَهُ للعُدْم.

وطعن بعضُ الزنّادقة: مَا بالُ يدٍ وُديتْ بخمسمائة دينار وأُخرى قُطعت بربع دينا. فأجابهُ بعضُهم: لما كانت أمينةً كانت ثمينةً، فلمَّا خَانَت هَانَتْ.

عقد المعنى الأوّل المعرِّىُ:

يَدُ بخمسماءٍ مِنْ عَسْجَدٍ فُدِيتْ مَا بالُهَا قُطِعَتْ فى رُبعِ دينارِ

والمعنى الثانى ابنُ الزّيلاق(٢):

«بسيط»

صِيَانَةُ النَّفْسِ أغْلاَهَا، وَأَرْخَصُهَا صِيَانَةُ الْمَالِ فانظر حِكْمَةَ الْبَارِى

---

(١) بداية ق ١٤٩ فى الأصل.

(٢) هو السيد محى الدّين يوسف بن يوسف بن زيلاق الهاشمى الموصلى قتله التتار سنة ٦٦٠ هـ فوات الوفيات ٤/ ٣٨٤.

وقال شمسُ الدين الكَرْدرىُّ:

«بسيط»

هُنَاكَ مَظلومَةٌ غَالَتْ بِقِيمَتِهَا وهَهُنَا ظَلَمَتْ هانت عَلَى البَارِى

الحل:(١)

وهو أن ينثر نظم. قال أبو بكرٍ حين أبى عُمَرُ عن الاستخلاف: [ما حَبَوْنَاكَ بِهَا وَإِنَّما حَبَوْنَاهَا بك]. حل قول حسَّان فى رسُول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم:

«كامل»

مَا إنْ مَدَحْتُ مُحَمَّداً بِمَقَالَتِى لكِنْ مَدَحْتُ مقَالَتِى بِمُحَمَّدِ

وقال بعض المغاربة «لما قَبُحَتْ فَعَلاتُه، وَحَنْظَلَتْ نَخلاتُهُ، لَمْ يَزَلْ سوءُ الظَّنِّ يقتادهُ، ويصدِّقُ توهُّمَهُ الذى يعتادُهُ» حَلَّ قول المتنبى:

«طويل»

إذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَ ظُنُونُه وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِن تَوَهُّمِ

وقال الفخر عيسى «يَمشينَ على تُؤدَةٍ وسكونٍ، وقد حَبَسْنَ الأبصارَ، وتمنطَقْنَ بالعُيُون» حلَّ قول المتنبى:

«وافر»

وخَضْرٌ تثبت الأبصارُ فيه كَأَنَّ عَلَيه مِن حَدَقٍ نِطَاقَا

وقال صاحب الوشى المرقوم: (٢) [ينبغى للمرء أنْ لا يحرص فى رزقه بل يكلَهُ إلى الله تعالى الذى تولَّى القسمةَ فى خلقه فالنَّسرُ يأكُلُ الجيفةَ بعُنفه، والنَّحلُ يَرعَى الشَّهْدَ برفقه].

حَلَّ قول الشَّاعر:

---

(١). انظر الإيضاح ص ٥٨٦.

(٢) لضياء الدين بن الأثير وقد نقل الطيبى كلامه فى هذا المثال والأمثلة بعد بتصرف قليل انظر الوشى المرقوم لابن الأثير ص ٣٨ - ٥٨ - ٥٩ مطبعة ثمرات الفنون.

«كامل»

يَا طَالِبَ الرِّزْقِ السَّنِيِّ بِقُوَّةٍ هَيْهَاتَ أَنْتَ بِبَاطِلٍ مَشْغُوفُ
أَكَلَ العُقَابُ بِقُوَّةٍ جِيفَ الفَلاَ وَرَعَى الذُّبَابَ الشَّهْدَ وهو ضَعِيفُ

وقال: [لَم أبْكِ لعهد الشَّبَاب الذى هو فى الأعمار بمنزلة الربيع من الأعوام، وما كُنتُ أعرف كُنْهَ أمره حتّى مضى فترحَّلتْ معه الحياة بسلام]. حلَّ قول المُتنبى:

«كامل»

لَيْسَ القِبَابُ عَلَى الرِّكَابِ وإنَّمَا هُنَّ الحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلاَمِ

وقال: الشَّيْبُ بعد جدة الشَّباب أخلاق، وهو على كراهة (لقائه)[1] مكروه الفراق. فواهاً لنزوله وآها لرحيله، وسُحقاً لهُ بديلاً من الشباب، وسُحقاً لبديله. حلَّ قول ابن هَانئ:

«بسيط»

الشَّيْبُ كُرْهٌ وكُرْهُ أنْ يُفَارِقَنِى أحِبِبْ بَشَيْءٍ عَلَى البَغْضَاءِ مَوْدُودُ
يَمْضِى الشَّبَابُ ويَأتِى بَعْدَهُ بَدَلٌ وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُوداً بمفقودِ

وقال[2]: [العيادةُ سُنَّةٌ مأجورةٌ ومكرمةٌ مأثورة ومع هذا فنحنُ المرضى، ونحن العُواد وكلُّ وادٍ لا يدوم على ذلك فليس بوداد] حلَّ قول الشَّاعر:

«بسيط»

إذَا مَرِضْنَا أتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمُ وتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيكُمْ فَنَعْتَذِرُ

وقال: [كيف يُظلمُ ذلك اللحدُ وبه من أعمال ساكنه أنوارٌ؟ أمْ كيف يُخيفه

(١) ليست فى هـ ولا (ز).
(٢) بداقة ق ١٥٠ فى الأصل.

طولُ العهد وطيبُ تُربه هَادٍ لزُوَّاره؟].

حَلَّ قولُ مُسلم بن الوليد:

«طويل»

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهَا عَن مُحِبِّهَا ... فَطِيبُ تُرَابِ القَبْرِ دَلَّ عَلَى القَبْرِ

والتلميح:[1]

وهو أن يُشار فى الكلام إلى قصَّة، أو شعرٍ.

فمن الأوّل قول أبى تمَّام:

«طويل»

فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ ... بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الخِدْرِ تَطْلُعُ

فَوَاللهِ مَا أَدْرِى: أَأَحْلَامُ نَائِمٍ ... أَلَمَّتْ بِنَا؟ أَمْ كَانَ فِى الرَّكْبِ يُوشَعُ؟

أشار إلى استيقاف يُوشع فتى موسى ـ عليهما السَّلامُ ـ الشَّمسَ عن الغروب حين قاتل الجبّار، وخاف هجوم الليل.

وقال الخُبْزَأَرزِىُّ:[2]

«بسيط»

اسْتَوْدِعُ اللهَ أَحْبَاباً فُجِعْتُ بِهِمْ ... بَانُوا وَمَا زَوَّدُونِى غَيْرَ تَعْذِيبِ

بَانُوا وَلَمْ يَقْضِ زَيْدٌ مِنهُمُ وَطَراً ... وَلاَ انْقَضَتْ حَاجَةٌ فِى نَفْسِ يَعْقُوبِ

ومن الثانى قول الحريرى: [وَإِنِّى واللهِ لطالَمَا تَلَقَّيْتُ الشتاء بكافَاتِه، وزعددت لهُ الأُهبَ قَبل مُوافاته]. يريد قول ابن سُكَّرة:

---

(١) انظر الإيضاح ٥٨٧ بشرح د. خفاجى.

(٢) هو نصر بن أحمد الخبز أرزي، انظر ترجمته في اليتيمة ٢/٣٦٦، والبيتان له في أنوار الربيع ٤/٢٦٧

«بسيط»

جَاءَ الشِّتَاءُ وعِنْدِى مِنْ حَوَائِجِه ... سَبْعٌ إِذَا القَطْرُ عَنْ حاجاتنا حُبِسا

كِنٌّ، وكِيسٌ، وكَانونٌ، وكَاسُ طِلاً ... بَعْدَ الكَبَابِ، وكِسٌّ[2] نَاعِمٌ وكِسَا

قال الآخرُ ـ وفيه تلميحان:

«طويل»

يَقُولونَ: كَافَاتُ الشِّتَاءِ كَثِيرةٌ ... ومَا هِيَ إلاَّ وَاحِدٌ غَيْرُ مُفْتَرَى

إِذَا كَانَ كَافُ الكيس، فَالكُلُّ حَاضِرٌ ... لَدِيك وكُلُّ الصَّيْدِ يُوجَدُ فى الفَرَى

روى أنَّ المنصور وعد الهُذَلِىَّ بجائزة، ونسى. فحجَّا معاً، ومرَّا فى المدينة على بيت عاتِكةَ. فقال: يَا أمير المؤمنين هذا بيتُ عاتِكةَ الذى يقول فيه الأحوص:

«كامل»

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الَّذِى أَتَعَزَّلُ ..... [2]

فأنكر عليه لأنّه تكلم من غير أن يُسأل فلما رجع أمَرَّ القصيدة على قلبه فإذا فيها:

«كامل»

وأَرَاكَ تَفْعَلُ ما تقولُ، وبَعْضُهُمْ ... مَذْقُ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا لاَ يَفْعَلُ

فذكر المواعيد، وأنجز لهُ، واعتذر إليه.

---

(١) فى (أ) (ط) بضم الكاف وفى (و) بالكسر.

(٢) فى حاشية (أ): تمامه:

..... حَذَرَ العِدى وبِهِ الفُؤَادُ مُوَكَّلُ

إنِّى لأمنحك الصُّدودَ وإنَّنى ... قَسَماً إليكَ مع الصُّدود لأَمِيلُ

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾[1]. قال جارُ الله: «وآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً» دلالةٌ على وجه تفضيل محمَّد ـ صلوات الله عليه وآله وسلامه ـ وأنه خاتمُ الأنبياء، وأنَّ أمّتَهُ خَيْرُ الأُمم لأنَّ ذلك مكتوبٌ في الزَّبورُ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾[2] الآية.

وكان أبو العلاء يتعصَّب لأبي الطّيب، فحضر يوماً مجلس الْمُرْتضى فجرى ذكرُهُ، فنقَّصَهُ المُرتضى. فقال المعرى: لو لم يكُن له من الشّعر إلاَّ قوله:

«كامل»

لَكِ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ أَقْفَرت أَنْتِ وَهُنَّ مِنْكِ أَوَاهِلُ

لكفاهُ فضلا. فغضب المرتضى، فأمر به فسُحب، وأُخرج وقال لمن بحضرته: هل تدرون ما عنى الأعمى بذكر البيت عنى به قوله فيها:

«كامل»

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ

ورُوى أن تميمياً قال لنُميريٍّ: [ما في الجَوارِح أحَبُّ إليَّ مِنَ البَازِي]. فقال: [إذا كانَ يصيدُ القطَا] أشار التميميُّ إلى قول جرير:

«وافر»

أَنَا البَازِي الْمُطِلُّ عَلَى نُمَيْرٍ أُتِيحَ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا انْصِبَابَا

وأشار النُّميريُّ إلى قول الطِّرِمَّاح:

---

(١) سورة الإسراء ١٧/ ٥٥. انظر الكشاف ٢/ ٤٥٣.

(٢) سورة الأنبياء ٢١/ ١٠٥.

«طويل»

تَميمٌ بِطُرْقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِن القَطَا وَلَوْ سَلَكَتْ طُرْقَ الْمكَارِمِ ضَلَّتِ

ويُشبه أن يكون من هذا القبيل قولُ الشاعر:

مَنْ غَابَ عَنكم نَسِيتُموه وَقَلبُهُ عِندَكُمْ رَهِينَةَ

أَظُنُّكُمْ فِي الْوَفَاءِ مِمَّن صُحْبَتُهُ صحبة السَّفِينَةَ

وما كتب بديع الزمان إلى الخوارزميّ:

أنا لقُرْبِ دَارِ مَولانا الأُستاذ كَمَا طَرِبَ النَّشوَانُ مالَتْ بِهِ الخَمْرُ

ومن الارْتِياحِ للقائِه كَمَا انتَفَضَ العُصفُورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ

ومن الامتزاجِ بولائه كَمَا الْتَقَتِ الصَّهْبَاءُ والبَارِدُ العَذْبُ

ومن الابتهاجِ بمزَارِه كما اهتَزَ تحت البَارِحِ الغُصن الرطْبُ

وللخوارزمي على هذا المنهاج قولُه:

أَنَا فِي مُقَاسَاةِ حَرِّ الشَّوق كَمَا اعْتَادَ مَحْمُوماً بِخَيْبَرَ صَالِبُ

وفي تَذَكُّرِ عهدِ الاجتماع كَمَا اهتَزَّ من صِرْف المُدامة شَارِبُ

وفي تكلف الصَّبْر عَنْكَ كَطَالب جَدْوَى خُلَّةٍ لا تُواصِلُ

وفي القلق لفراقك كَطَائرٍ جَوٍّ أَعْلَقَتْهُ الحَبَائِلُ

فصلٌ: في اتِّفاقِ الكلامين قَصداً أو غير قَصْدٍ:

وهو على أقسام خمسة: النسخ، والسلخ. والمسخ، والاحتذاء، والمُواردة.

النسخُ: هو أن يتفقا لفظاً، ومعنى قصداً، وهو ضربان:

أحدهما: أن يتفقا في تمام الكلام، ويسمّى المُصالتة.

أنشد ابنُ الزّبير مُعاويةعلى أنَّه له:

إذَا[1] أنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أخاكَ وجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الهِجْرَانِ إنْ كانَ يَعْقِلُ
وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ من أنْ تَضِيمَهُ إذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ

ثم دخل معنُ بن أوس وأنشد كلمتهُ التى فيها البيتان:

«طويل»

لعَمْرُكَ ما أدْرِى وَإنِّى لأوْجَلُ عَلَى أيِّنَا تَغْدُو المَنِيَّةُ أوَّلُ.

قال معاوية: ما هذا يا أبا خُبيب؟ قال: هو أخى من الرَّضَاعة وأنا أخوهُ، وأحَقُّ بشعره.

وثانيهما: أن يختلفا فى يسير من اللَّفظ، ويُسمَّى الانتحال.

قال[1] المتنبى:

«وافر»

لَبِسْنَ الْوَشْىَ لا مُتَجَمِّلاتٍ وَلَكِنْ كَىْ يَصُنَّ بِهِ الجَمَالاَ

وقال الصّاحب:

«طويل»

لَبِسْنَ بُرُودَ الْوَشْىَ لا لِتَجَمُّلٍ وَلَكِنْ لصونِ الحسنِ بَيْنَ بُرُودِ

وقال الحماسىُّ:

«طويل»

وَلَمَّا تَنَازَعْنَا الحَدِيثَ وأسْفَرَتْ وُجُوهٌ زَهَاهَا الحُسْنُ أنْ تَتَقَنَّعَا

وقال الرُّستمىُّ:

بدورُ زهتُهنَّ الملاحةُ أن ترُى لَهُنَّ نقابُ، والوجوه سوافرُ

السلخ[2].

(١) بداية ق ١٥٢ فى الأصل
(٢) انظر الإيضاح ص ٥٦٥.

وهو أن يؤتى بالمأخوذ مع التغيير فى معناه أو لفظه. أما المعنى فالمقبول منه ما يكون الفرع أحسن من الأصل، وهو على وجوه:-

أ- ما يزداد فيه معنى كقول القائل:

«طويل»

خَلَقْنَا لَهُمْ فى كُلِّ عَيْنٍ وحَاجِبٍ ... بِسُمْرِ القَنَا والبِيضِ عَيْناً وَحَاجِبَا

وقولُ ابن نباتة:

«طويل»

خَلَقْنَا بِأَطْرافِ القَنَا فِي ظُهُورِهِم ... عُيُوناً لَهَا وَقْعُ السُّيُوفِ حَوَاجِبُ

أحسن لما زاد فيه معنى الهزيمة، وكقول أبى الطيب:

«كامل»

لَوْ قُلْتُ لِلدِّنَفِ الْمَشُوقِ فَدَيْتُهُ ... مِمَّا بِهِ لأَغَرَّتَهُ بِفِدَائِهِ

وقول ابن الخيّاط:

«طويل»

خُذَا مِن صُبَا نَجْدٍ أَمَاناً لِقَلْبِهِ ... فَقَدْ كَادَ رَيَّاهُ يَطِيرُ بِلُبِّهِ

أَغَارُ إِذَا آنَسْتُ فِى الحَيِّ أَنَّهُ ... حِذَاراً عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ لِحُبِّهِ

أرقُّ منه، وإن كان ذاك أربى فى المعنى.

ب ـ ما يكون الفرعُ أبلغ. كقول أبى الطيّب فى قصر اللّيل:

«بسيط»

يَوَدُّ أَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ دَامَ لَهُ ... وَزِيدَ فِيهِ سَوَادُ القَلْبِ وَالبَصَرُ

وقول ابن الظَّهير الحنفيّ:

«كامل»

فَأَتَانِى كُلُّ الْمُنَى بِزِيَارَةٍ ... كَانَتْ مُخَالَسَةً كَخَطْفَةِ طَائِرِ

فَلَو اسْتَطَعْتُ إِذاً خَلَعْتُ عَلَى الدُّجَى ... لِيَطُولَ لَيْلَتُنَا سَوَادَ النَّاظِرِ

أبلغ لقوله: (خَلَعْتُ)، وبعكسه فعل ابن نباتة حين اقتفى أثر أبى الطيّب بقوله:

«كامل»

كَفْكِفْ قِسِيَّكَ يَا فِـــــــراقُ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْــــقَ فِى قَلْبِى لِسَهْمِكَ مَوْقِــعُ

فى قوله:

«كامل»

رَمَــانِى الــدَّهْــرُ بِــالأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِى فِى غِشَــاءٍ مِن نِبَــــــــالِ

فَصَــــرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِى سِهَــــامٌ تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَــــــالِ

وقد[1] جعل فُؤادهُ مظروفاً، وهو جعله ظرفاً.

جـ ـ أنْ يُراعى فيه من المعنى البديع شىءٌ كقول أبى تمّام:

كَانَتْ مُسَائِلَــةُ الرِّكْبَانِ تُخْبِرُنِى عن أَحْمَدَ بنِ سَعِيــدٍ أَطْيَبَ الخَبَرِ

حَــــتَّى الْتَقَيْنَا فَلا وَاللهِ مَا سَمِعَتْ أُذُنِى بِأَحْــــــسَنِ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصَرِى

وقولُ أبى الطيّب:

«طويل»

وأَسْتَكْبِرُ الأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَــــائِهِ فَلَمَّــا الْتَقَيْنَــا صَغَّــرَ الخَبَرَ الْخُبْــرُ

أبلغُ، وأوجز مع ما فيه من الطباق والجناس. وكقول أبى تمام يرثى ولدين:

«كامل»

لَهْفِى عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ فِيــهِمَا لَو أُمْهِلَــتْ حَتَّى تَكُــونَ شَمَائِلا

نَجْمَــانِ شَــاءَ اللهُ أَلاَّ يَطْلُعَــا إِلاَّ ارْتِــدَادَ الــطَّــرْفِ حَتَّى يَأْفُلاَ

(١) بداية ق ١٥٣ فى الأصل.

وقول أبى الطيب فى مثله:

«طويل»

بِمَوْلُودِهِمْ صَمْتُ الْلِّسَان كَغَيْرِهِ وَلَكِنَّ فِى أَعْطَافِهِ مَنْطِقَ الْفَضْلِ
بَدَا وَلَهُ وَعْدُ السَّحَابَةِ بِالرُّوَى وَصَدَّ وَفِينَا غُلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحْلِ

أجود سبكاً مع مافيه من طباق الصمت للمنطق، ومن مراعاة النظير بين السحابة والرَّوى، وبين الغُلة، والمحل، ومع الزيادة عليه بقوله: «غُلَّةُ البلَدِ الْمَحْلِ» لأنه بيَّن قدر حاجتهم إلى وجوده، وكقول القاضى الأرَّجَانىّ:

«كامل»

لَم يُبْكِنِى إلاَّ حَدِيثُ فراقِهِمْ لَمَّا أَسَرَّ بِهِ إلَىَّ مُوَدِّعِى
هُوَ ذَلِكَ الدُّرُّ الَّذِى أَوْدَعْتُمُ فِى مَسْمَعِى أَلْقَيْتُهُ مِنْ مَدْمَعِى

وقول الزَّمخشرى:

«طويل»

وَقَائِلَةٍ: مَا هَذِهِ الدُّرَرُ التِى تُسَاقِطُهَا عَيْنَاكَ سمطين سمطين؟
فَقُلْتُ: هِىَ الدُّرُّ التى قَدْ حَشَا بِهَا أَبُو مُضَرٍ أُذْنِى تَسَاقَطَ مِنْ عَيْنِى

أحسنُ لمناسبة الدرّ السمط، والمراجعة فى السؤال والجواب، وكقول السّيد الرّضىّ:

«بسيط»

بَتْنَا ضَجِيعَيْنِ فِى ثَوْبَىْ هَوًى وتُقًى يَضُمُّنَا الشَّوقُ مِنْ فَرْعٍ إلى قَدَمِ
وَبَاتَ بَارِقُ ذاكَ الثَّغْرِ يُوضِحُ لِى مَوَاقِعَ اللَّثْمِ فِى دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

وقول الغزىّ:

«بسيط»

حَتَّى إذَا طَاحَ عَنْهَا المِرْطُ مِنْ دَهَـــشٍ وانْحَلَّ بالـضَّمِّ نَظْمُ الـعِقْدِ فى الـظُّلَمِ
تَبَسَّمَتْ فَأَضَاءَ الـلَّيْلُ فـــالْتَقَطَتْ حَبَّاتِ مُنْتَـــثِرٍ فـى ضَوْءِ مُنْتَظِمِ

أصنع وللالتئام أوقع، وإن كان ذاك أرق، وكقول الخنساء:

«طويل»

وَقَائِلَةٍ وَالـنَّعْشُ قَدْ فـــاتَ خَطْوَها لِتُدْرِكَهُ يَا لَهْفَ نَفْـسِى عـلى صَخْـرِ
ألاَ ثَكِلَـتْ أُمُّ الَّذِيـنَ غـــدَوا بِهِ إلـى الْقَبْـــرِ مَاذَا يَحْمِلُونَ إلَى الْقَبْرِ

وقول محمد بن المُناذر:

إنَّ عَبْـدَ الحَمِيـــد لما تَـوَلَّى هَـدَّ رُكْـناً مـــا كـــانَ بِالْمَهْـدُودِ
مَا دَرَى نَعْشُـهُ وَلا حَامِلـــوُهُ مـــا عَلَى الـنَّعْشِ مِنْ عَفَافٍ وَجُودِ

أحسنُ لما فيه من الكناية على طريقة قولهم: (الكرمُ بين بُرديْه)، وكقول بعضهم:

«وافر»

وكَانَـتْ بِالْعِـراق لَنَا لَيَـالٍ سَرَقْنَاهُـنَّ مِنْ رِيـبِ الـزَّمَانِ
جَعَلْنَاهُـنَّ تَارِيـخَ الـلَيـالِى وَعُنْـوَانَ الْمَسَرَّة وَالأَمَـانى

وقول المُطوِّعىّ:

«وافر»

ومَرَّت فـى جُـوَيْنَ لَنَا لَيَـالٍ عَدَدْنَاهُـنَّ مِنْ عَيْشِ الجِنَـانِ
رَضَعْنَا فى حُجُورِ الأَمْـنِ فِيـهَا بِأَفْـوَاهِ الرِّضَـى ثَدْىَ الأَمَـانِى

أصنع لاجتماع ثلاث استعارات مع رعاية التناسُب.

د ـ أن يكون أبيَن معنًى، وأجود سَبْكاً كقول نصر بن سيَّار فى واقعة أبى مُسلم:

«الوافر»

أَرَى خَلَلَ الرَّمـــادِ وَمِيضَ جَمْرٍ ... فَيُوشِكُ أَنْ يكـــونَ لَهُ ضـرَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالـعُودَينِ تُصـــطَلَى ... وَإِنَّ الحـــرْبَ أَوَّلُهـــا كَلَامُ
فَقُلْتُ مِنَ التـأَسُّفِ: لَيْتَ شـعرى ... أَأَيقَـاظٌ أُمَيـــةَ أَمْ نِيـــامُ؟

وقول بعض الفُضلاء قبل واقعة بغداد بستين:

«الوافر»

أَرَى نَاراً تُشـبُّ بِكـــلِّ أَرْضٍ ... لَهَا فـــى كُلِّ نَاحِيـةٍ شُعَـاعُ
وَقَد غَفَلَتْ بـنُو الْعَبَّاسِ عَنـهَا ... ونَامـتْ فَهـى آمِنـةٌ رَتَاعُ
كَمَا غَفَلَتْ أُمَيَّةُ ثُمَّ هَبَّتْ لِتَدْفَـعَ ... حِيـنَ لَيْسَ لَـهَـا دِفَـاعُ

أظهرُ حيـن جعل الوميض ناراً شَبُوباً، والتردّد فى النوم نوماً وبالغ فيه بتتميم آمنةٌ للغفلة، ثم بتتميم (رَتَاع) لآمنة فجمَعَ بين الإفراط فى الفتنة، والتفريط فى الغفلة.

وكقول أبى تمام

«كامل»

وكَذَاكَ لَمْ تُفْـرِطْ كَآبَةُ عـاطِلٍ ... حَتَّى يُجَـاوِرَهَا الـزَّمَانُ بِحَـالِى

وقول البحترىّ:

«طويل»

وَقَدْ زَادَهَا إِفْرَاطَ حُسْـنٍ جِوَارُهـا ... لأخلاقِ[2] أصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ خُيَّبِ
وحُسْـنُ دَرَارِىِّ الْكَوَاكِـبِ أَنْ تَـرَى ... طَوَالِـعَ فِى دَاجٍ مِنَ الـلَّيْلِ غَيْهَـبِ

(١) بداية ق ١٥٤ فى الأصل.
(٢) ط: خلائق..

وكقول الخنساء:

«طويل»

ومَا بَلَغَتْ كَفُّ امْـرِىء مُتَنَـاوِلاً مِنَ الْمَجْـدِ إلاَّ وَالـذِى نَالَ أطوَلُ
ومَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ لِلـنَّاسِ مِدْحَـةً وَإنْ أطْنَبُوا إلاَّ ومَا فِيـكَ أفْضَـلُ

وقول أبى نواس:

«طويل»

إذَا نَحـنُ أثْنَيْنَـا عَلَيْكَ بِصَـالِحٍ فَأنْـتَ الَّذِى تُثْنِى وَفَـوْقَ الَّذِى نُثْنِى
وَإنْ جَرَتِ الأَلْفَاظُ يَوْمـاً بِمِدْحَةٍ لِغَيْـرِكَ إنْسَانـاً فَأنْتَ الَّذِى نَعْنِى

هـ ـ: أنْ يُنْقَلَ المعنى المأخوذ إلى غير مَحَلِّه. قال بشارٌ:

«كامل»

وإذَا أقَـلَّ لِىَ البَخِـيلُ عَـدَرْتُهُ إنَّ القَلِيـلَ مِنَ البَخِيـلِ كَثِيـرُ

وقال المتنبىُّ:

«كامل»

وَقَنِعْـتُ بِـالـلُّقْيَا وأوَّلِ نَظْـرَةٍ إنَّ القَلِيـلَ مِنَ الحَبِيبِ كَثِـيرُ

وقال أبو نُواسٍ:

«طويل»

تَسَـتَّرتُ عَنْ دنهْرِى بِظِلِّ جَنَاحِـهِ فَعَيْنِـى تَرَى دَهْرِى وَلَيْـسَ تَرَانِـى
فَـإنْ تَسْـأَلِ الأيَّامَ مَا اسْمِىَ مَـا دَرَتْ وَأيْـنَ مكَانِى؟ مَا عَرَفْـنَ مكَـانِى

نقلهُ الإفريقىّ المُتَيَّم إلى معنى الخمر:

«البسيط»

وَفِتْيَةٍ أُدَبَاء مَا عَلِمْتُهُمُ شَبَّهْتُهُمْ بِنُجُومِ اللَّيْلِ إِذْ نَجَمُوا
فرُّوا(١) إلى الرَّاحِ مِنْ خَطْبٍ يُلِمُّ بِهِمْ فَمَا دَرَتْ نُوَبُ الأَيَّامِ أَيْنَ هُمُ؟

وقال البحترى فى القتلى:

«كامل»

سُلِبُوا وأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمُ مُحْمَرَّةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا

ونقلهُ أبو الطيب إلى السَّيف:

«كامل»

يَئِسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ، وهْوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غِمْدِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدُ

و ـ وهو أن يُنقل إلى نقيضه كقول أبى الشّيص:

«كامل»

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِى هَوَاكِ لَذِيذَةً حُبّاً لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِى اللُّوَّمُ

ونقلهُ أبو الطيّب:

أَأُحِبُّهُ وأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً؟ إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

وألقى أبو دُلَفٍ العجلىّ على فضل الشاعرة قول أبى نُواس:

«كامل»

قَالُوا عَشِقْتَ صَغِيرَةً فَأَجَبْتُهُمْ أَشْهَى الْمَطِىِّ إِلَىَّ مَا لَمْ يُرْكَبِ
كَمْ بَيْنَ حَبَّةِ لُؤْلُؤٍ مَثْقُوبَةٍ لُبِسَتْ وحَبَّةِ لُؤْلُؤٍ لَمْ تُثْقَبِ

فأجاب الفضل بقول مسلم بن الوليد:

(١) بداية ق ١٥٥ فى الأصل.

«كامل»

إنَّ الْمَطِيَّةَ لاَ يَلِذُّ رُكُوبُهَا ... حَتَّى تُذَلَّلَ بِالزِّمَامِ وتُرْكَبَا
والحُبُّ[1] لَيْسَ بِنَافِعٍ أَرْبَابَهُ ... حَتَّى يُفَصَّلَ فِي النِّظَامِ ويُثْقَبَا

وأمَّا اللَّفظُ فهوَ أنْ يعمد إلى كل لفظ فيوضع مكانه ما يُرادفُهُ، وهذا مذمومٌ كقول الحُطيئة:

«بسيط»

دَعِ الْمَكَارِمَ لاَ تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا ... واقْعُدْ فإنك أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

وقول الآخر:

«بسيط»

ذَرِ الْمَآثِرَ لاَ تَذْهَبْ لِمَطْلَبِهَا ... وَاجْلِسْ فإنَّكَ أَنْتَ الآكِلُ اللَّابِسْ

وإذا غُيِّر بعض التغيير هان الخطبُ كقول الشَارِستانيّ:

«طويل»

لَقَدْ طُفْتُ فِي تِلكَ الْمَعَاهِدِ كُلِّهَا ... وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
فَلَمْ أَرَ إِلاَّ رَاضِعاً كَفَّ حَائِرٍ ... عَلَى ذَقَنٍ، أَوْ قَارِعاً سِنَّ نَادِمِ

وقول الآخر:

«طويل»

لَقَدْ سِرْتُ فِي تِلكَ المنازلِ بُرْهَةً ... لأَنجُوَ فِيهَا مِنْ نُيُوبِ النَّوائِبِ
فَلَمْ أَرْ فِيهَا نَازِلاً غَيْرَ خَائِفٍ ... وَلَمْ أَرْ فِيهَا قَافِلاً غَيْرَ خَائِبِ

(١) ط: والحُبُّ بضم الحاء وهو خطأ.

والمَسخُ:(١)

وهو قلبُ الصورة الحسنة إلى القبيحة، وجميع الفروع التي تقصُر عن الأصول منه كقول أبى تمام:

«طويل»

فـــــتًى لاَ يَرَى أنَّ الـفَرِيـضَةَ مَقْتَلٌ وَلَكِـنْ يَرَى أنَّ الْعُيُـــوبَ مَقَاتِـلُ

وقول أبى الطيب:

«طويل»

يَرَى* أنَّ مَا بَانَ مِنـــه لِضـــــارِبٍ بِأَقْتَلَ مِمَّا بَانَ مِنـه لِعـــــــائِبِ

فإنَّهُ وإن لم يُشوِّه المعنى فَقَدْ شوَّه الصُّورة.

والاحتذَاء:

وهو أن يقتفى المتكلم الآخر فى أسلوب من أساليب فنّى البلاغة، والفصاحة، وهو محمودٌ بل مقصودٌ.

والمواردة:(٢)

وهى أن يتفق المتكلمان على معنى من غير أخذٍ. ويُسمَّى وقوع الحافر على الحافر، وهو نوعان:

الأوَّل: ما يجتمعُ فيه اللفظ، والمعنى برمّته كما أنشد ابن مَيَّادة لنفسه:

«طويل»

مُقِيـــــدٌ ومِتـــلاَفٌ إذَا مَا أَتَيْتَـــهُ تَهَلَّلَ واهْتَـــزَّ اهْتِـزَازَ الْمُهَنَّـــدِ

---

(١) انظر الإيضاح بشرح د. خفاجى ص ٥٦١.

(٢) انظر الطراز للعلوى ٣/١٦٩.

* بداية ق ١٥٦ فى الأصل.

فقيل له: هذا للحطيئة. فقال الآن علمتُ أنى شاعرٌ.

وكقول امرئ القيس:

«طويل»

وقُوفـــــاً بَهَا صَحْبِى عَلَىَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُون لا تَهْلِكْ أسًى وتَجَـــــمَّلِ

وقول طَرفة:

«طويل»

..... وتَجَلَّـــــدِى

الثانى: ما ينفرد فيه المعنى. قال الثعالبى: اتّفق لى أن قُلتُ:

«إنـــــانَةٌ فَتَّانـــــةَ بَدْرُ الدُّجَـى مِنْهـا خَجَـــــلْ»(١)

إذا زَنَـــــتْ عَينِى بِهَـــــا فَبِالدّمـــــوعِ تُغْتَسَـــــلْ

وظننتُ أنى لم أُسبقْ حتَّى سمعتُ قول أبى الفرج ابن هندو:

«طويل»

يـقُولـونَ لى: مـا بَالُ عَيْنِيـك مُذْ رَأَتْ مَحَاسِـــنَ هَذَا الرّيْم أَدْمُعُهـا هُطُـلُ

فَقُلْتُ، زَنَتْ عِيـنـى بِطَلْعَةِ وَجْهِـهَا فَكَـانَ لَهَـا مِنْ صَوْبِ أدْمُعِهَا غُـلُ

فصَحَّ عندى توارد الخواطر.

وقال الإمام التوربشتى ـ رحمه الله(٢) ـ : «كانَ قَد استَبْهَمَ عَلَىَّ برهةً وجهُ قوله ـ صلوات الله عليه: [بِنْتُ لَبُونٍ أُنثَى](٣) ـ حتَّى ألْهَمَنى اللهُ ـ تعالى ـ وذلك أنّ البنت فى قولهم: [بنتُ الفكر، وبنت لَبُون]، والابنُ فى قولهم: [ابن عِرْس، وابنُ آوَى] على المجاز، ولذلك لا يُقالُ: ابناءُ لبون، وأبناءُ آوَى. ثم وجدتُ فى بعض الكتب لعلماء الغَرب قد سَبَقَنى به».

(١) ما بين القوسين ليس فى (أ). (٢) «رحمه الله» فى (أ) و (ع)

(٣) الحديث رواه البخارى فى الزكاة ٣٨، وأبو داود فى الزكاة/ ٨، ٥ ، والنسائى فى الزكاة/ ٥، والموطأ فى الزكاة/ ٢٣ .

تذييل: قال ابن الرشيق: عرَض علَيّ شَيْخي يعْلىَ الأريسيُّ، وكان متفنِّناً قبل ملازمتي إيَّاه رُقعةً فيها من شعره:

أتاهُ شَمْسٌ حَوَاهَا جِسْمُ لُؤلُؤةٍ تَغِيبُ مِنْ لُطْفٍ فِيهَا ولَمْ تَغِبِ
صَفْرَاءُ مِثْلُ نُضَارِ السَّبْكِ لاَبِسَةً درْعاً مُكَلَّلَةً دُرّاً مِنَ الحَبَبِ
لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْهَا غَيْرَ رَائِحَةٍ تَضَوَّعَتْ وَسَنَاً يَنْسَاحُ كَاللَّهَبِ
إذَا النَّدِيمُ تَلَقَّاهَا لِيَشْرَبَهَا صَاغَتْ لَهُ الرَّاحُ أَطْرَافاً مِنَ الذَّهَبِ

قلت: البيت الأول مُتنافر منحولٌ ناقصُ الصَّنعة. فإنّ اللؤلؤة مع الياقوتة أنسبُ كما قال أبو تمام:

«كامل»

أوْ دُرَّةٌ بَيْضَاءُ بِكْرٌ أطْبَقَتْ حَبَلاً عَلَى يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءِ

وفي[1] ذكر البكر مع الياقوتة معنىً بكر، ولو قلْتَ:

«متقارب»

أتَاهُ شَمْسٌ حَوَاهَا النَّهَارُ

كابن المعتز:

وَرَاحٍ مِنَ الشَّمْسِ مَخْلُوقَةٍ بدتْ لَكَ فِي قَدَحٍ مِنْ نَهَارِ

لَذَهَبْتَ إلى شَيء عجيب.

وأمَّا قولك:

«بسيط»

تَغِيبُ مِنْ لُطَفٍ فِيهَا وَلَمْ تَغِبِ

---

(١) بداية ق ١٥٧ في الأصل.

فمن قول البُحتُرِيّ:

يُخْفِي الـزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فـكَأَنَّهـــا فِي الـكَـفِّ قَـــائِمَةٌ بَغَـيْرِ إِنَاءِ

والبيت الثالث من قول ابن المعتز:

«بسيط»

أَبْقَى الجَدِيدَانِ مِنْ مَوجُودِهـا عَدَمـــاً لَونـاً وَرَائِحـــةً مِنْ غَيْرِ تَجْسِيـــمِ

والبيت الرابع من قول مسلم بن الوليد:

«طويل»

أَغَارَتْ عَلَى كَفِّ الْمُدِيرِ بِلَوْنِهـــا فَصَاغَـتْ لَهُ مِنْهَا أَنَامِـــلَ مِنْ ذُبْلِ

وفيه عيب التوكُّؤ، وهو ذكرُك الراح، وأنت مُستغنٍ عنه، فهلا تقول:

«بسيط»

صَاغَـتْ لِيمنَاهُ أَطْـرَافاً مِـنَ الذَّهَـبِ

ثُم أنشدتُهُ لنفسي:

«طويل»

مُعَتَّقَـةٍ يَعْلُو الحُبَـابُ جُنُوبَهَا فَتَـحْسِبُهُ فِيـهَا نُثِيـرَ جُمَانِ

رَأَتْ مِن لُجَيْنٍ رَاحَـةً لِمُدِيـرِهَا فَجَـادَتْ لَهُ مِنْ عَسْجَـدٍ بِبَنَـانِ

فتعجَّب، واستغرب، وأدناني، وصحبني معه.

خاتمة: **فى حُسْنِ مُلاءَمةِ الكَلام:**

ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيما يُوردُه من كلامه فى أربعة مواضع حتى يكون جيد السَّبك عَذبَ اللَّفظِ بديع المعنى:

الأول: **المَطْلَعُ**: وفى حُسنه شرطان:

أحدهما: أن يضمن معنى ما سِيقَ الكلامُ لأجلِه ليكون الابتداءُ دَالاً على الانتهاء، ويُسمّى هذا بِبَرَاعة الاستهلال. وإذا تأمَّلتَ فواتح السُّوَر كالتحميدات، والنداء سيَما حروف التهجّى وجدتها من البلاغة بمكانٍ. فإنَّها تُوقظُ السَّامعين للإصغاء إلى ما يَرِدُ بعدها لأنَّهم إذا سمعوها من مثله ـ صلوات الله عليه وآله ـ علموا أنَّها والمتلوُّ بعدها من جهة الوحى، أو تنبَّهوا على أنّ المتلوّ عليهم وقد عجزوا عنه من جنس ما ينظمون منه كلامهم:

ومن البراعة الحسنة فى النَّسيب قول، امرىء القيس:

«طويل»

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ .....

فإنه وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب، والمنزل فى نصف بيتٍ مع عُذوبة اللَّفظ.

وقال ابن المعتز: قول النَّابغة:

«طويل»

كِلِينى لَهَمٍّ يا أُمَيْمَةُ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطىء الْكَوَاكِبِ

مقدَّمٌ عليه لأنَّه وإن بالغ فى المشطور الأول لكن قصَّر فى الثانى حيث أتى بمعانٍ قليلة فى ألفاظ كثيرة غريبة.

والنابغة راعى التناسب. وقول الآخر:

«بسيط»

ذمُّوا الْجِمَالَ؛ فَقُلْ لِلْعَاذِلِ الْجَانِى لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ مُدْرَارِ أَجْفَانِى

وقول[1] أبى العلاءة

«وافر»

مُعـــــانٌ مـــــن أحِبَّابِنـــا مُعـــانُ تُجـــــيبُ الصَّاهِلاَت بِهِ القِيـــانُ

وفى المديح قول أبزُون العُمَانىّ:

«طويل»

عَلَى مِنبَرِ العَلْيَاءِ جَدُّكَ يَخطُبُ وَلِلْبَلْـــدَةِ الْعَذْرَاءِ سَيْفُـــكَ يَخْطُبُ

وفى تهنئة المولود قول أبى محمل الخازن:

«بسيط»

بُشْرَى، فَقَدْ أَنْجَزَ الإِقْبَـالُ مَا وَعَـدَا وكَوكَـبُ الْمَجْدِ فِـى أُفْقِ الْعُلاَ صَعَدَا

وفى التحريض على الفتح قول أبى تمام فى المعتصم، وفتحه عَمُّورية حيث شاع من أهل النجامة أنها لا تُفْتَحُ:

«بسيط»

السَّيْفُ أصـــــدقُ إنْبَاءً مِنَ الكُتُـــبِ فى حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الجِـــــدِّ وَاللَّعِبِ

بِيضُ الصَّفَائح لاَ سُودُ الصَّحَائف فِى مُتُونِهِـــنَّ جِلاَءُ الشَّكِّ وَالرِّيَـــبِ

والْعِلْمُ فِى شُهُبِ الأَرْمَاحِ لاَمِعَـــةً بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ لاَ فِى السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

تَخَرُّصـــا وَأَحَادِيثـــاً مُلَفَّقَـــــةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلاَ غَـــرَبِ

وقوله فيه عند ظفره ببابك الخُرَّمىّ:

«كامل»

الحَقُّ أَبْلَـجُ وَالسُّيُوفُ عَـــــوَارِ فَحَـــذَارِ مِنْ أَسَدِ الْعَرِينِ حَـذَارِ

---

(١) بداية ١٥٨ من الأصل.

وفى تهنئة البناء قول الأشجع:

«كامل»

قَصْرٌ عَلَيْـهِ تَحِيَّـةٌ وَسَـلَامُ خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الأَيَّامُ

وفى الحكمة قول المتنبى:

«كامل»

الرَّأْىُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِىَ الْمَحَلُّ الثَّانِى

فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانِ

وفى المرثيّة قول أبى الفرج فى فخر الدَّوْلة:

«وافر»

هَىَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمَلْءِ فِيهَا حَذَارِ حَذَارِ مِنْ بَطْشِى وَفَتْكِى

وَلَا يَغُرُّكُمُ حُسْنُ ابْتِسَامِى فَقَوْلِى مُضْحِكٌ، وَالْفِعْلُ مُبْكِى

والشَّرْطُ الثانى: أن يجتنب فى المديح مِمَّا يُتَطَيَّرُ به، ولمَّا أنشد ذو الرِّمة هشاماً، وافتتح بقوله:

«بسيط»

ما بَالُ عَيْنِيكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ .....

قال، بَلْ عَيْنُكَ.

وأبُو مقاتل[1] الضّرير الدّاعى العلوىُّ: مَوْعِدُ أَحْبَابِكَ بِالفُرْقَةِ غَد

قال: بَلْ أَحْبَابُكَ، وَلَك الْمَثَلُ السُّوءُ.

والموصلى المعتصم[2]، وقد بنى قصرهُ، وجلس فيه:

---

(١) تقدير الكلام: «ولما أنشد أبو مقاتل..».

(٢) تقدير الكلام «والموصلى لما أنشد المعتصم».

«كامل»

يَا دَارُ غَيَّرَكِ الْبِلَى وَمَحَاكِ ... يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلاَكِ!

فتطيّر، وقام، فانصرفوا، ولم يعودوا إليه حتى خرب ولكون التفاؤل مندوباً إليه كان رَسُولُ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وآله وسلم ـ يتفاءلُ.

ولما بلغ ابن المعتز قراءة سورة ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾[1] قال: مُؤدِّبُهُ: إنْ سألَكَ أميرُ المؤمنين فى أى شئ أنت؟ قل أنا فى السُّورة التى تَلى ﴿عَمَّ﴾[2]. فقال: من* علَّمك؟ قال مُؤدِّبى: فَأمرَ لَهُ بجائزة.

وسأل الرَّشيْدُ سعيد بن سَلْمٍ: أنت مَن؟ قال: أنا سعيدٌ. ـ أسْعَدك اللهُ ـ قال ابن مَن. قال: ابنُ سَلْمٍ ـ سَلَّمك الله ـ قَال: أَبُو مَن؟ قال: أبو عمروٍ ـ عمرك اللهُ ـ قال: وبارَك اللهُ فيك، وأكرمَهُ.

ولأمر ما تصدر ما تصدر أولى الزَّهراوين بقوله: ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[3] بدل «هُدىً للضالين الصَّائرين إلى الهُدَى بعد الضَّلال».

الثانى: **المخلص**:

وَحسنُه أنْ تخرُج من معنىً إلى معنىً برابطةِ مناسبةقال ابن بَابَكَ:

«طويل»

لَقَدْ نشرَ النَّيْرُوزُ وَشْياً عَلَى الرُّبَى ... مِنَ النَّورِ لَمْ يَظفَرْ به كَفُّ رَاقِمِ

كَأَنَّ ابنَ عَبَّادٍ سَقَى الْمزْنَ نَشْرُهُ ... فَجَادَ بِرَشَّاشٍ مِنَ الوَبْلِ سَاجِمِ

وقال أبو الطيب، وقد تخلص أولاً إلى قوم الممدوح ثم إليه:

---

(١) سورة النازعات قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً﴾ ٧٩/ ١.

(٢) سورة النبأ «٧٨» و «عمّ» من قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

(٣) سورة البقرة ٢/ ٢.

* بداية ق ١٥٩ فى الأصل.

ومقانب بمقَانبِ* غَادَرْتُهَا أقْوَاتَ وَحْشٍ كُنَّ مِنْ أقْوَاتِهَا
أقْبلْتُهَا غُرَرَ الْجِيَادِ كَأنَّمَا أيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبَهَاتِهَا
سُقِيَتْ مَنَابِتُهَا الَّتِي سَقَتَ الوَرَى بِيَدَي أَبِي أيُّوبَ خَيْرِ نَبَاتِهَا

ومن التخلصات الفائقة التي تُسكِرُ العُقُول، وتُحيّرُ الأوهام ما في الأعراف من ذكر الأنبياء، والقرون الماضية، والأمم السَّالفة، ثم ذكر موسى ـ عليه السَّلام ـ وحكاية دُعائه لنفسه، ولأُمّته بقوله: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ﴾[1]، وجوابه تعالى عنه، ثم تخلصه تعالى إلى[2] مناقب سيدنا امام المتقين، (ورحمة العالمين)[2] وقائد الغُرّ المُحَجلين بعد تخلصه ـ تعالى ـ لأُمّته بقوله: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ﴾[3] من حالهم وصفتهم كيت وكيت وهم: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾[4] وأخذ في وصف مكارمه، وَعَدِّ فَضَائله. فتدبر، واحذُ حذو أبيات المُتنبيّ فإنّه قد أربى عليه لإشعاره بالأسلوب الحكيم، والإطناب بوصف الأمة فإنّه مطلوب هُنا مع رعاية حُسن النظم، وغير ذلك.

وعَدَّ جارُ الله قوله تعالى: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[5] إلى قوله: ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾[6] من التَّخَلُّص قال: اتصالُ «لاَ تُحرِّكْ» بذكر القيامة من جهة هذا التخلص منه إلى التوبيخ بحب العاجلة.

---

(١) سورة الأعراف ٧/١٥٦.
(٢) (إلى) سقطت من ط، وسقطت (ورحمة العالمين) في السطر التالي من (أ).
(٣) سورة الأعراف ٧/١٥٦.
(٤) سورة الأعراف ٧/١٥٧.
(٥) سورة القيامة ٧٥/١٦ قال جار الله في الكشاف ٤/١٩٢: «فإن قلت: كيف اتصل قوله - لا تحرك به لسانك - إلى آخر بذكر القيامة؟ قلت: اتصاله به من جهة هذا التخلص منه إلى التوبيخ بحب العاجلة. وترك الاهتمام بالآخرة.
(٦) سورة القيامة ٧٥/ ٢٠.
* المقانب جمع مقنب وهي جماعة من الخيل تجتمع للغارة.

وتحريرُهُ أنّه تعالى لما سَاق حديث القيامة، وكان حديثاً متضمناً لاهتمام منكرى البعث بعاجل الأمر دون الآجل منهُ عَنَّ لجنابِه المُقَدَّس حديثٌ آخرٌ لنبيه[ا] ـ صلى اللهُ عليه وآله ـ يناسبُهُ، وهو عَادتُه من العجلة، وأراد زن يردعهُ بقوله: ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ﴾[1] على وجهٍ لا يُوحشه تأديباً له خاصة، ولأُمَّته عامة، وتحقيقاً لقول عائشة ـ رضى الله عنها ـ : [وَكانَ خُلُقُهُ القُرآنَ][2] وسط[ب] بين الكلامين حديث عجلته عند نزول القرآن ليكون كالتمهيد لهذا الردع الفظيع، والإنكار الهائل.

ومن الباب: **الاقتضابُ**:

وهو الخُروج إلى كلامٍ لا علاقة بينه وبين ما خرج منه. وهذا مذهبُ العرب. والبُحترى كثيراً يسلكُ هذا المسلك قال:

«طويل»

أَقُولُ لِرَكْبٍ مُعْنقِينَ[جـ] تَدَرَّعُوا عَلَى عَجَلٍ قِطْعاً مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبَا
رِدُوا نَائِلَ الفَتْحِ بنِ خَاقَانَ إِنَّهُ أَعَمُّ نَدىً فِيكُمْ وأَيْسَرُ مَطْلَبَا

وإنَّما يحسن الاقتضاب إذا فُصْل الخطاب بمثل (أما بعد) كقولهم بعد حمد الله وصلاة نبيه: أمّا بَعدُ، ويسمّى فصل الخطاب أي مبيِّن المبدأ والمنتهى.

ومن الفضل الذى هو أحسنُ من الوصل لفظةُ «هذا» فى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾[3] الآيات فإنَّه تعالى كُلَّما أراد أن يُعقِّب ذكر الأنبياء باباً من الكلام كرَّرها. وفى أبيات السقط:

---

(١) سورة القيامة ٧٥/ ٢٠.
(٢) الحديث فى مسند أحمد ٦/ ١٨٨، ولم يعزه المحقق إلا إلى يعزه المحقق إلا النهاية ٢/ ٧٠.
(٣) سورة ص ٣٨/ ٤٥، والايات ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠.
(ا) هذا التعبير غير لائق ولا جائز على الله تعالى.
(ب) بداية ق ١٦٠ في الأصل.
(جـ) ط: معنفين.

«طويل»

فَوَارِسُ حَرْبٍ يُصْبِحُ المِسْكُ مَازِجاً ... بِهِ الرَّكْضُ نَقْعاً فِى أُنُوفِهِمُ الشُّمِ

فَهَـذَا وَإِن كَانَ الشَّرِيفُ أَبُوهُـمُ ... أَمِيرَ الْمَعَانِى فَارِسَ النثر وَالنَّظْمِ

والثالث : المَطْلَبُ :

وحُسْنُهُ أنْ يخرج إلى الغرض بعد تقدم الوسيلة نحو قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(١).

وما اجتمع فيه حُسْنُ المخلص ، والمطلب قوله تعالى : حكايةً عن إبراهيم - عليه السَّلام قوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِى إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ . الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ. وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ﴾(٢).

وقوله ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْماً وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ ﴾(٣) .

ومنه مـا يروى أنّ نواس سُئِل فى المنام . مـا فـعل اللّهُ بك ؟ قـال : غَفَرَ لى بأبيات تحت وسادتى . فوُجِدَ هناك بطاقةٌ فيها :

يا رَبِّ إن عَظُمَتْ ذُنُـوبِى كَثْـرَةً ... فَلَقَـدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَـفْوَكَ أَعْظَـمُ

إنْ كَانَ لاَ يرجـوك إلاَّ مُحْسِـنٌ ... فَمَـنِ الَّذِى يَدْعُو ، ويرجـو الْمُجْرِمُ

أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَـرُّعا ... فـإذَا رَدَدْتَ يَـدِى فَمَـنْ ذَا يَـرْحَـمُ

مَالِى إليكَ وَسِيلَةٌ إلاَّ الرَّجَـا ... وَجَمِيـلُ عَفْوِكَ ثُمَّ أَنِّـى مُسْلِـمُ

---

(١) سورة الفاتحة ١/ ٥ .

(٢) سورة الشعراء ٢٦/ ٧٧ - ٨٢ .

(٣) سورة الشعراء ٢٦ / ٨٣ .

وقول الآخر :

«وافر»

لِسَانُ الحَـالِ أَفْصَـحُ مِنْ لِسَانِـي ... وَصَمْتِي مِنْ كَلاَمِـي تُرْجُمَـانِي

أَنْتَ لِمَنْ رَمَاهُ الـدَّهْرُ عَـوْنٌ ... فَكُنْ عَوْنِي عَلَى مِحَنِ الـزَّمَانِ

وقول[1] الآخر :

أَهُزُّكَ لاَ أَنِّي عَـرَفْتُكَ نَاسِيـاً ... لأَمْرِيْ وَلاَ أَنِّي أَرَدْتُ التَّقَاضِيَا

وَلَكِنْ رَأَيْتُ السَّيْفَ مِنْ بَعْدِ سَلِّهِ ... إِلَى الـهَزِّ مُحْتَـاجـاً وَإِنْ كَانَ مَاضِيـاً

وقال أُمَيَّةُ بن أبى الصَّلْت :

أَأَذْكُرُ حَـاجَـتِي أَمْ قَدْ كَفَانِـي ... حَيَـوْكَ ؟ إِنَّ شِيـمَتَـكَ الحَيَاءُ

إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ المَرْءُ يَوْمـاً ... كَفَاه مِـن تَعَـرُّضِهِ الـثَّنَـاءُ

الرَّابع : **المَقْطَعُ** :

وحُسْنُهُ أَنْ يختتم الكلام بما يعى السَّامع نيقاً ، والنفس تشويقاً . قال أبو الطيب :

«بسط»

قَـد شَـرَّفَ الـلَّهُ أَرْضاً أَنْتَ سَاكِنُهَا ... وَشَـرَّفَ النَّـاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانا

وأحسنُ المقاطع ما آذَنَ بانتهاء الكلام . قال الغَزِّيُّ :

«طويل»

بَقِيـتَ بَقَاءَ الـدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ ... وَهَـذا دُعَـاءٌ لِلـبَرِيَّةِ شَامِلُ

وقال أبو الطيب :

---

(١) بداية ق ١٦١ فى الأصل .

«وافر»

فَلاَ حَطَّتْ لـــــك الهيجاءُ سَرْحاً وَلاَ ذَاقَتْ لـــــــــــــك الدُّنيا فِرَاقـا

وجميع خواتيم السُّور فى نهاية من الكمال لأنَّها بين أدعية ووصايا، ومواعظ، وتحميدٍ، ووعدٍ، وتعظيمٍ وتبجيلٍ. والله أعلم.

«تَمَّ الفنُّ الأوَّلُ» (حامداً ومصليًا)[1].

(١) فى (ط) (بحمد الله تعالى) .

علم البديع
و
فن الفصاحة

بين الإمام الطيبي والبلاغيين المتأخرين

(ت ٧٤٣ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

[والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين][1].

«ربِّ وفق»[2]

«الفنّ الثاني. في الفَصَاحَةُ»[3]:

اعلم أنّ للنَّاس فى الفصاحة أقوالاً، ولم أجد من ذلك ما يُعوَّل عليه سوى ما أودعه الإمام الفاضل صاحب المثل السائر فى كتابه. وقد بسط فيه إلى أن بلغ شطر الكتاب. وأنا أوردُ خلاصة ذلك مع زيادات مفيدة، وحُسن تأليف. قال: والَّذى استفدته من معرفة الذوق أكثر مما استفدته من ذوق المعرفة. والذى عندى أنّ الفصاحة فى اللغة الظهورُ والبيانُ. يُقالُ: أفصَحَ الصُّبْحُ إذَا ظهر. قال تعالى حكاية عن موسى ـ عليه السَّلام ـ : ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً﴾[4] أى أبينُ قولاً. وعن اللعين[5] فيه ـ عليه السّلام ـ : ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ

(١) مابين القوسين ليس فى (أ) ولا (ط) وأثبتناه من (هـ).

(٢) زيادة من ط ليست فى (أ).

(٣) فى ط: (الفصاحة) وما أثبتناه من (هـ).

(٤) سورة القصص ٢٨/ ٣٤.

(٥) أى فرعون.

﴿هَذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ﴾[1] للكنة لسانه.

وفى الصناعة هى كون اللفظ بيناً حسناً فى حالتى افراده، وتركيبه.

ويقال أيضاً: هى صفةٌ راسخةٌ يقتدر بها المُتكلِّمُ على التعبير عن المقصود بلفظ بيّنٍ حسَنٍ فى حالتى الإفراد، والتركيب. نعنى بقولنا صفة راسخة ثبوتها فى المتكلم، وبيقتدر: شمول حالة النطق وعدمه، وببيّن*: اللّفظ الذى على الألسنة أدور، وبحسنٍ: فى حالتى الإفراد عُذُوبه اللّفظ وسلاسته، وفى حالة التركيب مُلائمةَ التآليف، وتمكُّن التَّرصيف.

وقيل[2] فى التنزيل ما لم يتضح، وأُجيب أنَّ الغُموض من جهة التركيب لايُنافى البيان كما فى قوله ـ صلوات الله عليه «وآله وسلامه» ـ [فَمَن كَانَتْ هجرَتُهُ إلى الله وَإلى رَسُولِه فَهجْرَتُهُ إلى الله وَإلى رَسُولِه][3].

فإنَّ المفردات معلومةٌ لكن المعنى من حيث أنَّ الشَّرط والجزاء شئ واحدٌ مُفتقرٌ إلى التأويل. فَيُقالُ: هى الهجرةُ الكاملة المعروفةُ التى تُستأهَلُ أنْ تُسمى هجرةً. وأنَّ غيرها ليست بهجرةٍ، وقول البحترىّ:

«طويل»

إذَا سَارَ سُهْبٌ عَادَ ظُهْراً عَدُوَّهُ وَكَانَ الصَّدِيقَ بُكْرَةً ذلِكَ السَّهْبُ

فإنّ الألفاظ مفهومةٌ، والغموض من جهة التركيب، وذلك أنَّ هذا المنهزم يطلبُ النجاةُ يُحبُّ ما بين يديه، ويكرهُ ما وراءهُ فإذا خلَّف سَهباً وراءَهُ صار عنده كالعدو فيُؤثرُ بُعدهُ، وقبل الوصول إليه كان صديقاً يُحبُّ قُربَهُ.

---

(١) سورة الزخرف ٤٣/ ٥٢.

(٢) انظر المثل السائر لابن الأثير ق ١/ ٩٢ حيث نقل الطيبى اعتراضه.

(٣) «إلى الله ورسوله» فى (ع). الحديث الشريف فى البخارى «إيمان» / ٤١، وفى مسلم «إمارة»/ ١٥٥.

* بداية قـ ١٦١ فى الأصل.

وَإنَّ البلاغة هى الوصول والانتهاء [1] يُقالُ: بلغتُ المكان إذا انتهيتُ إليه، ومبلغُ الشئ: مُنتهَاهُ. وفى الصناعة بُلوغ المتكلم فى تأدية المقصود الغاية من رعاية حُسْن اللفظ وتوفية المعنى بحسب اقتضاء المقام.

فالفصيحُ يبحثُ عن معرفة الألفاظ المُفْرَدَةِ، ثم عن معرفة كُلَّ لَفظة مع صاحبتها.

والبليغُ يبحثُ عَنْهُمَا، وعن تطبيق الكلام فيما يقتضى المقامُ. فإذاً الفصاحةُ تختصُ باللَّفظ، والبلاغةُ تعمُّ اللَّفظ، والمعنى ، ويقالُ للفظ المفرد فصيحٌ لا بليغٌ، فعلى هذا كُلُّ بليغ فصيحٌ ولا ينعكسُ.

وقد ضرب الفاضل مثلا [2] وذلك أن الكلام كالإنسان والفصاحة فى التركيب كالحُسن فى الجسم، وفى المفرد كالحُسن فى كُلِّ عُضوٍ، والبلاغة كالرُّوح فيه فإذا حَسُنت الأعضاءُ، وتناسبت التراكيبُ، وكمُلت الرّوحُ بلغ الغاية فى الجمال، والكمال، وفيه بابان:

---

(١)، (٢) انظر كلام الفاضل ابن الأثير فى المثل السائر ١/ ٩٤ فى تعريف البلاغة والمثل الذى ضربه للفصاحة والبلاغة.

البَابُ الأَوَّلُ
«في أَوْصَاف اللَّفظة المفردة»:

وهى ستة:

الأولى: ما يكون تركبها من الحروف اللذيذة العذبة لأنَّها أصواتٌ، ولها مخارجٌ تُشبهُ المزامير، ولكُل ثُقبة منها صوتٌ يُخصُّها.

نقل الإمام[1] عن الخليل أنّ الذَّلاقَةَ فى المنطق إنَّما هى بطرف أسلة اللسان، وهى مستدقُّهُ وحروفها (رَ نَ لْ)[2]، والملحق بها الشفهية وهى (فبم) (ف - ب - م) ولسهولتها كثرت فى الأبنية وشُرط فيما عدا الثلاثى أن لا ينفك عن شئ منها.

وقال الخليل: «العينُ، والقافُ لايدخُلان فى بناء إلاَّ حَسَّنَاهُ لأنَّهما أطلق الحروف. فالعينُ أنصعُها جرساً، وألذُّها سماعاً، والقافُ أمتنُها، وأصحُّها جَرْساً».

وقال الفاضل(٤) يجبُ على المتكلم أن يجتنب من الحروف ما يضيق به مجال التقفية نحو (ثخذْ شط) سيَّما نحو: (ضظغ)(٥)، فإنَّ الواضع لم يضع عليها ألفاظاً عذبة.

---

(١) الإمام هو الرازى، انظر كلامه فى نهاية الإيجاز ص ١٢٠.

(٢) انظر المثل السائر لابن الأثير ١/١٩٥.

(٣) قول الخليل فى العين ١/٥٣.

(٤) ابن الأثير / المثل السائر ١/١٩٥.

(٥) انظر المثل الثائر ١/١٧٩.

* بداية ق ١٦٣ فى الأصل.

قال الشيخ:[1] إنَّ للحروف فى أنفُسِها خواصَّ مختلفةً، فالفصمُ لكسر الشئ من غير أن يبين، والقصمُ لكسره حتى يبين ولهذا قيل فى قول أبى العلاء يصفُ غَديراً:

«وافر»

أجَدَّ بِهِ غَوَانِى الجِنِّ لعباً ... فَأعْجَلَهَا الصَّبَاحُ وَفِيهِ جَانُ

فَصِيمٌ نِصْفُهُ فِى الْمَاءِ بَادٍ ... وَنِصفٌ فى السَّمَاءِ بِهِ تُزَانُ

إنَّ القصيم بالقاف أولى إذ المرادُ أن الجان وهو السِّوارُ شَقَّ نصفين، نصفٌ يلوحُ فى الماءث، ونصفٌ يُزان به السَّماءُ.

وكذا الثَّلم للخلل فى الجدار، والثَّلبُ فى العِرض. والزَّفيرُ والزَّئيرُ لصوتى الحمار والأسد.

ويجتنبُ أيضاً فى التأليف عما قَرُب مخارجها سيما حروف الحَلْقِ فإنَّها مُتناهيةٌ فى الثقل.

سُئل أعرابى عن ناقته. قال: «تركتُها تَرْعَى الْهُعْخُعَ» وقال أبو تمام:

«طويل»

كَرِيمٌ مَتَى أمْدَحْهُ أمْدَحْهُ والْوَرَى ... معى، وإذا مَا لُمتُهُ لُمتُهُ وَحْدِى

وقال امرؤ القيس:

«طويل»

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلَى الْعُلَى ... تَضِلُّ الْمَدَارى فى مثنًى ومُرْسَلِ

فإن (فى)[2] توسيط الشين وهو من المهموسة الرَّخوة بين التاء وإنَّها من المهموسة الشديدة، وبين الزّاى وإنَّها من حروف الصفير المجهورة من التنافر ما لا

---

(١) الشيخ هو السكاكى انظر المفتاح طـ الأدبية ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٢) فى (أ) (من) ، والصواب ما أثبتناه .

يخفى فلو قيل: (مُسْتَشْرِفَاتٌ) لزال الثقلُ.[1]

قال ابن سنان: [2] اللفظُ الفصيحُ هو الذى تباعدت فيه المخارجُ وعُورض[3] ببعض الحروف الشَّجَرِيَّة وهى «شيج» فإنّ مخارجها بين وسط اللسان، والحَنَكَ، [أ]فإذا تركَّبَ منها مثلُ: (جَيْش)، و(شجى) لم يَثْقُلْ[4]، ثم نوقض بمثل (مَلَعَ)[5] فإنَّها متباعدةُ المخارج مع أنَّه غير فصيح، ولو عكس، وقيل: عَلِمَ صارت حسنةً[ب].

قيل: الصُّعودُ من الحلق إلى الشفة أيسرُ من الحُدُورِ منها إليه، وردَّ بنحو: بلَغَ، وغَلَبَ[6].

والثانية: أنْ يجتنب فى التركيب عن الزَّائد على الحركتين المتواليتين، وعن الحركة الثقيلة على بعض الحروف كالضَّمَّة على نحو: جُزُعٍ سيَّما إذا ضُمَّ معه ضَمَّ الزاى، ولو فُتح، أو فُتحا، أو كُسر حَسُنَ[7].

قال الشيخ إن للحركات أيضاً [جـ] خَواصَّ، ومن ثم قيل فى نحو: حَيَدَى والنَّزَوَانِ اضطرابٌ[8]. وفى نحو: شَرُف، وكَرُمَ أنَّها أفعالُ الطَّبائع.

وقد اشترط بعضُهُم أن يحترز عن أسباب خفيفة متوالية فإنَّها مما ينقُص من سلاسة الكلمة وجريانها كقولهم: «الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ» إذ ليس فيه كلمةٌ تجمع حرفين متحرِّكين معاً إلاَّ فى موضعٍ.

---

(١) القول فى المثل السائر ١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦. وهذا الكلام ليس مقبولاً على إطلاقه، إذ إن الكلمة قد تكون موحية بالمعنى الفنى الذى قصد إليه الشاعر بتركيبها المتنافر لأنه قد يعبر به الشاعر عن معنى التنافر كذلك، وهذا هو الظاهر هنا فى وصف امرىء القيس لشعر محبوبته. وهذا ما يميل إليه أساتذة البلاغة المعاصرون، وقد أفضت الكلام على هذه النقطه في حديثى عن اهتمام الطِّيبى بالفصاحة فى رسالتى للماجستير ط المكتبة التجارية كذلك.

(٢) انظر سر الفصاحة لابن سنان، وما ذكره ابن الأثير عنه فى المثل السائر ١/ ١٧٣.

(٣) يقصد بذلك ما عارض به ابن الأثير فى المثل السائر ١/ ١٧٣ وما بعدها.

(٤) المثل السائر ١/ ١٧٣.

(٥) المثل السائر ١/ ١٧٤.

(٦) المثل السائر ١/ ١٥٤ وفى (أ) (ينحو لم وملح).

(٧) المثل السائر ١/ ١٧٤.

(٨) المثل السائر ١/ ١٧٢.

(أ) طـ : وإذا.

(ب) سقط من (أ) ما بين القوسين.

(جـ) بداية ق ١٦٤ فى الأصل.

والثالثة: أنْ تكون متوسطةً بين قلَّة الحروف وكثرتها.

قال الإمام: [1] اللفظ المركب من ثلاثة أحرف هى المتوسطة لاشتمالها على المبدأ، والمُنتهى، والوسط، وسببُ حُسْنه أن الصوت تابع للحركة، (والحركة)[ا] لابدَّ لها من هذه الأمور.

والثُّنائيَّاتُ قاصرة، والرُّباعيات مُفرطةٌ. ولهذا عيب أبو الطيب بقوله:

«كامل»

إنّ الكِرامَ بلا كِرَامٍ مِنْهُمُ ... مِثْلُ القُلُوبِ بِلاَ سُوَيْدَاوَاتِهَا

وليس منه إذا أريد بزيادة الحروف زيادة المعنى. قال الفاضل[ب]: اللفظ إذا نُقل من وزن إلى آخر أكثر منه تضمَّن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا لأن إبانة الألفاظ لإبانة المعانى كما أنّ فى (اخْشَوْشَنَ) زيادةً ليست فى (خَشُنَ)، ومن ثم عُدل من (قَدَرَ) إلى (اقْتَدَرَ) فى قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾[2].

لدلالة الأمر على التفخيم، وشدّة الأخذ، أو على بسطة القُدرة وعليه قول أبى نواس:

«كامل»

فَعَفَوْتَ عَنِّى عَفْوَ مُقْتَدِرٍ ... حَلَّتْ لَهُ نِقَمٌ فَأَلْغَاهَا

أى عفو قادر متمكن القُدرة لا يردُّه شىءٌ عن إمضاء قُدرته وقوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾[3] كُرِّر الكبّ دلالةً على الشِّدة،[4] وقال جار الله[5]: الزيادة فى البناء، يدلُّ على الزيادة فى المعنى، ومن ثم دلَّ الرَّحمانُ على جلائل النِّعم، والرَّحيم على دقائقها.

---

(١) يقصد الرازى ، انظر نهاية الإيجاز ص ١٢٥ الأدبية.
(٢) سورة القمر ٥٤/ ٤٢.
(٣) سورة الشعراء ٢٦/ ٩٤.
(٤) انظر المثل السائر ٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٣.
(٥) الكشاف ١/ ٤١ .
(ا) سقطت من (ا) .
(ب) انظر المثل السائر .

وأورد لفظ التصغير[1]، وأجيب عنه أن التعظيم [2] فى نحو قول لبيد:

«طويل»

وكـلُّ أُنـاسٍ سـوْفَ يَدْخُلُ بَيْتَـهُمْ دُوَيْهِـيَةٌ تَـصْفَرُّ مِنْـهَا الأَنَـامِلُ

[والحُنوّ فى قوله تعالى حكاية عن إبراهيم ـ عليه السَّلام: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾[3]] [4] والتحقير[5] فى قوله ـ صلى اللهُ عليه وآله وسلم (يا أَبَا عُمَيْرِ مَا فعلَ النُّغَيْرُ؟)(روائد)[6] وقول أبى الطيب:

---

(١) أى أعترض بلفظ التصغير . .

(٢) فى ط (بأن التعظيم)، وفى (أ) و(هـ) (أن التعظيم) وهو ما أثبتناه.

(٣) سورة الصافات ٣٧/ ١٠٢.

(٤) ما بين القوسين سقط من (هـ) و(ز).

(٥) فى (هـ) (والحنو) وما أثبتناه من (أ) وهو أرجح من جهة المعنى فيكون المراد أن النبى صلى الله عليه وسلم صغَّر النُّغير لتحقيره ليهون على الطفل فقده، ويسليه بذلك. أما فى (هـ) فقد سقط ما بعد الحنو وهو ما بيناه فى هامش (٤) ثم حذف كلمة التحقير ووضع الحنو مكانها فهو سقط من الناسخ .

(٦) الحديث ورد فى المطبوع مصحفاً تصحيفاً عجيباً، ومزادا عليه ماليس منه، فقد ورد بلفظ: «يا أبا عُمير ما فعل النغير زوائد!» والعجيب أن هذا الحديث صحفه الأولون فقالوا «يا أبا عَمير مافعل البعير» وصحفه بعض المعاصرين فقال: «يا أبا عَمير مافعل النَّغير»، والحديث فى المخطوط، وهو كذلك فى صحيح البخارى فى الأدب باب الكُنية للصَّغير فى /٦٢٠٣ والترمذى فى المزاح والبر والصلة ٣/ ٢٤٠ «يا أبا عُمَير مافعل النُّغَير؟» بالتصغير فى عُمير ونُغَير، أما كلمة «زوائد» فهى ليست من أصل الحديث فى أى رواية من رواياته وليس لها معنى فيه البتّة ولعلها محرفة عن (للزوائد) أى الزيادة فى المبنى الناشئة عن التصغير، والراجح أنها خبر أنّ فى قوله إنّ التعظيم . . والحنو . . والتحقير . . للزوائد فأدخلها المحقق فى لفظ الحديث، وبناء على تحريف المحقق للحديث فقد عزّ عليه العثور عليه بلفظه المحرف، فوجد لفظاً شبيها بالمحرف فعزاه إليه فقال: «الحديث فى أحمد بن حنبل ٤/١٢٩، ٢٠١ [يا أبا عامر ألا غيّرت]» وهذا حديث آخر لاعلاقة له بحديثنا من قريب أو من بعيد.

والنُّغَير: مصغر نُغَرَة قال صاحب مختار الصحاح: «بوزن الهُمزة واحدة النُّغَر وهى طير كالعصافير حُمر المناقير، وتصغيره جاء الحديث: «يا أبا عُمير مافعل النُّغير» وأبو عمير هذا كان أخا لأنس وكان النبى صلى الله عليه وسلم يداعبه، فعن أنس قال: كان النبى صلى الله أحسن الناس خلقا، وكان لى أخ يقال له أبو عمير ـ قال أحسبه فطيماً ـ وفى رواية (وكان إذا جاء (يعنى النبى صلى الله عليه وسلم) لأم سليم يمازحه» وفى رواية أخرى «يضاحكه»، وفى رواية «فزارنا ذات يوم فقال: يا أم سليم ماشأنى أرى أبا عمير ابنك خاثر النفس» أى ثقيل النفس، غير نشيط، وفى رواية: «فجاء يوما وقد مات نغيره، الذى كان يلعب به . فوجده حزينا» فسأل عنه فأخبرته أمه فقال: يا أبا عُمير مافعل النُّغير؟ وفى رواية «فجعل يمسح رأسه ويقول: يا أبا عُمير مافعل النُّغير؟» ملخصا من فتح البارى ١٠/ ٥٩٨ ـ ٥٩٩ ط الريّان.

«وافر»

وكَانَ ابْنَـــا عَـــدُوٍّ كَاثَـــرَاهُ لهُ يَـــاءَى حُـــرُوفِ أُنَيْـــسَانِ

معناه زيادة أولاد العدوّ كزيادة يَائى التصغير فيه[1] فإنّهما زيادة نقص تحطُّ قدره، وتُسقطُ وصفهُ كذلك عدو هذا الممدوح له ابنان يُكاثر بهما، وهما يُكثران عدده، ويُنقصان من قدره، ويضعان منه لسقوطهما فى أنّهما إذا طُرحتا لا تُغيّران الكلمة بل يزولُ التصغير بسبب حذفهما لا أنّ[2] التصغير لايزيد فى المعنى.

وقال الفاضل: ههنا نكتةٌ، وهى أنّ المعنى إنما يزيد إذا كان هناك نقل كما فى قَتَل إلى (قَتَّل). وإمّا إذا لم يكن نقلاً (كما فى قوله تعالى: وكلّم اللهُ موسى تكليما «لم يزد إذ[3] ليس فى كَلَّمَ (نَقْلٌ)[4] فَدَلَّ على حصول الكلام معه لا التكثير منه[5].

والرابعة: أنْ لاتكون وحشيةً غير مألوفة لأنّها تُخالف الظُّهور، والبيان.

وروى عن عيسى النحوى أنه سقط عن دابته، فاجتمع عليه النّاسُ. فقال: «ما لَكُم تَكَاكَأْتُم عَلَىَّ تَكَأْكُؤَكُم عَلَى ذِى جِنَّة؟! افْرَنْقِعُوا عَنِّى». أى اجتمعتم، تَنَحوا.

وإن شئت فَجَرِّبْ قولك فى لفظ المُدامة، والسيف والأسد، ولفظ الإسفنط، والخَنْشَلِيل، والفَدَوْكَس.

والخامسة: أنْ لا تكون مبتذلة، والابتذالُ نوعان:

أحدهما: ما غَيَّرَتْهُ العامة من أصل الوضع كلفظ (الصُّرْم) للقطع جَعَلَتْه للمحلّ المخصوص (بإبدال الصّاد سِيناً)[6]، ومن ثم قَبُح قولُ أبى الطَّيب:

«طويل»

وَرِقَّةُ وَجْهٍ لـــــــــو خَتَمْتَ بِنَظْرَةٍ عَلَى وَجْنَتَيْهِ مَا انْمَحَى أَثَرُ الْخَتْمِ
أَذَاقَ الغَوَانِىْ حُسْنُـــــــهُ مَا أَذَقْتَنِـــى وعَفَّ فَجَازَاهُنَّ عَنِّى عَنِ الصُّرْمِ

ولو استعملت بنحو: (صَرَمَ يَصْرِمُ)[7]، أو استعمله البدوى كأبى صخر الهذلى:

---

(١) طـ: فى أنهما.
(٢) بداية ق ١٦٥ فى الأصل. وفى طـ (لان) بدل (لا ان).
(٣) سقط من (طـ)
(٤) طـ: ثقل وهو تصحيف.
(٥) ملخصا من المثل السائر ٢/ ٢٤٥ - ٢٤٦.
(٦) فى (أ) (بإبدال السين صادا) وما أثبتناه هو الصواب.
(٧) طـ: ص حَرَم يصرُم بالضم وما أثبتناه هو المضبوط فى (أ).

«كامل»

وقَدْ كـــــانَ صُرْمٌ فـى الْمَمَاتِ لَنَا فَعَجَّـــــلْتِ قَبْـــلَ الْمَوْتِ بِالـصُّرْمِ

(لم يُستَقْبَحْ)*.

وثانيهما: ما تكون سخيفةً فى أصل الوضع كاللَّقَالق فى قول المتنبىّ:

«طويل»

وملمـومَةٍ سَيْفـــيَّةٌ رَبَعِيـــــةٌ تَصـــحُ الحَصَـــا فِيـــهَا صِيَاحَ اللَّقَالِقِ

ولفظ (الآجُرِّ) فى قول النابغة الذُّبيَانىّ:

«كامل»

أَوْ دُمْيَـــــةٍ فى مَرْمَرٍ مَرْفُوعَـــةٍ بُنِيَـــتْ بِآجُـــرٍّ يُشَـــادُ بِقَرْمَـــدِ

ولهـــذا عُدل منـه فى التنزيـل إلى قـــوله: ﴿**فَأَوْقِدْ لِي يا هَامَـــانُ عَلَى الطِّينِ**﴾[1] ومن القرمد للغرابة.

والسادسة: أن لا تكون مُشتركة بين معنيين:

أحدهما مكروهٌ، وجيء بهـا مُطلقة كما لو قيل: لقيتُ فلاناً فعزَّرتُهُ لاحتـمالها أنَّكَ ضَرَبْتَهُ، أوْ أكرمتَهُ. فلو قيـدت كمـا فى قوله تعـالى: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ**﴾[2] وقـوله ـ صلى الله علـيـه وآله وسلم: [لا يُلْدَغُ الْمُؤمِنُ مِن جُحْرٍ مَرَّتين][3] لزالت الكراهية، وممَّن أطلق أبو تمام حيث قال:

---

(١) سورة القصص ٢٨/ ٣٨.

(٢) سورة الأعراف ٧/ ١٥٧.

(٣) الحديث الشـريف فى المثل السائـر ١/ ١٨٧ [المُؤْمِنُ لا يُلْسَعُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَين]، والحديث كرواية الطيبى فى أنوار الربيع ٢/ ٦١ وفى البـخـارى (أدب)/ ٨٣، ومسـلم (زهد)/ ٦٣، وأبو داود (أدب) ٢٩ وفى نثـر الدر ١/ ٢٦٤ «لا يلسع»، وكذلك فى البيان والتبين ٢/ ١٦ «لا يلـسع».

* (أ) : (ثم يستفتح) وهو تصحيف من (لم يُستقبح) .

«كامل»

أَعْطَيْتَنِى دِيَةَ الْقَتِيـــــــلِ وَلَيْسَ لِى عَقْلٌ وَلا حَقٌّ عَلَيْكَ قَدِيـــــــمُ

فلو قيل: ولَيْسَ لِى عليْكَ عَقْلُ، لزال اللَّبْس.

تتميم: واعلم أنَّ من الألفاظ مـا لو غُيِّر لانقلب قبحُهُ حُسناً فإنَّ لفظة (وَدَعَ)[1] جاءت بشعةً فى قول أبى العتاهية:

«منسرح»

أَثْرَوْا فلَمْ يُدْخِلُوا قُبـــــــورَهُمُ شَيْئـــاً مِنَ الثَّرْوَةِ الَّتـى جَمَـــعُوا

وكـــــانَ مـــــا قَدَّمُوا لأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ نَفْعـــــاً مِنَ الَّذِى وَدَعُوا

حيث استعملها ماضياً، ثم انقلبت حسنة فى قول أبى الطيب: [1]

«بسيط»

تَشـــــــقُكُمْ بِقَنـــــاهَا كُلُّ سَلْهَبَةٍ وَالضَّرْبُ يأخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ مـــــا يَدَعُ

حيث جاءت مُضارعاً. وأحسنُ منه استعمال التنزيل: ﴿**وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ**﴾[2] على صيغة الأمر.

وفى الألفاظ النبـوية: [دَعُوا الحَبَشَةَ ما وَدَعُوكُمْ، واتْرُكُوا التُّرْكَ ما تَرَكُوكُمْ][3] لما فى كل من الفقرتين من ردّ العجز على الصدر مما(ب) جبر منه.

وقولهم يحتملُ أن قال ـ صلوات الله عليـه وآله ـ [ما وَادَعُوكم] لا افتقار إليه، وأن اللُّبَّ لا تجيء حسنة[4] إلاَّ مجـموعة، أو مـضافةً أو مضـافاً إليهـا. قال الله

(١) البيت لأبى الطيب فى العرف الطيب ٢/٣٢٢، وفيه «بقناها» مكان «بقناها». وقناها: فارسها. والقنا: الرّماح. والسـهلبة: الطويلة من الخيل.

(٢) سورة الأحزاب ٣٣/٤٨.

(٣) الحديث الشريف رواه أبو داود (ملاحم)/٨.

(٤) فى ط: لايجيء حُسْنُه.

(أ) بداية ق ١٦٦ فى الأصل.

(ب) ط: ما

تعالى: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[1]. وقال ـ صلوات الله عليه ـ : [مَا رأيتُ من نَاقِصاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجل الحازم مِن إحداكُنَّ][2]. وقال جريرُ:

«بسيط»

إنَّ العُيونَ التى فى طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلانَا

يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حَتَّى لا حِرَاكَ بِهِ وهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ أَرْكَانَا

ولفظة الأرض حُسنُها أن تجيء مُفْرَدَةً ، وفى التنزيل حيثُ ذُكرت السَّماءُ مجموعة ذُكرتْ مفردةً، ولما أُريدَ الجمع قيل: ﴿وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[3] واللهُ أعلم.

---

(١) سورة ص ٣٨/ ٢٩.

(٢) الحديث الشريف فى النهاية ١/ ٣٧٩ وفيه «لِلُبِّ الحازم» أى أذهب لعقل الرجل المحترز فى الأمور المستظهر فيها والحديث رواه البخارى (حيض).١٦، زكاة/ ٤٤، ومسلم (إيمان)/ ١٣٢ والترمذى (إيمان)/ ٦، وأبو داود فى الملاحم ٤/ ١١٢.

(٣) سورة الطلاق.

البابُ الثاني
«في أوْصافِ التراكيب»(١)

وهى خمسةٌ:

الصفة الأولى: ما تكونُ مصبوبةً فى قالب الصنعة البديعيّة مما يختصُّ بحُسن اللفظ وهى (سبعة) أنواع:

النوع الأوّل: **الجنَاسُ**:

وهو تشابُهُ الكلمتين فى اللفظ وهو على أقسام:

الأوّل: **التَّجْنيسُ التَّامُّ**: وهو اتفاقُ اللفظين فى الحروف، والهيئة، والترتيب، وهُو إمّا بين اسمين كقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ**﴾(٢).

وقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حين نازعَتِ الصّحابَةُ جريراً [دَعُوا جَرِيراً وَالْجَرِيرَ](٣) أى دعوا زمامهُ وقول على ـ عَلى ـ عليه الصلاة والسلام ـ «صولةُ الباطل ساعةٌ وجولة الحقّ إلى السَّاعة»، وقال المهرانىُّ:

«المنسرح»

تَزْهُو عَلَيْنَا بِقَوْسِ حَاجِبِهَا ... زَهْوَ تَمِيمٍ بِقَوْسِ حَاجِبِهَا

---

(١) انظر الإيضاح بشرح د. خفاجى ص ٥٣٥.

(٢) سورة الروم ٣٠/ ٥٥.

(٣) الحديث الشريف، فى النهاية ١/ ٢٥٩ قال ابن الأثير: ان الصحابة نازعوا جرير بن عبدالله ـ رض ـ زمامه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [خَلُّوا بَيْنَ جَرِيرٍ والْجَرِير] أى دَعُوا له زمامه.

(ومثلُه لجار الله):

«طويل»

وكُـلُّ وَفَاءٍ كـانَ فى قَوسِ حَـاجِبٍ وَأَنْتَ جَمَعْتَ الغَدْرَ فى قَوسِ حَاجِبِ)[أ]

وقال الآخرُ:

«طويل»

[ب]وكَمْ مِنْ سُيُـوفٍ أُغْمِدَتْ فى جُفُونِهَا إِذَا شَهَرَتْ أسيَافَهـا مِن جُفُـونهـا

وقال الآخرُ:

«مديد»

حَدَقُ الآجَالِ آجَالُ والهَوَى لِلْمَرْءِ قَتَّالُ

أو بين فعل واسم قال:

«طويل»

سَمَّيْتُـهُ يَحْيَـى لِيَحْيَـا فَلَمْ يَـكُنْ إِلَـى رَدِّ أَمْـرِ اللهِ فِيهِ سَبِيـلُ

والثانى: **الناقص**:

وهو أن يختلفـا فى الهيـئة دون الصورة، قـال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنا فِيهِمْ مُنذِرِينَ. فَانْظُرْ كَيْفَ كَـانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ**﴾ (١) وقال ـ صلوات الله عـليه وسلامُهُ ـ : [اللَّهُمَّ كَما حَسَّنْتَ خَلْقِي حَسِّنْ خُلُقِي] (٢). وقال الآخر:

«طويل»

---

(١) سورة الصافات ٣٧/ ٧٢ ـ ٧٣.

(٢) الحديث الشريف فى مسند أحمد بن حنبل ١/ ٤٠٣، ٦/ ٦٨، ١٥٥.

(أ) ما بين القوسين سقط من (أ).

(ب) بداية ق ١٦٧ فى الأصل.

قَعَدْتَ تُرِيدُ الرِّزْقَ يأتِيكَ وَادِعاً ... وَلِلطَّرْفِ مَكْدُودٌ، ولا الطَّرْفَ سَاهِرُ

فهَلْ يَقْطَعُ السَّيفُ الطُّلاَ وهُوَ مُغْمَدٌ؟ ... وَهَلْ يَصْرَعُ اللَّيْثُ الطَّلا وهوَ خَادِرُ

وقال الصَّاحبُ عميد الدين:

«بسيط»

طَوَرُ بن سِينَا زماناً قد قُرِفْتُ بِهِ ... ومَا دَرَوا أَنَّنِي ذُو طُورِ سِينَاءِ

فَاضَتْ عَلَيَّ لَدُنِيّاً زواخِرُهُ ... مِنْ كَوْثَرِ الْمُصْطَفَى طُوبَى لآلآءِ

والثالث: **الزائد**:

وهو أن يُزاد حَرفٌ فى الأول كقوله تعالى: ﴿**والتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاق إلى ربك يومئذ المساق**﴾(١).

وفى الثانى: كقولك: (وَجَدّى جَهْدِى).

أوْ فى الثالث، ويُسمى مذيّلا. قال أبو تمام:

«طويل»

يَمُدُّونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ ... تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ

وقد يُزادُ أكثر من حرفٍ قال:

«طويل»

فَيَا لَكَ مِنْ حَزْمٍ وعَزْمٍ(٢) طَوَاهُمَا ... جَدِيدُ البِلَى تَحتَ الصَّفَا والصَّفَائِحِ

والرَّابع: **المضارعُ**:

وهو أن يختلفا بحرف واحدٍ مع تقارُب المخرج أما فى الأول فكقولك: (لَيْلٌ

(١) القيامة ٧٥/٢٩ - ٣٠.

(٢) ط: عزم وحزم

دامسٌ، وطَرِيقٌ طَامِسٌ) أوْ فى الوسط فكقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ (١). وقولُهُمْ: (البَرايا أهدافُ البَلاَيا)، أو فى الآخر فكقوله صلى اللهُ عليه وآله وسلم: «الخَيْلُ مَعْقُود بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ» (٢).

والخامسُ: **اللاحِقُ**:

وهو أن يختلفا لا مع تقارُب المخرج: . أما فى الأول فكقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ (٣) وقولهم: (رُبَّ وَضِيٍّ غَيرِ رَضِيّ)، أو فى الوسط فكقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذلِكَ لَشَهِيدٌ. وإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (٤)، أو فى الآخر فكقولهم: (الْمكارِمُ بِالْمكارِهِ) و (التواضُعُ شَرَكُ الشَّرَفِ) وقال:

«طويل»

نَظَرْتُ الكَثِيبَ الأَيْمَنَ الفَرْدَ نَظْرَةً فَرَدَّتْ إِلَىَّ الطَّرْفَ تَدمِى وتَدْمَعُ

والسادس (٥): **الْمُرَكَّبُ**:

وهو أن يتمَّ بتركيب كلمتين، وهو إما أن لا يختلفا خطّاً كقول أبى الفتح:

«متقارب»

إذا مَلِكٌ لَمْ يكُنْ ذَا هِبَهْ فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَهْ

وقولهم: (إنْ عَلَتْ دَولَةُ أُغَادْ، فصنْع الله رائحٌ أو غَادِ)، أو أنْ يختلفا فيه.

---

(١) سورة الأنعام ٦/٢٦.

(٢) الحديث رواه البخارى ٤/٢٥٢ ط الشعب، ومسلم ح/١٤٩٢ ـ ١٤٩٣ بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقى، وأبو داود فى الجهاد / ٤١، وانظر تمام تخريجه فى المجمع ٤/٢٥٩.

(٣) سورة الهمزة ١٠٤/١.

(٤) سورة العاديات ١٠٠/٧ ـ ٨.

(٥) بداية ق ١٦٨ فى الأصل .

قال أبو العلاء فى الدِّرعيَّات:

«طويل»

مَتَى مِيرُ[1] مَجْدٍ غَيرِ مُنْهَدِمِ الذُّرَى مَسَامِيرُ دِرعٍ غيرِ طائشةِ العَزْمِ

قوله: (ميرُ مجدٍ) مستعارٌ من ميرة الطعام. وقال الصَّاحِبُ قوامُ الدين القمىّ:

«بسيط»

مَاتَ الكِرَامُ وَمَرُّوا وَانقَضَوا، ومَضَوا

وَمَات فى إِثْرِهِم تِلْكَ الكَرَامَاتُ

وَخَلَّفُونى فى قومٍ ذَوِى سَفَهٍ

لَو أَبْصَرُوا طَيفَ ضَيفٍ فى الكَرَى مَاتُوا

والسَّابع: **الْمُزْدَوَج**:

ويُسمَّى مُرَدَّداً، وهو أنْ يقع فى أثناء القرائن لفظان مُتجانسان. قال تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾ [1]، وفيه ادماجُ معنى تتميم المكافحة الذى (تُعْطِيه) [2] أَحَطْتُ. وقال صلى اللهُ عليه وآله وسلم: «الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ» [3].

وقال البُحترىُّ:

---

(١) سورة النمل ٢٧/ ٢٢.

(٢) «التى يعطيها» فى (ع).

(٣) الحديث عزاه الزيلعى فى تخريج أحاديث الكشاف ق ١٧١ (مخطوط بدار الكتب المصرية ١٣٢ حديث) لابن المبارك فى الزهد والبيهقى فى الشعب.

(أ) ط: مسامير، وكتبناها على الهيئة المثبتة فى (أ).

مِنْ كُلِّ سَاجِ الطَّرْفِ أجْـيَدَ اغْيَـدِ ومُهَفْهَـفِ الكَشْحَين أحْـوَى أحْوَرِ

وقال الآخر يرثي الصَّاحِبَ:

مَضَى الصَّاحِبُ الكَافِي وَلَمْ يَبْقَ بعْـدَهُ كَرِيـمٌ يُرَوِّي الأرْضَ فَيْضُ غَمـامِـهِ

فَقَدْنَاهُ لَمَّا تمَّ وَاعْـتَمَّ بـالـعُلَى كَذَاكَ خُسُوفُ البَدْرِ عِنْدَ تَمَامِـهِ

والثَّامِنُ: **الخَطِيُّ**:

وهو أن يُؤتَى بكلمتين مُتشابهتين خَطّاً لا لَفْظاً. قال تعالى: ﴿**وَهُمْ يَحسَبُونَ أنَّهم يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾(١) وقال ـ صلى اللهُ عليه وآله وسلم ـ «عَلَيْكُم بالأبْكَارِ فَإنَّهُنَّ أشَدّ حُبّاً، وأقَلُّ خِبّاً»(٢).

وقال علىٌّ ـ (رضى الله عنه) ـ : [قَصِّر من ثيابكَ فإنَّهُ أتْقَى، وأنْقَى، وَأبْقَى]، وقال أبو على الدَّقَّاق(٣) (مَعْرِفَةٌ رَسْمِيَّةٌ كَقَطْرَةٍ وَسَمِيَّةٍ لاَ عَلِيْلا تَشْفِى، وَلاَ غَلِيْلاً تَسْقِى).

قوله: رسميَّةٌ، ووسميَّةٌ من اللاحق.

وقيل لفاضل: استنصح ثقةً ايشِ تصحِيْفُه؟ قال: أتيْتَ بتصحِيفِه.

والتَّاسِعُ: **المُشَوَّشُ**:

وهو كُلُّ تجنيس يتجاذبُه طرفان من الصَّنعة كقولهم: (فُلان مَليحُ البلاغَةِ أنيقُ البَرَاعَة)، ولَو كانت عَيْنا الكلمتين متّحدتين لكان تجنيس تصحيفٍ، أو لامَاهما

---

(١) سورة الكهف ١٨/١٠٤.

(٢) الحديث فى ضعيف الجامع للألبانى ٣٧٥٦ وقد عزاه لأوسط الطبرانى وللضياء فى المختارة عن جابر وهو فى حسن التوسل/١٩٢، والطراز ٢/٣٦٦. والخِبُّ: الخداع.

(٣) فى ط : وقال أبو على : (الرقاق ..... إلخ وهو تحريف فاحش .

لكَان مُضارعا.

والعاشرُ: **التجنيسُ بالإشَارَة:**

كقوله:

«الرمل»

حُلِقَتْ لِحْيَةُ مُوْسَى بِاسْمِهِ وَبِهَارُونَ إِذَا مَا قُلِبَا

والحادى عَشَرَ: **الاشتقاقى:**

وهو أن يؤتى بألفاظ تجمعها حروفها الأصلية فى معنى، وهو ضربان:

الأوَّل: أنْ تجمعها بترتيب، وذلك بأنْ يُؤتَى بفرعين فصاعداً فتُردَّ إلى الأصل بواسطة ترتيب حُرُوفها كما إذا قُلْتَ: (سَلِمَ يَسْلَمُ، (وهو سالم) [1] ومُسْلِمُ) إلى غير ذلك فإنَّها تجمَعُها* فى معنى السَّلامة وهو المُسمَّى بالاشتقاق الصغير مثاله من التجنيس قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾[2]، وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القيامَة» [3] وسُئل الشَّافعىُّ رضى الله عنه عن النَّبيذ، فقال: (أَجمَعَ أَهْلُ الْحَرَمَيْنِ عَلَى تحريمه).

ودخل ثعلبٌ على أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ ومجلسُهُ غاصٌّ بأهله، فجلس إلى جانبه، وقال: (أخاف أنْ أكونَ ضَيَّقْتُ عَلَيْك عَلى أنَّه لا يَضيقُ مجلسٌ بمتحابَّين، ولا تَسَعُ الدُّنيَا مُتَبَاغِضَيْنِ). فقال أحمَدُ (الصَّدِيقُ لا يُحَاسبُ، والعَدُوُّ لاَ يُحتَسَبُ له).

والثانى: أنْ يجمعها من غير ترتيب، وذلك بأنْ يُؤخَذَ أصلٌ ويُعقد عليه، وعلى

---

(١) سقط من (ط).

(٢) سورة الروم ٣٠/٤٣.

(٣) الحديث رواه البخارى ٣/١٦٩ ط الشعب، والترمذى ح/ ٢٠٣٠، وأحمد ٢/١٣٧.

* بداية ق ١٦٩ فى الأصل.

تقاليبه معنىً واحدٌ، وإنْ تباعد شيءٌ ودَّ بالتأوُّل كما إذا قُلْتَ: (قَرْمَ) فإنَّه فى تقاليبه الستِّ يَدُلُّ على القوة، والشدة فالقَرَمُ شدَّةُ شهوة اللحم، وتَقَمَّرَ الرَّجلِ إذا غَلَبَ مَنْ يُقَامِرُهُ، والرَّقَمُ: الدَّاهيةُ. وعيشٌ مرمَّقٌ أى ضيِّقٌ، والمقرُ شبهُ الصبر لشدته على الذائق، ومَرَقَ السَّهْمُ إذا نَفَذَ من الرَّميَّة، وهو المُسمى بالاشتقاق الكبير، ومثاله قوله ـ صلى اللهُ عليه وآله وسلم: «اللَّهُمَّ استُرْ عَوْرَاتنا، وآمِنْ رَوْعَاتِنَا»[1] وقول أبى العَيْناء لِصَاعد: (نَحْنُ فى دَوْلتِكَ مَحْرُومُونَ وَفى عِزْلَتِكَ مَرْحُومُونَ).

ومن أراد أن يُلحق بهذا الباب التجنيس المُضارع بجامع قرب المخرج ليجعله من الاشتقاق الأكبر، وإن شاء أضاف اللاَّحق بجامع النوعية فله ذلك.

وأما قوله ـ صلى اللهُ عليه وآله وسلم ـ «أسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ، وَغِفَارٌ غَفَرَ الله لهَا، وَعُصَيَّة عَصَتِ الله»[2] فليس من الاشتقاقى لأنَّ أسلم لم يُسَمَّ من المسالمة، ولا غِفَارُ من الغُفْرة، ولا عُصية تصغير عصاً (من العصيان)[3]، فإنَّها أسماءُ قبائل مرتجلةٌ بخلافه فى نحو: هاشم فإنَّه سُمِّى به لما هَشَمَ الثَّرِيدَ فى عامِ مَحْلٍ.

والثانى عَشَرَ: **القلبىُّ**:

وهُو أربعة أنواع:

١ ـ قَلْبُ الكُلِّ كَقَوْلِكَ: (كَفُّهُ بَحْرٌ، وَجَنَابُهُ رَحبٌ).

وقول الشاعر:

«كامل»

جَاذَبْتُهَا وَالرِّيحُ تَجْذِبُ عَقْرَبَاً ... من فَوقِ خَدٍّ مثل قَلْبِ العَقْرَبِ

وَطَفِقْتُ أَلْثِمُ ثَغْرَهَا فَتَمَنَّعَت ... وَتَحَجَّبَتْ عَنِّى بِقَلْبِ الْعَقْرَبِ[4]

---

(١) الحديث فى صحيح الجامع للألبانى ١٢٦٢ وحسنه وعزاه للطبرانى عن خباب وخرَّجه فى المشكاة / ٢٤٥٥

(٢) رواه البخارى ٢/ ٣٣ / ٤/ ٢٢٠ ط الشعب ، وفى الفتح ٢/ ٤٩٢ ومسلم فى الفضائل ١٣٢ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ والترمذى ٣١٩٤١ - ٣٩٤٩ ، وفى المساجد ٣٠٧ - ٣٠٨ وأحمد / ٢/ ٢٠ - ٥٠ - ١٠٧ - ١١٧ - ١٢٦ - ١٣٠ - ١٣٦ - ١٥٣ ومواضع أخر ، والحاكم ٣/ ٢٠٤ ، والبيهقى ٢/ ٢٠٨ - ٢٤٥ .

(٣) ليست فى (أ) .

(٤) قلب العقرب المقصود به هنا (البرقع) .

وقول الآخر:

«بسيط»

كَيْفَ السُّرُورُ بِإِقْبَالٍ أُوَاخِرُهُ ... إِذَا تَأَمَّلْتَهُ مَقْلُوبَ إِقْبَالِ[أ]

(وقول ابن سَرَايَا فى مَعن بن زائدة:

مَا فَاهَ مَعْنٌ بِمَنْعٍ فى تَلَفُّظِهِ ... وَكَيْفَ يُضْمِرُ لاَ مَن قلبه نَعَمُ[ب])

ب ـ قلب البعض: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «يُقَالُ لصاحب القُرْآن: اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فى الدُّنْيَا» (١). وقولهم: (الدُّنيا حَيَّةٌ لَيِّنٌ مَسُّهَا قاتلٌ سُمُّها). وقولهم: (رحم الله امرأً (٢) أَمْسَكَ مَا بينَ فَكَّيْه، وَأَطْلَقَ مَا بينَ كَفَّيْه).

جـ ـ قلب المُجَنَّح: وهو أنْ يقع أحدُ المُتجانسين جناس القلب فى أوّل البيت، والآخر فى آخره قال:

لاَحَ أَنْوَارُ النَّدَى ... مِن كَفِّهِ فى كُلِّ حَالِ

د ـ قلب المستوى: وهو كُلُّ كَلاَم إذا قلب كان إيّاه.

قال عماد الدين الكاتب للقاضى الفاضل:

(سِرْ فلا كَبَا بِكَ الفَرَسُ).

فَأَجابَهُ: (دَامَ علاَءُ العِمَاد)

وقال القاضى الأرَّجَانىُّ:

«الوافر»

مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوْلِ ... وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّتِهُ تَدُومُ

---

(١) الحديث الشريف فى مسند أحمد ٢/ ١٩٢، والترمذى (ثواب القرآن)/ ١٨ وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ٨١٢٢ - ٣٢٠١ وعزاه لأحمد وابن حبان والحاكم ، وخرجة أيضا فى المشكاة ٢١٣٤، والترغيب ٢/ ٢٠٨ ، وصحيح أبى داود ١٣١٧ .

(٢) بداية ق ١٧٠ فى الأصل .

(أ) أى لا بقاء .

(ب) سقط من (أ) ما بين القوسين ، ومقلوب (نعم) هو اسم الممدوح (معن) .

وفى التنزيل: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[1].

تكميلٌ: وههُنَا قَلبٌ لا بَأس أنْ نَذكُرَ مستطرداً، وهو إما فى التراكيب كقولهم: (عَرَضْتُ الناقة عَلى الحوض).

قال الشيخ:[2] هو شعبةٌ من الإخراج لا على مقتضى الظاهر، وهو مما يُورث الكلام ملاحةً، (ولا يشجع عليه إلا كمالُ)[أ] البلاغة وَرَدَّهُ بعضهُم. والحقُّ أنه إذا (تضمَّن)[ب] لطيفةٌ قُبِلَ كما فى قولهم: (عَرَضْتُ الناقة عَلى الحوض). إذا أريد به معنى قول أبى العلاء:

«طويل»

إذا اشتاقَتِ الخَيْلُ المَنَاهِلَ أعْرَضَتْ ... عَنِ الْمَاءِ فَاشْتَاقَتْ إليه المَنَاهِلُ

وأما قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾[3] فَأصلُها أردنا إهلاكها فجاءها.

أوْ فى المعانى كقولهم: (قاتَلَهُ اللهُ مَا أشْجَعَهُ). وقول جَمِيلٍ:

«طويل»

رَمَى اللهُ فى عَيْنَىْ بُثَيْنَةَ بالقَذَى ... وَفى الغُرِّ مِن أنْيَابِهَا بِالقَوَادِحِ

مراداً به: ما أحسن عينها، وأنيابها. والسبب أنّه لما تَنَاهَتَا فى الحُسْن بحيث:

«بسيط»

جَلَّتْ[4] عَنِ الوَصْفِ حَتَّى مَا يُطَالِبُهَا ... وَهْمٌ فَتُخْلِفُهَا فى الوَصْفِ أسْمَاءُ

دعا عليها تنبيهاً به على العجز من وصفها، فأفاد التعجب.

---

(١) سورة المدثر/ ٣.
(٢) يعنى بالشيخ السكاكى قوله فى المفتاح / ٤١٠.
(٣) سورة الأعراف ٧/ ٤.
(٤) بداية ق ١٧١ ر فى ط (جنَّتْ) وهو تحصيف.
(أ) ط: ولا يشجع عليه إكمال.
(ب) ط: تضمر.

وقـال رسُول الله ـ صلـى اللهُ عليـه وآله وسـلَّم ـ «عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّين تَرِبَتْ يَدَاكَ»[1].

قال أبو عُبيدة: لم يـتعمد به الدُّعاء بالفقر. وقـال ابنُ الأنبارى: معناهُ لله دَرُّك إذا استعملت ما أمرتُك.

والنوع الثانى **فى العكس والتبديل**: وهو أن يقـدِّم فى الـكلام جـزءٌ، ثم يؤخر، وهو على وجوه:

١ ـ ما يقع بين طرفى جملة واحدة نحو: (عَادَاتُ السَّادَاتِ، سَادَاتُ العَادَاتِ)، وهو بمنزلة العين من الإنسان والإنسان من العين.

ب ـ ما يقع بين متعلقى جملتين. قـال تعالى: **﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾**[2]، وقال الحماسىُّ:

«وافر»

فَرَدَّ شُعُورَهُـنَّ السُّـودَ بِيْضـاً وَرَدَّ وجـوهَهُـنَّ الْبِيـضَ سُـودَا

وقال أبو هلال العسكرىّ:

«خفيف»

لَبِسَ الْمَـاءُ وَالـهَوَاءُ صَـفَاءً وَاكْتَسَى الأَرضُ بَهْجَـةً وَبَهَـاءَ

وَتَخَالُ السَّمَاء بـاللـيـلِ أَرْضـاً وَتَرَى الأَرْضَ بـالـنَّهَـارِ سَمَـاءَ

جـ مَا يقعُ بين الجملتين، ومتعلقيهما. قال الحسن: (إنَّ مَن خَوَّفَكَ حَتَّى تَلْقَى

---

(١) الحديث الشريف فى البخارى (نكاح)/ ١٥، ومسلم ١٠٨٦ ، وفى الرضاع ٤ ، ٦ ، ٨ ، ٥٣ والحديث فى صحيح الجامع للألبانى ٣٠٠٣ وقد عزاه للصحيحين وأبى داود والنسائى وابن ماجة عن أبى هريرة ، وخرجه كذلك فى المشكاة ٣٠٨٢ ، مختصر مسلم ٧٩٨ ..

(٢) سورة يونس ١٠/ ٣١، وسورة الروم ٣٠/ ١٩.

الأَمْنَ خَيْرٌ مِمَّن آمَنَك حَتَّ تَلْقَى الخَوف)، وأنشد أبو تمام:

«طويل»

فَهُنَّ عَوَادِى يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهْ .....

فقيل له: لم تُقول ما لا يُفهم؟.. فقال: لم لا تفهمُ ما يُقال.

وقال الأضبطُ:

«منسرح»

وَيَجْمَعُ المَالَ غَيْرُ آكِلِهِ ويأكُلُ المَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ

وَيَقْطَعُ الثَّوبَ غَيْرُ لاَبِسِهِ وَيَلْبَسُ الثَّوبَ غَيْرُ مَنْ قَطَعَهْ

ولو روعى فيه المطابقة كان أحسن. قال ابن نباتة:

«طويل»

الاَ فَاخْشَ مَا يُرْجَى وجِدُّكَ هَابِطُ وَلاَ تَخْشَ مَا يُخْشَى وَجَدْكَ رَافِعُ

فَلاَ نَافِعٌ إلاَّ مَعَ النَّحسِ ضَائِرٌ وَلاَ ضَائِرٌ إلاَّ مَعَ السَّعْدِ نَافِعُ

والمُطَّوعىّ قد راعى الائتلاف فى البيت الأخير من قوله:

«طويل»

أَلَسْتَ تَرَى أَطْبَاقَ وَرْدٍ وَحَوْلَهَا مِنَ النَّرجسِ الغَضِّ الطَّرِىِّ قُدودُ

فَتِلْكَ خُدودٌ مَا عَلَيْهِنَّ أَعْيُنُ وَهَذِى عُيُونٌ مَا لَهُنَّ خُدُودُ

والنوع الثالث: **ردُّ العجز على الصَّدر:**

وهو فى النثر أن يُجعل أحدُ اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما فى أول الفقرة، والآخر فى آخرها كقوله تعالى: ﴿**وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ**

﴿أَنْ تَخْشَاهُ﴾ (١)، وقولهم: (الحِيْلَةُ تَرْكُ الحِيْلة). وقال تعالى*: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ (٢).

وفي الشعر أن يكون أحدُهما في عجز البيت، والآخر في صدر المصراع الأول، أو في حشوه، أو عجزه، أو في صدر الثاني:

١ ـ إما أن تتفقا صورةً، ومعنىً قال:

«طويل»

تَمَنَّتْ سُلَيْمَى أَنْ أَمُوتَ صَبَابَةً ... وأَهْوَنُ شَيْءٍ عِنْدَنَا مَا تَمَنَّتِ

أوْ صورة قال:

«طويل»

ذَوَائِبُ سُودٌ كَالعَنَاقِيدِ أُرْسَلَتْ ... فَمِنْ أَجْلِهَا مِنّا النُّفُوسُ ذَوَائِبُ

أو معنى قال:

«متقارب»

وَهَتْ عَزَمَاتُك لَمَّا كَبِرْتَ ... وَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَهِي

ب ـ إما أنْ يتفقا صورة ومعنى. قال:

«طويل»

سَقَى الرَّمْلَ جَوْنٌ مُسْتَهِلٌّ رَبَابُهُ ... وَمَا ذَاكَ إلاَّ حُبُّ مَنْ حَلَّ بِالرَّمْلِ

أو صورة. قال الغزِّيُّ:

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣/ ٣٧.

(٢) سورة الشعراء ٢٦/ ١٦٨.

* بداية في ١٧٢

«بسيط»

لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ إنْسَانٌ يُلاَذُ بِهِ ... فَلاَ بَرِحْتَ لِعَيْنَ الدَّهْرِ إنْسَانَا

أو معنى. قال أبُو فراس:

«وافر»

وَمَا إنْ شَبْتُ[1] مِنْ كِبَرٍ وَلَكِنْ ... لَقِيْتُ مِنَ الأَحِبَّةِ مَا أَشَابَا

جـ ـ أما أن يتفقا صورة، ومعنى قال أبو تمام:

«طويل»

وَمَنْ كَانَ بِالبِيضِ الكَوَاعِبِ مُغْرَماً ... فَمَا زِلْتُ[2] بالبيضِ القَوَاضِبِ مُغْرَما

أو صورة قال الحريرى:

«وافر»

فَمَشْغُوفٌ بِآيَاتِ الْمَثَانِى ... وَمَفْتُونٌ بِرَنَّاتِ الْمَثَانِى

أو معنى قال:

«كامل»

فَدَعِ الوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِى ... أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ الذُّبَابِ يَضِيرُ؟!

د ـ إمّا أن يتفقا صورة ومعنىً قال الحماسى:

«طويل»

لَعَمْرِى لَقَدْ كَانَ الثُّرَيَّا مَكَانَهُ ... ثَرَاءً فَأَضْحَى اليَومَ مَثْوَاهُ فى الثَّرَى

أو صورة قال الأرَّجانى:

«سريع»

أَمَّلْتُهُمْ، ثُمَّ تَأَمَّلْتُهُمْ ... فَلاَحَ لِى أَنْ لَيْسَ فِيهِمْ فَلاَحْ

---

(١) طـ : شبتَ بالفتح والصواب ما أثبتناه .

(٢) طـ : فمازلتَ بالفتح والصواب ما أثبتناه

أو معنى قال أبو تمام:

وَقَدْ كَانَتِ البِيضُ القَوَاضِبُ فى الوَغَى بَوَاتِرَ وَهِيَ الآنَ مِن بَعْدِهِ بُتْرُ

والنَّوع الرَّابع: **التَّصريعُ**:

وهو بمنزلة السجع فى النثر مأخوذٌ من مصراع البيت. قال الفاضل [1]: الترصيعُ، والتصريع والتجنيس، والترديد إنَّما يحسنُ قليلُه دون كثيره لما فيه من أمارات الكلفة. وهو على ثمانية مراتب:

أ ـ الكامل: وهو أن يكون [2] المصراع مُستقلاً فى فهم المعنى.

قال أبو الطيب:

«طويل»

إذَا كَانَ مَدحٌ فَالنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ أَكُلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْراً مُتَيَّمُ

ب ـ أن يكون مستقلاً وله رابطة بالثانى قال أبو تمام:

«طويل»

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تَرْوَى الظَّمَاءُ الحَوَائِمُ وَأَنْ يَنْظِمَ الشَّمْلَ الْمُبَدَّدَ نَاظِمُ

جـ ـ أن يكون غير مُستقلٍ، وهو النَّاقصُ. قال أبو الطّيب:

«وافر»

مَغَانِى الشِّعْبِ طِيباً فى الْمَغَانِى بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ.

د ـ أن يكون مُعلقاً على صفة فى أول الثانى. قال امرؤُ القيس:

---

(١) الفاضل: ابن الأثير، المثل السائر ١/ ٣٣٨.

(٢) بداية ق ١٧٣ فى الأصل.

«طويل»

ألاَ أيُّهـــا اللَّيْلُ الـطَّويلُ ألا انجلـى بِصُبْحٍ ومَا الإصْبَـاحُ فِيكَ* بِأمْثَـلِ

هـ ـ أن يكون لكل منهمـا فى التقدم مـعنى، وهو فى المرتبة الثانيـة فى الحسن. قال ابن الحجاج البغدادى:

«خفيف»

مِنْ شُرُوطِ الصَّبُـوحِ فى المِهْرجَـانِ خِفَّةُ الشُّرْبِ مَعْ خُلُـوِّ المكانِى

و ـ أنْ يكون [1] لفظ العجز حقيقة، وهو مذموم. قال عبيدُ بن الأبرص:

فكُـلُّ ذِى غَيْبَـةٍ يَؤُوبُ وَغَـائِبُ المَـوْتِ لاَ يَؤُوبُ

ز ـ أن يكرر مجازاً. قال أبو تمام:

«طويل»

فَتَى كَانَ شِرباً لِلعُفَاةِ وَمَرْتَعـاً فَأَصْبَحَ لِلْهِنْدِيَّـةِ البِيضِ مَرْتَعَـا

ح ـ أن يتخالف لفظا العجز لكن توافقا بالموازنة، وهى أقبحُ الكُلِّ. قال أبو نواس:

«وافر»

أَقِلْنِى قَدْ نَدِمْتُ عَلَى الذُّنُوبِ وَبِالإقرارِ عُدْتُ مِنَ الجُحُودِ

والنوعُ الخامس: **التَّرصِيعُ**:[2]

وهو أن يتفق ألفاظ القرينتين على الوزن، مأخوذ من ترصيع العقد، وذلك بأن يكون فى إحدى جانبى العقد من الجواهر مثل ما فى الجانب الآخر قال:

---

(١) ط: أن يكرر وهو خطأ.

(٢) انظر حدائق السحر للوطواط ص ٩٠ ط مصر ١٩٤٠، والمثل السائر ٢٧٧، ونهاية الإيجاز ص ١٤٤.

* هكذا في الأصل وغيره (فيك) وفى ديوانه ص ٣٨ ، وشرحه ص ٣٦ منك .

«وافر»

إذَا دَنَت الْمَنَـــازِلُ زَادَ شَوقِـــى وَلا سِيـــــــمَا إذا بَدَتِ الخِيَامُ
فَلَمْـحُ العَيْـنِ دُوْنَ الحِـى شَهْـرٌ وَرَجْـعُ الطَّرف دون السَّيْـرِ عَامُ

والحسَنُ منه أن يتفقا فى الحرف الأخير أيضاً كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (١).

وإذا رُوعى فيه الطباق كقوله تعالى: ﴿إن الأبرارَ لَفى نَعيم. وَإنَّ الفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ (٢)، أو الجناس كقولهم: (إذَا قَلَّتِ الأمصارُ كلَّتِ الأبْصَارُ). وقول اليوسفى:

«طويل»

سَقَى البَارِقُ العلوىُّ عَذباً مِن الحَيَا مَحلَّتَنا بينَ العُذيبِ وبَارِقِ
مَحَلَّةَ إينَاسٍ، ومَغْنَى أوَانِسٍ ومَركَزَ رَايَاتٍ، ومَرعَى أيَانِقِ
فَيَا يَومَهَا كَمْ مِن مُنَافٍ مُنَافِقٍ وَيَا لَيلَهَا كَمْ مِن مُوَافٍ مُوافِقِ

كان أحسن (٣).

والنوع السادسُ: **السَّجعُ**:

وهو تواطُؤُ الفاصلتين على الحرف الأخير، أو الوزن، ولا يُقالُ فى التنزيل أسجاع، وإنما هى فواصل لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ (٤).

وأقسامه ثلاثة:

أولها: **المُطَرَّفُ**:

(١) سورة الغاشية ٨٨/ ٢٥ ـ ٢٦.
(٢) سورة الانفطار ٨٢/ ١٣ ـ ١٤.
(٣)) بداية ق ١٧٤ فى الأصل.
(٤) سورة فصلت ٤١/ ٣.

وهو التوافق على الرّوى كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لله وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾[1]، وقولهم: (من حَسُنَتْ حالُهُ استُحسِنَ مُحَالُهُ).

وثانيها: المتوازى:

وهو التوافق على الرَّوى، والوزن كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾[2]، وقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم [3] «اللَّهُمَّ أعْطِ مُنفقاً خَلَفاً، ومُمسِكاً تَلَفاً».

وقد يُخرَجُ الكلمُ عن[أ] أوضاعها للازدواج كقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم[4]: «أُعيذُهُ من الهامَّة، والسَّامَّة، وكُلِّ عَينٍ لاَمَّة». وقوله ـ صلى الله عليه وآله: [5] «ارْجِعنَ مَأْزورات غير مَأْجُورات».

وأصله (مُلِمَّة) من ألَمَّ فهو مُلِمٌّ، و(مَوْزُورَات) من الوزْر.

ولك أنْ تَعُدَّ قوله: ـ صلوات الله عليه وآله[6] ـ «دَعُوا الحَبَشَةَ ما ودعوكم، واتْرُكُوا التُّركَ ما تركُوكُم» من هذا وأصلُه، ما وَادَعُوكم كما قِيل.

وثالثهما: **المتوازن**:

وهو التوافق على الوزن دون الرَّوى (قال تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾...[7]، وقال تعالى: ﴿وآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ.

---

(١) سورة نوح ٧١/ ١٣ ـ ١٤.

(٢) سورة الغاشية ٨٨/ ١٣ ـ ١٤

(٣) الحديث الشريف فى النهاية ٢/ ٦٦ «اللهم أعْط كُلَّ منفق خلفاً». أى عِوَضاً. والحديث فى البخارى (زكاة)/ ٢٧ ومسلم (زكاة)/ ٥٧ وفيهما «اعط مال منفقاً».

(٤) والحديث الشريف فى النهاية ٤/ ٢٧٢ [(أعوذ بكلمات الله التّامَّة من شر كل هامة، ومن كل عين لامة)] أى ذات لمم ولذلك لم يقل: «مُلِمَّة». وانظر النهاية ٥/ ٢٧٥، والحديث فى البخارى «أنبياء»/ ١٠، وأبو داود (سنّة)/ ٢٠ ح/ ٤٧٣٧ ، والترمذى ح / ٢٠٦٠ وأحمد بن حنبل ١/ ٢٣٦، ٢٧٠ والحاكم ٣/ ١٦٧ ، والطبرانى فى الكبير ١٠/ ٨٧ ، ١١/ ٤٤٨ .

(٥) «صلوات الله عليه» فى (ب) الحديث الشريف فى سنن ابن ماجة (جنائز)/ ٥٠ وهو فى ضعيف الجامع للألبانى ٧٨٣ وقد عزاه لابن ماجه عن على ، وأبى يعلى عن أنس (ض) وقد خرّجة كذلك فى الضعيفة ٢٧٤٢ ..

(٦) «وآله» غير مذكورة فى (ب) والحديث عند أبى داود «ملاحم»/ ٨ وقد حسنه الألبانى فى صحيح الجامع ٣٣٨٤ وقد عزاه لأبى داود ، وخرّجة فى الصحيحة ٧٧٢ ..

(٧) سورة الغاشية ٨٨/ ١٥ وهى ليست فى أصل (ط) وإنما أثبتها من ع

(أ) ط : على .

﴿وهديناهما الصِّرَاطَ المستقيم﴾[1].

وهذا التقسيم يعمُّ النثر، والنظم. وقال البحتريّ:

«طويل»

وَقِفْ مُسْعِداً فِيهِنَّ إنْ كُنْتَ عَاذِراً وَسِرْ مُبْعِداً عَنْهُنَّ إنْ كُنْتَ عَاذِلاَ

تذييلٌ: وشرائط حسن السجع وجودُه:

أ ـ أن يكون كُلُّ واحدة من الفقرتين مُؤلفة من ألفاظ قليلة وهو أشرفُ السجع للاعتدال كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً. فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾[3].

وقوله ـ صلوات الله عليه وسلامه: [4] «الاستحيَاءُ منَ الله أنْ تحفظ الرأسَ وما وَعَى، وَالبَطْنَ وما حَوَى وتَذْكُرَ الْمَوْتَ، والبِلَى، وَمَنْ أرَاد الآخِرةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنيا» .

ثُمَّ ما طالب الثانيةُ، ثم الثالثةُ كقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ. إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلاَّ الَّذِينَ﴾ [5] الآية لا عكسه لأنَّ السمع إذا استوفى أمده من الأولى ثم إذا جاءت الثانيةَ دونها ينبو عنه ، وكان كالشيء المبتور . (٦)

. وثانيهما : أن تختلف قرينتاه فى المعنى لا كقول ابن عباد فى مهزومين : (طاروا واقين بظهورهم صدورهم ، وبأصلابهم نحورَهم) ، وقوله : (مكان ضنك على الفارس والراجل، ضيق على الرامح (٧) والنابل)

وقول الصابى : (يسافر رأيه وهو دانٍ ينزح ، ويسير تدبيره ، وهو ثاو لا يبرح).

(١) سورة الصافات ٣٧/ ١١٧ ـ ١١٨.
(٢) سورة الضحى ٩٣/ ٩ ـ ١٠.
(٣) سورة العاديات ١٠٠/ ١ ـ ٣.
(٤) الحديث أخرجه الألبانى فى ضعيف الجامع ٩٠٥-٢٨٢ وعزاه للطبرانى والحليه وقال (ضعيف جدا) وخرجه كذلك فى الروضة ٦٠١ عند الترمذى (قيامة)/ ٣٤، وأحمد بن حنبل ١/ ٣٨٧.
(٥) سورة العصر ١٠٣/ ١ ـ ٣.
(٦) بداية ق ١٧٥ فى الأصل .
(٧) ط : الرّمح .

«بسيط»

حَامِى الحقيقةِ مَحْمُودُ الخَلِيقَةِ مَهْـ ـدِىُّ الطَّرِيقَـةَ نَفَّاعٌ وَضَـرَّارُ
جَوَّابُ قَاصِيَـةٍ جَـزَّازُ نَاصِيَـةٍ عَقَّادُ أَلْوِيَةٍ لِلْخَيْـلِ جَـرَّارُ

وقال بعضُهم: (السَّجعُ يجرى فى الكلام مجرى الخال فى الوجه، فإذا كَثُر منه يذهبُ ببهجته، ويقلُّ ببهائه كما أنَّ كثرة الخيلان يذهَبُ بنظارة الوجه ومُلُوحَتِه).

وقال الفاضل: (ولاَ أرَى لهذا وَجْهاً فإنَّ جُلَّ فواصل التنزيل بل كُلَّها لا يخرُجُ من أنواع السَّجع المذكورة)،

فإنْ قيل: قَدْ ورد النهىُ عنه فإنّ النبى ـ صلى الله عليه وآله ـ لما سَمِعَ أُأُدِىْ لِمَنْ لا شَرِبَ، ولا أكَلَ، ولا نَطَق، ولا استَهَلَّ ومثل ذلك يُطلّ؟ قال: «أسَجْعاً كَسَجْعِ الكُهَّانِ» (١).

عَنَى قَوْلَ الكاهن فى قصة هند بنت عُتْبة لَمَّا امتُحِنَ (ثَمَرَةٌ فى كمَرَةٍ)، ثم قال: [حَبَّةُ بُرٍّ فى إحْلِيلِ مُهْرٍ].

وكقول سطيح(٢): [عبدُ المسيح جَاءَ إلى سَطِيح، وهو مُوف على الضَّرِيح لِرُؤيَا المُوبَذَان، وَارتجَاسِ الأيوان] إلى آخرها أُجيبَ أنّ النهى وارِدٌ على إنكار الرَّجُل حكمهُ ـ صلوات الله عليه وآله ـ بالألفاظ المسجُوعة لأنّه ـ صلوات الله عليه وآله وسلامه ـ إنّما أنكرهُ (لِمَا أمَرَه)(٣) فى الجنين بغُرَّةٍ فَأَبَى، أى اتَّبعُ سجعاً كسجع الكُهَّان، وأتركُ حُكمَ الرَّحمان. أو أنكِرُ وأنتَ متكلفُ، فيه.

والنوع السَّابعُ: **لزومُ ما لايلزمُ**:

ويسمى **الإعنات**:

وهو أن يلتزم فى الأعجاز قبل الرَّوىّ ما ليس بلازم، وهو مُوافقة الحروف فيه

---

(١) الحديث أسجعا كسجع الكهان، وفى بعض رواياته أسجعا كسجع الأعراب، أخرجه مسلم فى القسامة: ٣٧، وأبو داود / ٤٥٦٨، والنسائى ٨/ ٤٩ - ٥١ وأحمد ٤/ ٢٤٥، ١٨٣٥١، وانظر تخريجه فى المغنى للعراقى ١/ ٣٦، ٣/ ١١٧.

(٢) هو أحد كهّان العرب.

(٣) سقطت من (ط)..

كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ. وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾ (١). قال أبو العلاء:

«كامل»

لاَ تَطْلُبَنَّ بِآلَةٍ لَكَ حَالَةً ... قَلَمُ البَلِيغِ بِغَيْرِ جَدَّ مِغْزَلُ
سكَنَ السَّمَاكَانِ السَّمَاءَ كِلاَهُمَا ... هذا لَهُ رُمْحٌ وهذا أَعْزَلُ

وقال أيضاً:

«طويل»

ضَحِكْنَا وكَانَ الضَّحْكُ مِنَّا سَفَاهَةً ... وَحُقَّ لِسكَّانِ البَسِيطِه أنْ يَبْكُوا
يُحَطِّمُنَا صَرْفُ الزَّمَانِ كَأَنَّنَا ... زُجَاجٌ وَلَكِنْ لاَ يُعَادُ لَهُ السَّبْكُ

وقال(٢) إسحاقُ الموصليّ: أنشَدْتُ الأَصْمَعيَّ، على أنه لشاعرٍ قديم:

«خفيف»

هَلْ إلى نَظْرَةٍ إلَيْكَ سَبِيلُ ... فَيُرَوَّى الصَّدِى ويُشْفَى العَلِيلُ
إنّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِى ... وَكَثِيرٌ مِنَ الخَلِيلِ قَلِيلُ

قال: هذا والله الدِّيباجُ الخُسْرُوانيُّ. فقلت: هو ابن ليلته، فقال لاجرم أثر التوليد فيه، فقلت: لا جرم أثر الحسد فيك.

فقال الصُّولِيُّ: كان يظُنُّ إسحاقُ أنَّه سَبق إلى هذا حَتَّى أنشدَ لأعرابى:

«طويل»

قِفِي وَدِّعِينَا يَا مَلِيحُ بِنَظْرَةٍ ... فَقَدْ حَانَ مِنَّا يَا مَلِيحُ رَحِيلُ
أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظْرَةٌ إنْ نَظَرْتُهَا ... إلَيْكِ وكَلاَّ لَيْسَ مِنْكِ قَلِيلُ

---

(١) سورة الأعراف ٧/ ٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٢) بداية ق ١٧٦ فى الأصل.

فحلف أنَّه ما كان سمعه

والصفةُ الثانية: **الْمُعاظَلَةُ**:

وهى تعقيد الكلام، وتراكبُهُ، وهى لفظيَّةٌ، ومعنوية.

فاللَّفظيَّةُ على خمسة أقسامٍ:

أولها: أن ترد حروف متراكبة منها ما قَبُحَ كما فى قول أبى الطيب:

«طويل»

وتُسْعِدُنِى فى غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ

وقول الآخر:

«بسيط»

العِلْمُ والفَضْلُ والآدَابُ قَاطِبَةً مِنْهُ إلَيْهِ لَدَيْهِ فِيهِ عَنْهُ بِهِ

ومنها ما لم يقبُح كما فى قول أبى تمام:

«بسيط»

دَارٌ أُجِلُّ الهَوَى عَنْ أنْ أُلِمَّ بِهَا فى الرَّكْبِ إلاَّ وعَيْنِى مِن مَنَائِحِهَا

وثانيها: أن ترد الفاظٌ متكرّرةُ الحروف. حكى: أنَّه قيل للثعالبىّ: ثلاثةٌ من رُؤساء الشُّعراء شَلْشَلَ أحَدُهُم، وسَلْسَلَ الثانى، وقَلْقَلَ الثالثُ:

أمَّا الأوّل فالأعشى حيث قال:

«بسيط»

وَقَدْ غَدَوْتُ إلَى الحَانُوتِ يَتْبَعُنِى شَاوٍ مُشَلٌّ[1] شَلُولٌ شَلْشَلٌ شَوِلُ

وأما الثانى فمسلمُ بنُ الوليد:

(١) ط: مِشَلٌّ.

«كامل»

سُلَّتْ وَسُلَّتْ، ثُمَّ سُلَّ سَلِيلُهَا فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولا

و أمّا الثالث فأبو الطيب:

«طويل»

فَتَلْقَلْتُ بِالْهَمِّ الَّذِى قَلْقَلَ الحَشَا قَلاَقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنَّ قَلاَقِلُ

«ولَقَدْ قال من أصاب.. قيل» فبَلْبِلْ أنت. فقلْتُ: أخشَى أن أكونَ رَابعَ الشُّعراء. عنى به قول القائل:

«رجز»

الشُّعَرَاءُ فَاعْلَمَنَّ أَرْبَعَهْ فَشَاعِرٌ يَجْرِى وَلا يُجْرَى مَعَهْ

وَشَاعِرٌ يُنْشِدُ وَسْطَ الْمَجْمَعْ وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ تَسْمَعَهْ

وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ تَصْفَعَهْ

فما مضى أيَّامٌ* أنْ قُلْتُ:

«كامل»

وَإِذَا البَلاَبِلُ أفصحت بِلُغَاتِهَا فَانْفِ البَلاَبِلَ باحتِسَاءِ بَلاَبِلِ

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ (١) فلما أنّ فى كلا مخرجى الميم والنون، وهُما طرفُ اللسان، والشفة، وما فى صفتيهما من الذلاقة والغُنَّة، وتوسُّطهُمَا بين الضعف والقوة ما يَجْبُرُ مما حصل من ثقل التكرار بخلاف الأبيات. فإن السِّين، والشين فى(٢) طَرَف التفريط من الضعف لمَا فيهما من الهمس، والرَّخَاوة، والقاف والياء فى طرف الافراط من القوة لَما فيهما من القلقلة، والضغط.

---

(١) سورة هود ١١/٤٨.

(٢) بداية ق ١٧٧ فى الأصل.

* ط: أيامَ وهو خطأ.

واعلم أنّ سبب المُعاظلة[1] هُو الثقل، وهو إنّما يحصُلُ من التكرار. وإذا كانوا مُستثقلينَ المكرُّر فى كلمة، ومُدغمين فى نحو: استعدّوا، واستبَّ.

أو كلمتين فى نحو: (أتُحَاجُونّى) حتَّى أنّهُم بدّلوا احدهما بحرف آخر نحو: (أمْلَيْتُ) فى (أمْلَلْتُ) فما ظَنُّكَ بالتّكرار فى كُل كلمةٍ.

وثالثُهما: أنْ تَرِدَ أفعالٌ شتَّى متتابعة. قال القاضى الأرجانى على لسان الشمعة:

«كامل»

بِالنَّارِ فَرَّقَتِ الْحَوادِثُ بَيْنَنا ... وَبِهَا نَذَرْتُ أعُودُ أفْتَلُ رُوحِى

وقال المتنبى:

«بسيط»

أقِلْ أنِلْ أقْطِعْ احْمِلْ عَلَّ سَلَّ أعِدْ ... زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ ادْنُ سُرَّ صِلِ

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرم [1] فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم وخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [2] ليس منهُ لما فى توسيط الواو وتعليق كل بمفعوله مع زيادات فى الابتداء، والانتهاء ما يُخرجهُ من[ب] التراكُب.

ورابعها: أن تَرِدَ مُضَافاتٌ متواليةٌ كما جاء فى قول ابن بَابَك:

«طويل»

حَمَامَةَ جَرْعَا حَوْمَةِ الجَنْدَلِ اسْجَعِى ... فَأنْتِ بِمَرْأى سُعَادٍ ومَسْمَعِ

وما فى الألفاظ النبوية «الكريمُ بنُ الكريم بن الكريم» [3]. ليس منه.

---

(١) قوله تعالى: «فإذا انسلخ الأشهر الحرم» سقط من (ط) وأثبته من (د).
(٢) سورة التوبة ٩/ ٥.
(٣) الحديث الشريف البخارى (أنبيا)/ ١٩، و(مناقب)/ ١٣، وتفسير سورة / ١٢ والرواية [الكريم بن ابن الكر . بن ابن الكريم. . .] وقد أخرجة أيضاً الإمام أحمد عن ابن عمر وعن أبى هريرة كما عزاه إليه الألبانى . صحيح الجامع ٤٦١٠ .
(ا) ط : المعاضلة .
(ب) ط : عن . .

وخامسها: أنْ تَرِدَ صفاتٌ مُترادفةٌ. قال المتنبىّ:

«بسيط»

دانٍ، بَعيدٍ، مُحِبٌّ، مُبْغِضٍ، بهجٍ أغَرَّ، حُلْوٍ، مُمِرٍّ، لَيِّنٍ، شَرِس

والمعنويّةُ:

وهو أن يُقدم فى الكلام ما حقهُ التأخيرُ لفظاً ومعنى. قال الفرزدق:

«طويل»

وَلَيْسَتْ خُراسانُ التى كَانَ خَالِدٌ بِهَا أَسَدٌ إذْ كانَ سَيْفاً أَمِيرُها

يمدحُ خالداً القسرى، ويهجو أسداً، وقد وُلِّيها بعد خالد. يريدُ وليست خُراسانُ بالبلدة التى كان خالدٌ بها سيفاً إذْ كانَ أسدٌ أميرها.

فَعَلى هذا فى كان الثانية ضمير الشأن، والجملةُ بعدها خبرٌ لها يفسرُ الاسم، وقد قُدم بعض ما «إذْ» مُضافةٌ إليه عليها، وهو أسد، وأقحَمَ خبر كان الأولى فى الجملة الثانية وأيضاً أن أسداً أحد جُزأى الجملة المفسرة للضمير، ولا يجوزُ تقديمُ المفسِّر على المفَسَّر. وقال أيضاً:

وَمَا مِثْلُهُ فِى النَّاسِ إلاَّ مُمَلَّكاً أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

يُريد (وما مثله فى النَّاس حىٌّ يُقاربُهُ إلاَّ مُمَلَّكٌ أَبُو أُمِّهِ أَبُوه) والممدوحُ خالُ هشامِ بن عبدالملك، والمعنى ومَا مثلُ الممدوحِ أَحَدٌ يُشبهه فى[1] الفضائل إلاّ هشاماً. ففصل بين أبو أمِّه، وهو مبتدأ، وبين خبره وهو أَبُوهُ بقوله: (حىٌّ) وهو أجنبىٌّ. وكذا فَصَلَ بين حىّ ويُقارِبُهُ وهو نعتٌ له بأبوه وهو أجنبى، وقدم المستثنى منه.

(وأما قول الشاعر:

---

(١) بداية ق ١٧٨ فى الأصل.

«طويل»

..... وَتَسْكُبُ عَيْنَاىَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

فليس من المعاظلة فى شئ، وإنَّما هو من المطابقة الحسنة)[1].

ومن أوصاف التركيب **المُنَافِرَةُ**:

وهى أن يُذكر فى التركيب، ويكون غيره مما هو فى معناه أولى بالذكر. قال أبو الطيب:

«طويل»

فَلاَ يُبْرَمُ الأَمْرُ الذى هُوَ حَالِلٌ وَلاَ يُحْلَلُ الأَمْرُ الذى هُوَ مُبْرِمُ

فلفظة (حَالِل)، و(يُحْلَلُ) نافرتان لفك الادغام فى الثلاثى. فلو عوض عنهما (ناقضٌ)، و(ينقضُ) لجاءتا قارَّتين فى مكانهما لفظاً، ومعنىً، وقال تأبَّطَ شَرّاً:

«طويل»

يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِى بِغَيْرِهَا جَحِيشاً وَيَعْرَوْرِى ظُهُورَ الْمَهَالِك

فإنَّ (جَحِيشاً) نافرة، وكان له مندوحةٌ عنه بقوله: (فَرِيداً).

ومِنْهُ قطعُ همزة الوصل. قال:

«طويل»

إِذَا جَاوَزَ الإِثْنِينَ[2] سِرٌّ فَإِنَّهُ بِبَثٌّ وَتَكْثِيرِ الوُشَاة قَمِينُ

وعكسه قال أبو تمّام:

«طويل»

قَرانِى الْلُّهَى والْوُدَّ حَتَّى كَأَنَّمَا أُفَادَ الْغِنَى مِنْ نَائِلِى وَفَوَائِدِى

فَأَصْبَحَ يَلْقَانِى الزَّمَانُ مِنَ اجْلِهِ[3] بِإِعْظَامِ مَوْلُودٍ وَرَأْفَةِ وَالِدِ

---

(١) مابين القوسين ليست فى (أ).

(٢) ط: الأثنين بغير همزة وهى محل الشاهد.

(٣) ط: بالهمزة أجله وهى محل الشاهد.

وقد يجيء ألفاظ متعددةٌ نافرة كما فى المصراع الثانى من قول المتنبىّ:

«كامل»

لاَ خَلْقَ أَكْرَمُ مِنْكَ إلاَّ عَارِفٌ بِكَ رَاءَ نَفْسَكَ لَمْ يَقُل لكَ هَاتِهَا

تذييل: واعلم أنّ من الألفاظ المُتنافرة ما لو نُقل من مكانه إلى آخر قَرَّتْ، وحَسُنَتْ كلفظة (لى) فى قول المتنبىّ:

«بسيط»

..... فَلاَ يَقُولُ لِشَيءٍ لَيْتَ ذلِكَ لِى

جاءت نافرةً، وفى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾[1]. جاءت قارَّةً حيثُ قُدِّمَتْ على المبتدأ.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِندَهُ﴾[2] فلاستحباب تعظيم شأن الساعة[3] وكذا لفظ (القُمَّل) فى قول القائل:

«كامل»

مِن عِزِّهِ احْتَجَرَتْ كُلَيْبٌ عِنْدَهُ زَرَبًا كَأَنَّهُمُ لَدَيْهِ القُمَّلُ

جاءت مُبتَرة، وفى قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾[4] مُتمكنة. فإنَّ لفظتى (الطُّوفان) و(الجراد) أحسنُ الألفاظ وأشدُ منهما حُسناً (الدَّمُ)، فابتُدئَ بالحَسن، وانتُهى «إلى الأحسن»[5] جُبراناً لما حصل من الثقل من لفظتى «القُمَّل»،

---

(١) سورة ص ٣٨/ ٢٣.

(٢) سورة الأنعام ٦/ ٢

(٣) قال الزمخشرى: «وأى أجَل مُسمى عنده تعظيماً لشأن الساعة» الكشاف ٣/ ٥.

(٤) سورة الأعراف ٧/ ١٣٣.

(٥) «بالأحسن» فى (ب).

وَ«الضَّفَادع» فانظر إلى هذا السِّرِّ الدقيق فى التنزيل لتَغُوص منه فى بحر عميق، وإنْ شئت فتأمل فى قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾ (١) مجرَّداً، وقوله: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ (٢) كيف خُصَّ موضع بما خُصَّ، واللفظان متوافقان وزناً ومعنىً؟

فلو غُيِّرَ لما حَسُنَ هذا الحُسْنَ.

ومنه ما رَوَيناه عن البُخارى أنّ البَراءَ حين دَعَا بقوله: (٣) [اللّهم آمَنْتُ بكتابِكَ الَّذِى أنْزلْتَ] قال: [وَرَسُولِكَ الَّذِى أرْسلْتَ] (٤).

قال ـ صلوات الله عليه «وآله وسلم» (٥): «لاَ ونَبِيِّكَ الَّذِى أرْسَلْتَ»، وانظُر (٦) إلى قول الحماسى:

«رجز»

لاَ عَارَ بِالْمَوتِ إذا حُمَّ الأَجَلْ وَالمـوتُ أحْلَى عِنْدَنـا مِنَ الـعَسَـلْ

وقول أبى الطيب:

«طويل»

إذَا شِئْتُ حَنَّتْ بِى عَلَى كُلِّ سَابِحٍ رِجَالٌ كَأَنَّ الْمَوتَ فِـى فَمِهَا شَهْدُ

والعسل، والشهد كلاهما حسنان، والأول أحسن تركيباً لوروده فى التنزيل قوله تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ (٧) ومع هذا لفظةُ الشهد فى شعر المتنبى

(١) سورة آل عمران ٣/ ٣٥.

(٢) الحسن هو الجزالة فى قول الحماسىّ. هذا وإنّ الذَّوقَ السليم، والطبع المستقيم هو

(٣) قال ابن الأثير فى النهاية ٥/ ٤: «ومن الأوّل حديث البَراء» «قُلْتُ: ورسولك الَّذى أرْسَلْتَ فرد عَلَىَّ وقال: ونبيّك الَّذى أرْسَلْت» إنما رَدّ عليه ليَختَلف اللّفظان ويجمع له الثّناءين، معنى النُّبوّة والرِّسالة...)]

(٤) الحديث متفق عليه، ورواه أحمد وأصحاب السنن غير ابن ماجة وهو فى صحيح الجامع للألبانى ٢٧٦ ١١٣ وقد خرجه أيضاً فى رياض الصالحين ١٤٧٠.

(٥). السابق.

(٦) بداية ق ١٧٩ فى الأصل.

(٧) سورة محمد ٤٧/ ١٥..

الحاكمُ الفَيْصَلُ، والدليل الخِرِّيتُ[أ].

ومن أوصاف التركيب **السَّهْلُ الممتنعُ**[ب]: وهو أن يكون مسبوكاً سَبْكاً سَهْلاً وعراً قريباً بعيداً. قال البحترىّ:

«كامل»

بـاللَّفْظِ يَقْرُبُ فَهْمُهُ فـى بُعْـدِهِ عَنَّا وَيَبْعُدُ نَيْلُهُ فـى قُـرْبِهِ

يُطمعُك محاولتُه، ويروغُ عنك مُزاولتُه، ولا يتهيأُ ذلك رلاً لمن أيَّدَهُ اللهُ بأن مَلَّكَهُ رقَابَ الكَلِم يستعبدُ كرائمها، ويستولدُ عقائمها، وفى مثل ذلك فليتنافس وعن مقامه فليتقاعس. قال أبو الطيب:

«كامل»

أنتَ الوَحِيدُ إِذَا رَكِبْتَ طَرِيقَةً ومَنِ الرَّدِيفُ، وقَد رَكِبْتَ غَضَنْفَرَا

وكتابُ الله ـ تعالى ـ هو العلم المُشارُ إليه، والمنارُ الذى يُهتدى به ألا ترى إلى أمِّ القرآن كيف كان [1] ألفاظُها من أسهل الألفاظ وأقربها إلى الفهم مع أنَّها جزلُ المعانى رفيع المبانى اشتملت على خُلاصة الكُتُب السَّماوية، وتضمَّنت زبدة المعارف الإلهيّة لا ينقضى عجائبُه، ولا يُخلقُ عن كثرة الرَّدِّ من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عَدَل، ومن دعا إليه هُدِى إلى صراطٍ مستقيم.

ومن أوصاف التركيب **المُطابَقَةُ**:

وهى أنْ يُراعى مقصد الكلام، فمن مقامٍ يقتضى ألفاظاً جزلةً متينةً وأُخَرَ رقيقةً رشيقةً، فالجزلةُ تُستعمل فى وصف الحرب، وقوارع التهديد، والوعيد.

والرقيقةُ فى وصف الأشواق، والمَوَدّات، والاستعطاف مثال الأول قوله تعالى:

---

(١) «كانت» فى (ع)

(أ) الإحالة على الذوق هى دأب الطيبى فى كثير من مسائل البلاغة كما سبق أن نبهّت إلى ذلك فى مواضعه.

(ب) ط: الممتع.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾[1] إلى آخر السورة. وقول السَّمَوْأل من شعراء الحماسة:

«طويل»

إِذَا الْمَرءُ لَمْ يدنَسْ مِن اللُّؤمِ عِرضُهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ

إلى آخر الأبيات، فإذا تُؤمِّلَ فى جزالة هذه الأبيات، ومتانة تلك الآيات كانت زُبراً من الحديد، ومع هذا سَهْلةٌ عَذْبَةٌ.

ومثال الثانى قولُهُ تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾[2].

انظر إلى هذه العبارات الرقيقة[3]، والكلمات[4] الرشيقة كادت تسيل من سلاستها. وقَولُ العبّاس بن الأحنف:

«طويل»

وَإِنِّي لَيُرْضِينِي قَلِيلُ نَوالِكُمْ وَإِنْ كُنْتُ لاَ أَرْضَى لَكُمْ بِقَلِيلِ

بِحُرْمَةِ مَا قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْوُدِّ إِلاَّ عُدْتُمُ بِجَمِيلِ

خاتمة:

واعلم أنَّ الكلام متى وقع فى فنّى البلاغة، والفصاحة موقعهُ استهشَّ الأنفُسَ، وآنق الأسماع، ونشّطَ الأذهانَ وربَّما نقل السَّامع من خُلقِهِ الطبيعى حتّى أنَّهُ

---

(١) سورة الزمر ٣٩/٦٨ ـ ٦٩.

(٢) سورة البقرة ٢/١٨٦.

(٣) ط: الرَّفيعة.

(٤) بداية ق ١٨٠ فى الأصل.

لِيُسمَّحُ به البخيلُ، ويُشجَّعُ به الجَبَانُ، ويُحلَّمُ به الطائشُ، ومن ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه «وآله وسلم» ـ : «وَإنَّ مِنَ البيان لَسِحْراً» (١).

ولما أنشد أبو العتاهية بين يدى المهدى، والأشجعُ وبَشَّارٌ حاضران:

«متقارب»

أَلاَ مَا لِسَيِّدتِى مَالَهَـــــــا تُدِلُّ فَأَجْمَـــــــلَ إدلالَهَـــــا
أَلاَ أَنَّ جَارِيَـــــــةً للإِمَـــــا م وَقَدْ أَسْكَـــنِ الحُسْـــنُ سِرْبَالَهـا
لَقَدْ أَتْعَبَ اللهُ قَـــلْـــبِى بِهَا وَأَتْعَبَ فِـــى اللَّومِ عُذَّالَهَـــا

فلما بلغ قولهُ:

«متقارب»

كَأَنَّ بِعَيْـــنَىَّ مِـــنِ إِثْرِمَـــا نَظَـــرْتُ مِنَ الأَرْضِ تِمْثَالَهَـــا

قال بشارٌ، ـ وكان أعمى ـ : يَا أَشْجَعُ هَلْ جَرُّوا بِرِجْله؟ فقال: لا فلما بلغ المديح، ومن جملته:

«متقارب»

أَتَـــتْهُ الخِـــلاَفَةُ مُنْقَـــادَةً إِلَيْـــهِ تُجَـــرِّرُ أَذْيَالَهَـــا
فَلَمْ تَكُ تَصْلُـــحُ إِلاَّ لَـــهُ وَلَمْ يَكُ يَصْـــلُـــحُ إِلاَّ لَهَـــا
فَلَـــوَ رَامَهَـــا أَحَـــدٌ غَيْـــرُهُ لَزُلْزِلَـــتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَـــا

فقال: يا أشجعُ انظُر هل طار أميرُ المؤمنين عن أعواده؟

قال: بل زحف حتى صار إلى طرف السرير:

---

(١) الحديث أورده الألبانى فى ضعيف الجامع بلفظ « إن من البيان لسحرا ، وإن من العلم جهلاً ، وإن من الشعر حلماً ، وإن من القول عيالاً » ، وقد عزاه إلى أبى داود عن بريدة وخرجه أيضاً فى نقد الكتانى ٣١، وتخريج المشكاة ٤٨٠٤ .

وحضر أبو دُلَفٍ بين يدى المأمُون. فقال: يا أبا دُلَفٍ أنت الذى يقولُ فيه الشاعر:

«مديد»

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلَفٍ بَيْنَ بَادِيهِ وَمُحْتَضَرِهْ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلَفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهْ

قال: لستُ ذاك، ولكنى الذى يقولُ فيه عَلىُ بنُ جَبَلَة:

«طويل»

أَبَا دُلَفٍ يا أَكْذَبَ النَّاسِ كُلِّهِمْ سِوَايَ فإِنِّى فِى مَدِيحكَ أَكْذَبُ

فَرضى منه، وتعجب من ذكائه، واستشهد أبو دُلف أبا تمام القصيدة التى رثى بها مُحَمَّدَ بن حُمَيْدٍ [1] فلما بلغ قوله:

«طويل»

تُوُفِّيَتِ الآمَالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَأَصْبَحَ فِى شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ[2] السَّفَرُ
وَمَا كَانَ إِلاَّمَالَ مَنْ قَلَّ مَالُهُ وَذُخْراً لِمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذُخْرُ
تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوتِ حُمْراً فَمَا أَتَى لَهُ اللَّيْلُ إِلاَّ وَهِىَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ
كَأَنَّ بَنِى نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ

فبكى [3]، وقال: وددتُ أنَّها فىَّ، فقال أبو تمام: بل يُطِيلُ الله عمرَ الأمير. فقال: لم يمت من قيل فيه هذا.

---

(١) فى ط بدون (ابن).
(٢) فى ط (السفر).
(٣) بداية ق ١٨١ فى الأصل.

فانظر إلى هذه الكريمة التى تُرغِّبُ فى الذِّكر الجميل، فتختارُ الحِمامَ، وتصبوا إلى ابتناء المجد فتهجرُ فى تحصيله الرَّاحةَ والمَنَامَ.

ولما سمع أبو تمام البُحترىَّ يُنشدُ شيئاً من شعره. قال: إنَّ عُمْرِى لَن يطُولَ، وقد نشأ فى طى مثلُكَ، وتمثّل ببيت أوس بن حَجَرٍ:

«طويل»

إذَا مُقَـــــرِمٌ منـّا ذَرَا حَـــدَّ نَابِهِ تَبَـــــيَّنَ مـنّا حَدُّ آخَرَ مُقَـــــرَمُ

قال: بل أمدَّ اللهُ عُمرك. فقال: أمـا علمت أنَّ خالد بن صـفوان رأى شبيباً يتكلم. فقال: قـد نُعيت إلىَّ نفسى لأنّا أهلُ بيتٍ ما نشـأ فينا خطيبٌ إلاَّ ماتَ من قبله فما عاش بعده سنةً.

وإذ قد وقفت علـى البلاغة، وأنواعها، وجـمعت الصفاحـة بإقطارها. فلنذكر الآن حديثاً صادراً عن صدر النُبوّة، ومنبع الرسالة ليكون كالإجمال لهذا التفصيل، وكالفهرس لهذه الفنون، وعوناً للـمتصدّى على وضع كُلٍّ فى مقامه، وتمرُّناً لهُ إذا انتَصَبَ لاهتمامه. فنقول: وبالله التوفيق.

قال مُعاذ: [1] قلت: يَارسُول الله اخـبرنى بعَمَلٍ يُدخلُنى الجنَّةَ، ويُباعـدُنى من النار. قال صلى ﷺ: «لـقد سألْتَنى عَنْ عَظِيمٍ وَإنَّه لَيَسِيـرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تعبُدُ اللّهَ، وَلاَ تُشـرِكُ به شـيـئـاً وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤتِى الزَّكَاة وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ»، ثُمَّ قالَ: «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبوَابِ الْخَيْرِ». قُلتُ بَلَى يَا رسُولَ الله :. قال: «الصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطفِئُ الْخَطِيْئَةَ كَمـا يُطفِىءُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُل من جَوفِ اللَّيلِ شـعَارُ الصَّالحِينَ» ثُمَّ تَلاَ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[2] حتى بَلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [3] ثُمَّ قال ﷺ: «رأسُ الأمْرِ الإسـلامُ، وعَمُودُه الصَّلاةُ،

---

(١) الحديث فى مشكاة المصابيح رقم (٢٩)، وشرحه الطيبى فى شرحه للمشكاة الكاشف عن حقائق السنن ق ١٩ مخطوط بدار الكتب. والحديث صححه الألبانى فى صحيح الجامع ٥١٣٦ / ١٦٤٣ وقد عزاه لأحمد والترمذى والحاكم وابن ماجة والبيهقى فى الشعب والطبرانى عن معاذ رضى الله عنه ..

(٢، ٣) سورة السجدة ٣٢/ ١٦ ـ ١٧.

وَذِرْوَةُ سَنَامِه الجِهَادُ». ثُمَّ قـــال ﷺ: «ألا أخبِرُكَ بِمِلاَكِ ذلكَ كُلِّه» قُلتُ بَلَى يَا رسُولَ الله قال ﷺ: «كُفَّ عَلَيْكَ هذَا»، وأشار إلى لسانه.

قُلتُ يـانبيَّ الله: أوْ أنَا لَمُؤاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بـه؟ قـــال ﷺ: «ثَكلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعاذُ!، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فى النَّار عَلَى وُجُوهِهِمْ؟»، أو قال ﷺ: «عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ».

هذه رواية [جامع الأصُول عن التِّرْمذِىّ] والنظرُ فيـه من أربع جهاتٍ، من جهة المعانى، ومن جهة البيان ومن جهة البديع، ومن جهة الفصاحة.

أمَّا **مِنْ جِهَةِ الْمَعانى** ففيه أبْحَاثُ:

أ ـ فى أحوال الإسناد أخـرج قولهُ: تعبُدُ الله إلى آخره مَخْرجَ الابتـدائية حيثُ كان مُعَاذٌ خالى الذِّهن غير عالمٍ به، وإنْ كانَ طَالباً.

وقـوله ـ «صلى اللهُ عليـه وآلـه وسلم» ـ «لَقَدْ سَأَلْتنى عَنْ عَظِيمٍ، وَإنَّهُ لَيَسِيرٌ» مَخْرَج الإنكاريَّة لما رأى فيه من شائبة الإنكار من التَّهَاوُن فى السُّؤال.

وأمَّا قـوله: (أَوَ إنَّا لَمُؤَاخَذُونَ؟) فلمجـرّد تأكـيد الـتَّعَجُّب الَّذى يُعطيه همـزةُ التقرير.

ب ـ فى إثبات المبتدأ هُو فى قوله: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ» لأنَّه لا غِنَى عَنْهُ.

جـ ـ فى تركـه هُو فى قوله: «تَعْبُدُ الله» إذ التـقدير هُوَ أنْ تَعـبدَ الله فى وجـه للتعويل على الذهن.

د ـ فى الصفات [1] قوله: «يُدْخِلُنى» صفة لعملٍ.

---

(١) بداية ق ١٨٢ فى الأصل.

إمَّا مُخصَّصَةٌ، أى مطلوبى عملٌ هذه صفتُهُ، أو مادحةٌ أى عملٌ محمودٌ، أو كاشفة. فإنَّ العمل إذَا لم يكُن بهذه الحيثية كأنه لا عمل.

هـ - فى الإضافة قوله: (يا نَبِىَّ الله، ويَا رَسُولَ الله) إضافةُ تشريف كما ى بيت الله. وقولُه: «صلاةُ الرَّجُلِ» إضافةٌ (لقوّة أمر الصَّلَاة)[أ] (بأدنى ملابسه)[ب]. وفى (رَأْسِ الأمرِ) إضافةٌ مَجَازِيَّةٌ.

و - فى العَلَم قولُه: [ثَكلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ] تنبيهٌ وقَرْعُ عَصاً. ولفظة الله فى قوله: [لَيسيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ] مُشعرةٌ بعظمته لأنَّ المقام مقامُ تعظيم أى الألوهيةُ مُقتضيةٌ لأنْ يكونَ تيسيرُ الطَّاعَاتِ منه. وفيه لَمْحة من معنى قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (١).

ز - فى اسم الإشارة قولُهُ: «ذلك:» إشارة إلى المذكور وهو قريبٌ لتعظيمه، وقوله: «هذا» لمزيد التعيين والاهتمام، أو التحقير كقولهم: (المرأُ بِأَصْغَرَيْهِ).

ح - فى المُضمَر قوله: [(لا تُشْرِك به)]، وهو إمّا عائدٌ إلى الله أو إلى ما دلَّ عليه [(تعبدُ اللهَ)] لكن الثانى أولَى فَإِنَّهُ إذا لم يُشرك فى العبادة فَبأنْ لا يُشرك فى الإلهيَّة أحرى وإقامةُ المظهر مقام المضمر فى قوله: [(تعبُدُ اللهَ)] مُشعرةٌ باستحقاقه لها، أو بتعظيم الأمر.

ط - فى التعريف: اللام فى [(الخَيرِ)] للجنس، ويجوز أنْ يكون للعَهْدِ الخارجى التقديرى أى أبواب المذكورات، وهو الخَيْرُ كُلُّهُ.

وفى [(رَأْس الأمر)] مثلُها، وأعَمُّ[جـ] لتناولها النوافل أيضاً، والإشارة فى [(ذلك)] (أعمُّ)[جـ] منهُمَا. وفى الصلاة والزكاة (للحقيقة الشرعية [د] وفى الصوم والصدقة: بَدَلٌ من الْمُضاف إليه أى صَلاةُ الفرض، وزكاتُهُ، وصوم التطوع وصدقتُه.

---

(١) سورة الشعراء ٢٦/ ٨٠.

(أ) سقطت من (أ).

(ب) سقطت من (ط).

(جـ) فى أ: أخصّ.

(د) سقطت من ط.

وليس (الثاني)[1] بالأوّل لئلاّ يضيع فائدةُ التكميل كما سيجيء، ولأنه عُطف عليه [(صلاة الرَّجُلِ من جَوفِ اللَّيلِ)] وفي [(عَموده الصَّلاةُ)] كالأول [2].

وفي قوله: [(المَاء، والنَّار)] للحقيقة، وفي [(الرَّجُل)] كذا، أو للعهد الذِّهني، وفي [(البيت)] مثلُها في (النَجم) و(الصَّعقِ)، وفي [(النَّاس)] للاستغراق، وكذا في [(الصَّالحين)] والأوّلُ أشملُ.

ي ـ في المُنكّر قوله: [(بعملٍ)] التنكيرُ دالٌّ على الإفراد نوعاً. وقوله: [(شيْئاً)] على الإفراد شخصاً أي لا يُشرِكُ به ما يسمَّى شَيْئاً، وقوله: [(عَظيمٌ ويَسِيْرٌ)] دَالٌ على التعظيم، والتقليل، و[(جُنَّةٌ)] تحتمل النوع، والتفخيم.

يا ـ في المؤكّد قوله: [(كلّه)] تأكيدٌ لذلك لئلا يظنّ بالحكم خلاف الشمول، والإحاطة.

يب ـ في خواصّ الجُمَل المسندُ إليه أعني في قوله:

[(الصَّوْمُ جُنَّةٌ)] إلى آخرها معرفةٌ لاعتداد فوائدها والمسانيدُ مُختلفةٌ، فالاسمُ يدلُّ على الثبوت أي الصَّومُ جُنَّةٌ دائماً. والفعلُ على تقوّى الحكم، أي حصول الإطفاء مُحقَّقٌ، والمُعرَّف على التخصيصِ أي هذا الشعارُ لاغير، والأُولى في التحقيق دون الثانية.

وفي الدَّوامِ أقوَى منها، والثالثةُ في الفائدة أقوى منهما. وفي التحقيق دُونَ الثانية، وفي الدَّوام كالأُولى.

وقوله: [(أوَ إنّا لَمُؤاخَذون)] مبنيٌ على التقوّي لا التخصيص.

يجـ ـ في التقديم والتأخير قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [3] قُدِّمَ فيه

---

(١) ليست في (أ)

(٢) في ط : للحقيقة الشرعية .

(٣) سورة البقرة ٢/ ٣.

المفعولُ ليفيد أنَّهم أسخياء، أو يكون كقوله تعالي: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَي أَنْفُسِهِمْ﴾[1] علي مذهب المعتزلة، أو لمراعاة الفواصل، وقُدِّم المجرور علي المنصوب في قوله: «كُفَّ عَلَيْكَ هذا» للاهتمام.

يد ـ في التجدّد[أ] والثبوت قوله: [(تعبُدُ اللهَ)]، والأفعالُ المنسُوقةُ كُلُّها المطلوب منها التجددُ بحسب كُلّ بما يخصّه [ب]، ففي التوحيد المطلوبُ منه الاستمرارُ الدائمُ مُدةَ حياة المُكلف، وفي الصّلاة دونَهُ، ثم في الزّكاة والصّوم دُونها. وقُدّمَ الأشَقُ، وأُخِرَّ ما وجب في العمر مرةً.

وقوله: (الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ، وصلاةُ الرَّجُل) المطلوب الدّوام والثبوتُ، والأمرُ في النوافل عليه إلا ما خُصّ في زمان الكراهية، وكذا (رأسُ الأمرِ) إلي آخره.

يه ـ في إثبات المفعول قوله: (لا تُشرك به شيئاً) القياس فيه أنْ لا يُجاء به ليكون علي طريقة تنزيل المعتدي منزلة اللازم ليُؤذن به أنَّ حقيقة الشَّرك منهيٌّ عنها لكنّ الحاملَ رعايةُ القرائن.

يو ـ في البناء قوله: (يُباعدُني) أُخرج علي زنة (فَاعلْتُ) للمبالغة في البُعد على أسلُوب ﴿يُخادِعُونَ﴾ [2].

وقوله: [(أَوْ إِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ)] بُني للمفعول لتعظيم الآخذ، أو أنَّه معلوم لا لَبْسَ، أوْ أنْ لا يُنسَب إلى الغضب أو الغَرضُ أنَّهم مُؤاخذُون لا أنَّ الآخذَ من هو، أو للاختصار.

يز ـ في القصر: [(هلْ يكُبُّ النَّاسَ عَلَي وُجوهِهِمْ)] قُصر فيه المفعُولُ علي الفاعل قصرَ قلب، أو إفرادٍ للدَّلالة علي مزيد الإنكار علي تَعَجُّبه، وكذا تعريفُ

---

(١) سورة الحشر ٥٩/٩.
(٢) سورة البقرة ٢/٩.
(أ) طـ: التجرد وهو خطأ.
(ب) بداية ق ١٨٣ في الأصل.

الخبر في (رأس الأمر) إنْ جعلَ تعريفَ عهْد كانَ حَصر المسند علي المسند إليه، وإنْ جُعل جنساً كان عكسَه، وعلي هذا أمثالُه.

يح ـ في الجارّة من في (مِنْ جوفِ اللَّيْلِ) ابتدائيةٌ. أي يكون ابتداءُ قيامه للصَّلاة من جوف اللَّيل ليكون من القائمينَ لأنّ منْ قامَ فيهِ قامَ سَائرَ الأوْقاتِ.

ويجوز أن يكون تضمنيَّة بمعني أخْذ الرجل صلاته من جوف اللّيل شعارُ الصَّالحين أي اللَّيلُ أحقُّ بأن يُؤخَذَ منه الصلاةُ كما يأخُذُ الدائن حقَّهُ من غريمه أي هو مكَانُها، ومنبعُها.

ودلَّتْ (علَي) في قوله: (كُفَّ عَلَيْكَ) علي الاستعلاء دلالةَ. قوله تعالي: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [1] عليه.

يط: ـ في الإجراء علي خلاف الظَّاهر قولُه: [(صلاةُ الرَّجُلِ مِن جَوْفِ اللَّيْلِ شَعَارُ الصَّالحينَ)] فإنَّ الظاهر أنْ يُقال: شعارُ صلاحه فَعُدل إلي العموم للمُبالغة، وإنَّهُ يدخُلُ فيه دُخُولاً أوَّلياً.

كَ ـ [2] في الوصل قوله: (تعبُدُ اللهَ) عام عُطفَ عليه (تقيم الصَّلاة) إلي آخره علي طريقة ﴿مَلَائِكَتِهِ ورسله وَجِبْرِيلَ﴾ [3] تشريفاً لها قوله، ثم قال مَراراً للترتيب في الوجود لا في المرتبة قوله: [(وتقيمُ الصَّلاةَ)].

المعطوفات كلُّها منظورٌ فيها الجهةُ الجامعة الخياليةُ بحسب مؤداهُ في عرف الشَّرع، وفي (رأس الأمرِ) ومعطوفاته (الجهة) بحسب العرف العام.

وفي قوله: (يُدخِلُني الجنة ويُبَاعِدُني مِنَ النَّارِ) هي التَّضادُ، وشبهُهُ.

كآ ـ في الفصل قوله: [(تعبُدُ اللهَ)] فصله لكونه بياناً للجملة الأولي، ويجوز

---

(١) سورة البقرة ٢/ ٥.

(٢) في ط (ك).

(٣) في سورة البقرة ٢/ ٩٨ قوله ـ تعالي: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ. . . .﴾.

أن يكون استيناف وكذا قوله: قال مُعاذٌ: (قالَ رسُولُ الله: ـ صلى اللهُ عليه وآله وسلم» ـ وكذا فُصل قُوله تعالي: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ (١) عما قبله بياناً، أو استيناف.

كَب: (٢) فى الإيجاز، إمّا **إيجاز حذف** كما في قوله: (يُدخلني) في رواية الجزم (علي مذهب غير الخليل)(٣)، فإنَّهُ إمَّا جواب الأمر علي تَقدير الشرط، والجزاء. أي (إن تُخبرني بعمل يُدخلني الجَنَّة) بمعنى أنَّ الخبرَ يكونُ وسيلةً إلَي العمل، والعمل إلي الإدخال، وإمَّا جَزاءٌ لشرطٍ محذوف أي (إنْ عَمِلْتُهُ يُدْخِلْني). والجُملة صفة عمل.

وفي قوله: [(عظيم)] لأنَّه صفةُ مَوصُوف محذوف.

وقوله: (أوَ إنَّا لَمُؤاخَذُون...؟)، وقوله: (وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ) فإنَّ الواو للعطف، ولا بُدَّ من تقديم معطوف عليه أي أتعزِمُ علي قولك؟ (يا نَبيَ الله أوَ إنَّا لمؤاخذون) وهَلْ يَكُبُّ النَّاس»؟

أو **إيجازُ تقدير** كما في قوله: (سَأَلْتَني عَنْ عَظيم) أي المسئول عظيمٌ بالغٌ في العظمة مُتناه في الفخامة أو **إيجاز جامع**، وهو قولُهُ: [(كُفَّ عَلَيْكَ هَذا)]، فإنَّهُ من الجوامعِ التي لا مَطْمَح دونَها لأنَّه إذا نُظر إلي الشريعة كان أحد شطري الإسلام قال ـ صلي الله عليه وآله ـ (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ من لسانه ويَده)(٤) بل هُوَ أسُّه. قال: [(مَنْ قال: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ)(٥)، أوَ إلَي الطَريقة كأن انتهاء درجة السالكين لقول علي (رضي الله عنه) (٢) (من عَرَفَ اللهَ كَلَّ لِسانُهُ) بل هو قُصَاري مقامات العارفين لقوله: (من عَرَف الله طال لسانُهُ)،

---

(١) سورة السجدة ١٦/٣٢ .

(٢) بداية ق ١٨٤ فى الأصل .

(٣) سقطت من (أ) .

(٤) الحديث أخرجه مسلم / ٦٩ ط عبدالباقى ، والحديث فى صحيح الجامع بأرقام : ٦٧٠٩ ، ٦٧١٠ ، ٦٧١١ ، وقد عزاه للصحيحين وأحمد والترمذى والنسائى والحاكم وابن حبّان وغيرهم .

(٥) الحديث فى صحيح الجامع ٦٤٣٣ بلفظ : « من قال لا إله الله مخلصا دخل الجنة » وقد عزاه لأحمد وابن حبّان والحلية لأبى نعيم عن أنس ، وللبزّار عن أبى سعيد وقد خرجه فى الصحيحة كذلك / ٢٣٥٥ .

أو إلي الحكمة كان هو المُنجي لقـوله: ـ صلي الله عليه وآله وسلم ـ (مَن صمَتَ نَجَا) (١).

ز ـ (٢) في الإطناب: هو أنَّ مطلوب مُعاذ في قوله: (أخبرني بعمل) لَمَّا كان من الوسائل السنية مهَّدَ ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ للجواب مقدمة، ونبَّه فيها علي فخامة المسئول بأنْ أكَّدها تأكيداً بليغاً، وعظَّمها غاية التعظيم، وكذا كُلَّما قصد أن يُجيب عن سؤال جعل له تمهيداً، أو توطئة ليُمكنُهُ في الذهن، ويُوطِّنَهُ فيه، وإنَّ زيادة لفظتي [تُقيمُ]، و[تُؤْتي] لزيادة الاهتمام بشأنهما علي طريقة قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (٣).

وإنَّ لفظةَ [البيت] أيضاً للبعث، والحثّ، وكذا ذكر [عَلَي وجوههم] و[مَنَاخِرِهم] مع الكبِّ للتصوير، والتخييل للتهويل.

والروايةُ الأخيرةُ أدل علي المذلة كما يقال: رَغِمَ أَنْفُهُ وكذا الزّيادة في الجواب حيثُ قال: (جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطفيءُ الخطيئة كما يُطفيءُ الماء النَّار)، وكذا (شعار الصَّالحين) فإنَّ الظّاهر كان يكفي أنْ يقال: الصَّومُ، والصَّدَقَةُ وقِيَامُ اللَّيْل.

وكذا إعادةُ ألفاظ [رأسُ الأمرِ وعمودِه، وذروة سنامه] ومنه الحديثُ بطوله لأنَّ المقام مقامُ إرشاد، وأيُّ مقام أدعي منه للإطناب!؟ وإنَّه هُو المُرشدُ المُبالغُ* والبشيرُ النَّذيرُ ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٤).

كـه ـ في الإنشاء قولهُ: (أخبِرني ظَاهرُهُ أَمْرٌ لكنَّه استدعاءٌ. وقولُه: [(كُفَّ عَلَيْكَ)] أمرُ تنزيه، والعُدُولِ عن الإنشائيّ في قوله: [(تعبُدُ اللهَ)] لفائدتين:

احداهُما: أنّ المأمور كأنَّهُ سارع إلي الامتثال، وهو يخبر عنه إظهاراً للحرص بوقوعه.

---

(١) الحديث رواه الترمذي والدارمي عن ابن عمرو كما في حدائق البيان ص ٢١٧، وعزاه الألباني في صحيح الجامع ٦٣٦٧ إلى أحمد والترمذي عن ابن عمرو، وخرجه كذلك في الصحيحة ٥٣٦.

(٢) في ط (كج).

(٣) سورة المؤمنون ٢٣/ ٤.

(٤) سورة التوبة ٩/ ١٢٨.

* كذا في هـ، ط والصواب (المبلغ).

وثانيهما: أنْ لا يُنسب إلي عدم الامتثال لأمره إنْ قَصَّرَ المأمور، أو لئلاَّ يكُونَ المأمورُ مسخوطاً عليه إن لم يمتثل، وعن الخبريّ في قوله: (هَلْ يكُبُّ النَّاسَ) لمزيد من الإنكار، وتأدُّب مُعاذ[1] في النداء بـ (يَا) للدلالة علي بُعْد منزلته عنه، ولكون المتلوّ بَعدَ النباء معنياً بشأنه نُودي بـ (يَا) ليتفطن له، والاستفهام فى (أوَ إنَّا لمؤاخذون) ولَّدَ التعجُّب، وفي (هَلْ) التقريع.

وأمَّا قوله: (ألاَ) فهي مركبةٌ، من همزة الاستفهام و(لا) النَّافية ليُفيد تحقيق مابعدها، وقوله: (ثَكلَتْك أُمُّكَ يَا مُعاذ) دعاء عَلي صيغة الإخبار، ومعناهُ التعجُّبُ، وعلي أُسلوب (قاتله الله ما أشجعهُ)!

وأمَّا النَّظرُ من **جِهَةِ البيَانِ** ففيه أبحاث:

أ ـ في التشبيه: قوله: (الصَّوْمُ جُنَّةٌ) من التشبيه المضمر الأداة المحذوف الوجه للمبالغة. شبَّه الصَّوْمَ وهو معقول بالجُنَّة وهو محسوسٌ، والجامعُ منع إصابة المكرُوه.

وقوله: (الصَّدَقَةُ تُطْفِيءُ الخَطِيْئَةَ كما يُطفىءُ الْمَاءُ النَّارَ) من التشبيه الواقع علي التمثيل، شُبهت الحالة المتوهمة للصدقة الموجبة لإذهاب الخطيئة بحالة الماء المُطفىء للنَّار.

وقولُه: [(رَأْسُ الأمرِ الإسلامُ) من تشبيه المعقُول بالموهُوم. أي الإسلام كالرأس لذلك الأمر، فعكس التشبيه مُبالغة.

ب ـ في المجاز المُرسل المفيد أطلق الخطيئة، وأُريد نارُ جهنَّم إطلاق الاسم السبب علي المسبب، وعكسُهُ قولُه: [(تُقِيمُ الصَّلاة) لأنَّ الإقامة مَجَازٌ عن تعديل أركانها، أو عن التجلُّد، والتشمرِ. فإن اعتدال الأركان والتجلد، والتشمرُ سببٌ لإقامتها.

---

(١) بداية ق ١٨٥ في الأصل.

جـ ـ في الاستعارة [1] قوله (يُدخِلُني) أسندَ إلي العمل، وهو في الحقيقة لله ـ تعالي ـ وكذا إسناد الكبِّ إلي الحصائد.

«وَ الشيخُ» ذهب[1] إلي أنَّه من الاستعارة المكنية. شبَّه العمل لكونه سبباً للمطلوب بالفاعل الحقيقي تشبيهاً بليغاً، وأدخله في جنسه، ثم خُيِّل أنَّه هو لا غير، وأُطلق اسم العمل علي اسم الفاعل الحقيقي لا علي مسمَّاه، وجُعل نسبةُ الإدخال إليه قرينةً.

وقوله: (أبوابُ الخَيْر) من المصرحة التخييلية. شُبِّه الخير بدار فيها من كُلِّ ما تتمنَّاهُ النَّفْسُ، ثم بُولِغَ حيثُ أُدخل الخَيْرُ في جنس الدار، فتُوُهِّمَ له ما يلازم الدَّارَ، وهو البابُ، ثم شُبِّه المخترَعُ بالباب الحقيقي ثم أُطلق اسم المحقَّق علي المتوهَّم، وجعل إضافة الباب إليه قرينةً.

وقوله: (تُطفيءُ الخطيئة) من التَّبعيَّة لأنَّ الأصل فيه أنْ يُقال: إذهابُ الصَّدقة الخطيئة كإطفاء الماء النار. ثم استعير الإطفاءُ للإذهاب، ثم سَرَي معني الإطفاء إلي تُطفيء.

وقوله: [(حَصَائدُ أَلْسِنَتِهِمْ)] محتمل لأنْ يكون استعارةً مصرَّحةً تحقيقيةً لكون ما يُسمعُ من الإنسان، هو المشبّه المتْروك، وهو محقَّقٌ. وأنْ يكون تخييليّةً، وذلك بأنْ يُشبِّهُ اللِّسانُ بالمنجل. ثم يُبالغُ فيه حتَّي يتوهَّم للسان ما يلازم المنحل.

ويحتمل أن يكون (تُطفيءُ الخطيئة) من الاستعارة التمثيليّة بأنْ يشبَّه حالة الصَّدقة وكونُها حيثُ تُذهبُ الخطيئة، وتمحُوها. بحالة الماء، وكونه يُطفيء النَّار الشَّاعلة، ثم استُعمل هنا مَاكان مُستعملاً هُناك.

د ـ في الترشيح، والتجريد قوله: [(شعارُ الصَّالحين)] أنْ جَعَلَ الشِّعارَ بمعني الثوب الذي يلي[2] الجَسَد كان ترشيحاً لاستعارة (جَوْفِ اللَّيْلِ) لأنَّهُ ملائمٌ للمستعار منه، وإنْ جعل بمعني العلامة كان تجريداً.

هـ ـ في القرائن نسبةٌ تُطفيء إلي الصَّدقَة نسبةالتبعيَّة إلى فاعلها، وإلي الخطيئة إلي مفعولها.

---

(١) طـ: وذهب الشيخ.

(٢) بداية ق ١٨٦ في الأصل.

و ـ في توالي الاستعارات قوله: (رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُهُ الصَّلاةُ، وذروةُ سنامِهِ الجِهَادُ) استعارات متعاقبة علي طريقة مُراعاة النظير كقول امرئ القيس:

«طويل»

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّي بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

فجعل الدّين كالبازل، واستوفي له معظم أركانه من الرَّأس والظّهر، وذروة السَّنام.

ز ـ في اعتبار طرفي الاستعارة، والجامع وهو أربعة:

أحدهما: استعارة محسوس لمحسوس بوجهٍ حسي في قوله:

[(حَصَائدُ أَلسنَتِهِمْ)] فالمستعار منه ما يُقتطعُ من الحشيش اليابس، والرّطب، والمستعار لهُ ما يُسمعُ من الكلام السَّقط، والنُّخَبِ، والجامعُ خلطُ النَّفيسِ بالرَّديَ من غير تمييز.

وثانيها: استعارة محسوس لمعقول في قوله: [(أبوابُ الخَيرِ)] فإنَّ المستعار منه الدَّارُ، والمستعار له الخيرُ والجامعُ كونُ الشّئ مرغوباً فيه.

وثالثها: استعارةُ محسوس لموهومٍ إذا جعلت الاستعارة في الباب.

ورابعها: استعارةُ معقول لمعقول، وهو استعارةُ الإطفاء للإذهاب.

ح ـ في الكناية قوله: (صلاةُ الرّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللّيل شعارُ الصَّالحين) من التي المطلوب بها تخصيصُ الصفة بالموصوف مثل قولهم: (الكرَمُ بين بُرْدَيْه، وَالْمَجْدُ بين ثَوْبَيْه)، وقوله تعالي: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [1] كناية عن صلاة التَهجُد كقول الشَّنْفَرَي:

---

(١) سورة السجدة ٣٢/١٦.

«طويل»

يَبِيتُ بَمَنْجَاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتُهَا إِذَا مَا بُيُوتٌ بِالْمَلَامَةِ حَلَّتِ

وأمَّا النظرُ **من جهة البديع** ففيه أبحاث:

أ ـ في التفسير الخفي قوله: [(تَعبُدُ اللهَ إلي آخره)] كالبيان لقوله: [(سَأَلْتَنِي عَن عَظِيمٍ وَإِنَّه لَيَسِيرٌ)]، وقوله: [(الصَّوْمُ جُنَّةٌ)] أيضاً تفسيرٌ لقوله: [(أبوابُ الخير)] وعلَيَّ هذا [(كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا)].

ب ـ في الخطاب العام قوله: [(تعبُدُ اللهَ)] خطابٌ لمعاذ وكذا: [(كُفَّ عَلَيْكَ هَذا)] ولكنَّهُ غير مختص به بل كلّ من يتأتّي منه العبادة والكفُّ فله مدخلٌ فيه، والدالُ علي الأسلوب التعميم في قوله: [(الصَّوْمُ جُنَّةٌ)] إلي آخره.

جـ ـ في الاستطراد وهو أنَّه ـ صلوات الله عليه ـ لما فرغ من جواب مُعاذ، وكان كلاماً في شأن الدين، وهو الإيمان والإسلام، استطرد أمر النوافل تكميلاً للفرائض. فقال: (أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَي أبوابِ الخَيْرِ)، ثم بَعدَهُ أَمْرَ الجهاد فَضَمَّ معه المذكور علي أسلوب آخر.

فلما أَتَمَّ الإرشاد، ومَهَّدَ الاعتقاد جاء بفذلكةٍ في ضمن كلام جامع تتميماً له فقال: (أَلاَ أُخبِرُكَ بِمِلاكِ ذلكَ كُلِّه) (١).

د ـ نسبةُ قوله: [(الصَّوْمُ جُنَّةٌ)] إلي قوله: [يَعْمَلُونَ] مع الكلام السابق نسبة التكميل كما مرَّ آنفاً.

هـ نسبة [(أَلاَ أُخبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمرِ وعَمُودِهِ)] مع ما سبق من التكميل، والمكَّمل نسبةُ التذييل.

و ـ ونسبُ [(كُفَّ عَلَيْكَ هَذا)] مع الكلّ نسبة التتميم والإيغال.

ز ـ في الترقي قدّم أوّلاً الصَّلاةَ علي الزكاة، وعلي الصَّوم وعكس ثانياً لأنَّ الأوّل سِيقَ لأمر الدّين فقدّم مَاهو الأهم فالأهم فالتدلّي أولي، والثاني لتكميله، فالترقي أحري.

---

(١) بداية ق ١٨٦ في الأصل.

ح ـ في الائتلاف قوله: (رَأسُ الأمرِ، وعَمُودُه، وذِرْوَةُ سَنَامِه) كما سبق وقوله: [(ألاَ أدُلُّكَ عَلَى أبوابِ الخَيْرِ)]، فإنَّ الدَّلالَةَ مناسبة بالباب كما أنَّ (الرِّسالة)* موافقةٌ الاخبار عن المغيبات في البواقي، ومنه قوله: (آخراً يا نبيَ الله) لأنَّ التنبيه علي جكمة المُؤاخَذة من أسرار النُّبوة كماأنَّ الإعلام بالتكاليف من أمر الرسالة.

ط ـ في المُطابقة قوله: [(سَألْتَنِي عَن عَظِيمٍ وَإنَّهُ لَيَسِيرٌ)] المطابقة بين العظيم، واليسير معنويةٌ إذ اللفظية. إمّا حقير، أو عسير وكذا قوله: (يُدْخِلُني، ويباعدُني)، والحقيقيَّة هي النَّارُ، والجنّة.

ي ـ في التكرير: إعادة الصَّلاة مراراً لتعليق كُلّ مرّة بها غيرَ ما عُلق أوّلاً. وكذا تكرير مُعاذ كُلَّ مرّة: (يَا رَسُولَ الله) للاستلذاذ بذكره ـ صلوات الله عليه وآله ـ وفي (بَلَي) تكريرٌ تقديريٌ، ولفظيٌ.

يا ـ في التغليب قوله: [(صلاةُ الرَّجُلِ)] فإنَّ حُكمَ النساء كذلك.

يب ـ في القلب، وهو عكس التشبيه في قوله: [(رَأسُ الأمْرِ الإسلامُ)].

يج ـ في الاقتباس قوله «تعالي» ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُم﴾ (١) الآية.

يد ـ في سَبْك المعني قوله: [(صلاة الرَّجُلِ شعَارُ الصَّالحين)] مَسبُوك من قوله تعالي: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السُّجُودِ﴾ (٢).

وقوله: [(تعبُدُ اللهَ وَلا تُشركُ به شيئاً)] إلي آخره من قوله «تعالي:: ﴿وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٣) إلي قوله: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (٤).

---

(١) سورة السجدة ٣٢/١٦.

(٢) سورة الفتح ٤٨/٢٩.

(٣، ٤) سورة البينة ٩٨/٥ قوله تعالي: ﴿وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ. حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾.

* ليست في أ.

يه ـ في الجمع مع التقسيم قوله: [(رَأسُ الأمرِ)] إلي آخره جَمَعَ أولاً ثم قَسَمَ ثانياً.

يو ـ في رعاية حسن المطلع، والمقطع قوله: [(تَعبُدُ اللهَ)] من براعة الاستهلال لأنَّه دالٌّ علي مضمون الكلام دلالة إجمالية، وقوله: [(كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا)] من أحسن المقاطع لدلالته علي الخاتمة.

وأما النظر من **جهة الفصاحة** فنشير إليه مُجْمَلاً حَذَراً من السآمة.

وهو كما تري كُلَّ كلمات الحديث سلسةٌ علي الاسلات عذبةٌ علي العذبات، سليمةٌ عن التنافر، والتَّعاظُلِ مُعرَّاة عن الغرابة والتعقيد، جاريةٌ كالماء في السَّلاسة، خالصةٌ كالنَّسيم في الرِّقة. ألفاظُها تابعةٌ معانيها. معانيها سابقةٌ ألفاظَها.

وكلُّ ما صَدَرَ عنه ـ صلوات الله عليه وآله ـ واردٌ علي هذا النهج لكن لا يهجُم علي مكامنه [1] إلاَّ جَنَانُ الشَّهم، ولا يفوزُ بمحاسنه إلاَّ من دَقَّ فهمُهُ حتي جَلَّ عن دقَّة الوَهْمِ ـ سبحانَ ـ من أيَّدهُ بأعلي مراتب البلاغة، وخصَّهُ بأشرف درجات الفصاحة، ومن تأمل في هذا الكلام المرتجل علم أنَّهُ ـ صلوات الله عليه» أُوتي كنوز الحكمة، ومُنح فصل الخطاب. وقال:

«بسيط»

هَذَا الَّذِي اخْتَصَرَ الْمَعْنَي البليغُ لَهُ ... وَأَصْبَحَتْ طَوْعَهُ جَوَامِعُ الكَلِمِ

هَذَا هو الْمُنذِرُ الأُمِّي أَفْصَحُ مَنْ ... بِالضَّادِ يَنْطِقُ مُوهِي حُجَّةِ الخَصْمِ

عَلَيْهِ مِنْ صَلَوَاتِ اللهِ أَطيبُهَا ... يَبْقَي بَقَاءَ نَعِيمٍ غَيرِ مُنصَرِمِ

خُتِمَ الكتاب بِخِتَامِ مسكٍ كما خُتِمَ بِخِتَامِ خاتم النبيين ـ صلوات الله وسلامه عليه وآله الطيبين الطاهرين والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) بداية ق ١٨٧ في الأصل.

(فى حادى عشر ربيع الأول سنه إحدى وثلاثين وسبعمائة على يد العبد الفقير المحتاج إلى الله وعفوه علىّ بن عبيد الله الترخانى ، حامدا ومُصليا على نعمائه)[1].

(١) هذا ما كتبه الناسخ فى نهاية الأصل (أ) . (والحمد لله على نعمائه) . .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
اولا : تعريف البلاغة عند الطيبى	٧
ثانيا : نظرة الطيبى إلى البديع	١٤
ثالثا : معالجته لاسلوب الالتفات	١٩
رابعا : تعريف الطيبى للالتفات	٢٢
خامسا : استقلال الطيبى بالبديع عن المعانى	٢٤
سادسا : التقسيم الثلاثى للبديع عند الطيبى	٢٧
القسم الثانى	
علم البديع وفن الفصاحة	٥٣
الباب الاول	
فى التحسين الراجع إلى المعنى	٥٥
الباب الثانى	
فى التحسين الراجع الى اللفظ والمعنى	٩٩
الفن الثانى فى الفصاحة	١٩٧
فى أوصاف اللفظة المفردة	٢٠١
فى اوصاف التراكيب	٢١٠